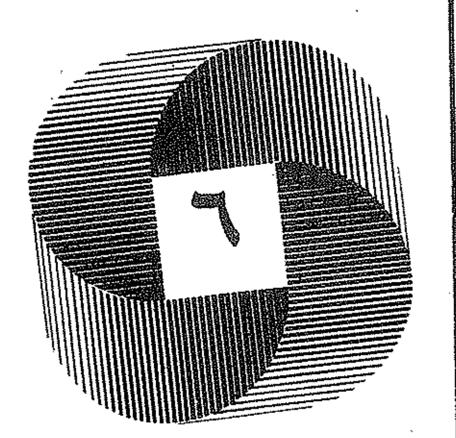
الفصل السادس

السومريون والساميون

في

حضارة وادي الرافدين

- سومر والسومريون
- تطور حياة السومريين الزراعية
- دور الاكديين الساميين في تطور حياة السومريين الزراعية
- التحريات الاركيولوجية لانهر ومدن وقرى سومر واكد
- قدسية الزراعة لدى السومريين والاكديين
- اتقان الاكديين والسومريين لعلم المساحة
- اتقان الاكديين والسومريين لعلم البستنة
- قدسية نهر الفرات لدى السومريين والاكديين
- ممارسة الري بالوساطة
- الملاحة على نهر الفرات



لم يستقر الباحثون على رأي عن اصل السومريين، فمنهم من رأى انهم جاءوا مهاجرين من منطقة ما تقع شمال الهند بين افغانستان وبلوخستان، ومنهم من ذهب الى انهم جاءوا الى العراق من البحرين ومنهم من اعتبرهم بدوا من وراء القوقاز او بحر قزوين، بينما ذهب رأي آخر الى انهم جاءوا من السند واخيراً اتجه فريق آخر الى انهم من الاقوام التي قطنت العراق منذ العصور الحجرية وان ثقافتهم اصيلة في العراق ومهما كان الأمر، ان السومريين على الرغم من ان لغتهم اجنبية غير سامية فهم يعتبرون عراقيين بعد ان تثقفوا بالثقافة السامية العراقية وعاصروا الساميين وشاركوهم في حياتهم الزراعية. والذي نرجحه ان مكان اصل السومريين الأخير هو عيلام البطائحية المجاورة الى منطقة الأهوار العراقية والمشابهة لها في بيئتها الطبيعية، والأرجح ان السومريين جاءوا بلغتهم الاجنبية من مكان آخر غير عيلام ثم استقروا في اهوار عيلام ومنها انتقلوا الى اهوار العراق المجاورة فنقلوا معهم لغتهم مع العلم انه لا يوجد بينهما حدود تفصلها.

١ ـ السومريون ـ اصلهم ، وطنهم

لقد اتفق الباحثون اجماعا بان السومريين جنس غير سام وان لغتهم غريبة عن المنطقة لا تشبه اللغات السامية ولا اللغات الآرية ولا نعلم زمن مجيئهم الى جنوب وادي الرافدين وان ذهب البعض الى ان ذلك ربما كان في الالف الرابعة او الثالثة قبل الميلاد غير ان معلوماتنا عنهم ترجع الى عصر فجر السلالات (٣٠٠٠ ـ ٢٣٧٠ ق٠م٠)٠وقد اختلفت الآراء في تعيين موطنهم الاصلي ، ذهب راي الى انهم مهاجرون من منطقة ماتقع فيما بين شمال الهند وبين افغانستان وبلوخستان جاؤا عن طريق الخليج العربي وجزيرة البحرين بعد ان استقروا في غربي ايران فترة ما ، وذهب راي ثان الى اعتبارهم بدوا مما وراء بحر قزوين ٠ ويرى آخرون انهم جاءوا من آسيا الصغرى بينما ذهب راي ثالث الى انهم جاءوا من السند ، بل لقد اتجه فريق رابع الى انهم من الاقوام التي قطنت العراق في عصور ماقبل التاريخ ، وان حضارتهم اصيلة في العراق ، بل ويمكن تسمية اهل حضارة العبيد بالسومريين على الرغم من عدم معرفتنا للغة حضارة اهل العبيد[1] ٠ وهناك من يزعم ان السومريين انما جاؤا الى العراق من البحرين في حوالي ٣١٠٠ق٠م٠ وقد عرفت البحرين باسم « دلمون » في النصوص السومرية (١) ٠

ونستخلص من هذه الآراء المتعددة : ان الباحثين لم يستقروا بعد على راي عن اصل السومريين من اين جاؤا من الشرق او الغرب او الشمال او الجنوب ولكن المسالة التي تحتاج الى تصحيح هي انهم تعلموا الزراعة في ارض العراق ،سواء كانت هذه الخبرة نشات تلقائيا نتيجة ظروف البيئة وطبيعة النهر والارض ، ام انهم تعلموها من المصريين كما يذهب اليوت سميث في كتابه المصريون القدماء ام الساميين الذين كانوا يعيشون في الارض المتاخمة لهم من اعلى ، كما يرى فرانكفورت في كتابه «مولد الحضارة في الشرق الادنى »(١٩٥١ دراسات في العالم العربي ، ص٧٨)٠ والثابت كذلك ، ان المدن القديمة التي عرفناها في هذه الارض كانت سامية وسومرية ، وكانت بعض المدن السامية اقدم من المدن السومرية ، وكانت السيادة في الاغلب الاعم للمدن السامية (ديلا بورت : « بلاد مابين النهرين » ، تاريخ العالم ،المجلد الاول ، قوائم ملوك واسر العراق القديم ، انظر ايضا : « الفن الاسلامي »تاليف ابو صالح الالفي دار المعارف بمصر ١٩٧٤ ، ص٣٤)(*) ٠

ومهما كان الامر ، ان السومرين على الرغم من ان لغتهم غير سامية فهم يعتبرون عراقيين بعد ان تثقفوا بالثقافة السامية العراقية وعاصروا الساميين وشاركوهم في حياتهم الزراعية ٠

٢ ـ راي الاستاذ طه باقر في اصل السومريين

يؤيد الاستاذ طه باقر الرأي «بان السومريين هم احدى الجماعات المنحدرة من بعض الاقوام المحلية في وادي الرافدين في عصور ما قبل التاريخ البعيدة ، وأنهم عرفوا باسمهم الخاص ، أي

(*) انظر : صموئيل كريمر : « السومريون » ،ترجمة دكتور فيصل الوائلي ، وكالة المطبوعات الكويت ، ١٩٧٣ ٠

انظر ايضا :

S.N. Kramer: "The Sumerians", Chicago, (1963).

L. Woolley: "Mesopotamia and the Middle East", London, 1961.

السومريين نسبة الى اسم الاقليم الذي استوطنوه أخيرا في القسم الجنوبي من العراق ، أي ان التسمية لاحقة للاستيطان ومشتقة من اسم موضع جغرافي ولاتحمل مدلولا قوميا ، يؤيد هذا ان كثيرا من الاقوام التاريخية التي اشتهرت في وادي الرافدين وأسهمت في تكوين حضارته واحداث تاريخية سميت باسم المواضع التي حلت فيها مثل الاكديين نسبة الى مدينة « أكد » أو «أكادة» العاصمة التي أسسها سرجون الاكدي ، والبابليين نسبة الى مدينة بابل والآشوريين نسبة الى مدينة آشور على ما يرجح كما يمكن تتبع أصول الحضارة السومرية الى جذورها الاولى في عصور ما قبل التاريخ» وفي كلامه عن الساميين يؤكد كما نوه به مرارا « ان السومريين لم يكونوا أقدم المستوطنين في السهل الرسوبي من جنوبي العراق بل جاوروا أقواما اخرى وفي مقدمتهم الساميون . وبخلاف ما ذهب اليه البعض من نسبة الاصل الجبلي الخارجي الى المهد الذي نزح منه السومريون ، لا نجد من المآثر السومرية وعلى رأس ذلك آدابهم وأساطيرهم وشعائرهم الدينية ، ما يشير الى أصل غريب عن بيئة وادي الرافدين الطبيعية ، ولاسيما القسم الرسوبي منه بل طابع حضارتهم المميز مشتق من بيئة نهرية ذات أحراش وقصب ونخيل وأثل وغرين وفيضانات وسهول الى غير ما هناك مما سبق ان نوهنا به من اثر البيئة الطبيعية في حضارة وادي الرافدين ». وينتهي الاستاذ طه باقر الى القول عن مسألة السومريين في تاريخنا القديم : « ويبدو مما عرضناه من آراء عن أصل السومريين ومهدهم ان ذلك من القضايا التي لم تستطع حلها الدراسات اللغوية والآثارية ، وان كل ماقيل ويقال بشأنها مجرد تخمين وافتراضات لا يمكن البرهنة عليه ولا رفضه بوجه قاطع(٢) » .

لقد نقلت الى القارىء رأي الاستاذ طه باقر بالنص لما له من وزن ومكانة علمية في نظرنا ، والذي نستنتجه من كلامه انه يذهب الى تأييد رأيين اساسيين :

أولا : ان السومرين لم يكونوا أقدم المستوطنين في وادي الرافدين بل جاوروا أقواما أخرى وفي مقدمتهم الساميون وان السومريين لايحملون دلالة قومية .

ثانيا : ان وطن السومريين هو وادي الرافدين .

٣ ـ رأينا في اصل السومريين وتعليقنا على رأي الاستاذ طه اباقر .

نحن نتفق مع الاستاذ طه باقر بالنسبة للرأي الاول ، أي ان السومريين لم يكونوا أقدم المستوطنين في وادي الرافدين بمعنى ان هناك أقواما أخرى سبقتهم في الاستيطان وفي مقدمتهم الساميون . كما اننا نتفق وإياه بأن السومريين لا يحملون دلالة قومية بمعنى انهم لا يمثلون شعبا ذا عنصر معين ولكنهم يمثلون ثقافة على اصح تعبير . اما الراي الثاني فلا نتفق معه بما ذهب اليه بسبب كون لغة السومريين لغة اجنبية غريبة عن المنطقة ، فلابد ان يكون السومريون قد جاؤا بهذه اللغة من مكان غير وادي الرافدين ذي اللغة السامية ، والذي نرجحه ان هذا المكان هو منطقة عيلام البطائحية المجاورة الى منطقة الاهوار في جنوبي العراق والمشابهة لها في بيئتها الطبيعية ونحن نعلم ان اهل عيلام لم يكونوا من الساميين والارجح ان السومريين جاؤا بلغتهم من مكان آخر غير عيلام ، ثم استقروا في اهوار عيلام ومنها انتقلوا الى اهوار

العراق الواسعة المجاورة التي لاتوجد لها حدودتفصل بينها بدليل ان اصل السومريين اقرب الى حياة الاهوار من حياة الريف فهم اهل الجاموس ٠

يؤيد ذلك الخبير الآثاري هندكوك اذ يرجح ان السومريين جاؤا من المنطقة العيلامية البطائحية حيث كان السومريون والعيلاميون يتكلمون بلغةغريبة غير سامية وكلاهما ورث عن اجداد العيلاميين ثقافة واحدة مشتركة وكلاهما استعمل الكتابة المسمارية(٣)٠ اما مايتعلق بالكتابة المسمارية فاننا لا نعلم من هو الذي استعمل الكتابة المسماريةقبل الآخر اهم السومريون ام العيلاميون ؟

ويؤيد ذلك فرانكفورت ايضا ويقول :

« ولا يزال سكان المستنقعات في ايران الشرقية حتى اليوم يعيشون على شواطيء البحيرة الكبيرة لنهر كارون ٠ وهم مثل عرب مستنقعات جنوب العراق ، يبنون مراكب واكواخا من قصب، ويصطادون السمك ويحتفظون بالجواميس والماشية ، ولابد ان مثل هذه الاحوال كانت سائدة في كثير من أنحاء فارس في هذه الفترة٠ والمهاجرون من مثل هذه المناطق يكونون دوما على استعداد تام لمواجهة الحياة في منطقة كمنطقة دلتا الفرات »٠ ويضيف الى ذلك قوله :

« ان الخزف الذي صنعه السكان القدماء في جنوب مابين النهرين يبين انهم جاؤا به من فارس٠ وقد احتفظوا في البداية بالرسوم الهندسية الشديدةالتشابك التي كانوا يستعملونها في بلادهم الاصلية » ٠ (« فجر الحضارة في الشرق الادنى»،ترجمة ميخائيل خوري ، ١٩٦٥ ، ص٦٢) ٠

يقول الاستاذ طه باقر « ان السومريين هم احد الاقوام الذين عاشوا في جهة ما من وادي الرافدين في عصور ماقبل التاريخ ثم استقروا في السهل الرسوبي منه في حدود الالف الخامسة قبل الميلاد أو بعد ذلك الزمن » ٠ ويضيف الى ذلك قوله انه يمكن تتبع اصول الحضارة السومرية الى جذورها الاولى في عصور ما قبل التاريخ(٤) ٠ هذا ما يقوله الاستاذ طه باقر وهو نفس الكلام الذي يردده الباحثون الغربيون لارجاع عصر السومريين الى عصور ماقبل التاريخ اي الى عصر العبيد لكي يجعلوا السومريين اقدم المستوطنين في جنوب العراق ، هذا في حين ان كل الدلائل التي يدونها الاستاذ طه باقر نفسه تؤكد ان السومريين وكتاباتهم كلها ترجع الى عصور فجر السلالات اي في ما بعد التاريخ وليس في ما قبل التاريخ٠ الم يكن هو القائل بان الراي الذي ذهب اليه الباحثون من ان يجعل بداية حضارة وادي الرافدين في عصر العبيد بداية ما يسمى بالحضارة السومرية التي ازدهرت في مطلع الالف الثالثة قبل الميلاد رايا ضعيفا ؟(« مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة»، ص٢٣) فكيف التوفيق بين هذا وذاك؟ ثم اين كان السومريون في الالف الخامسة قبل الميلاد ؟ هذاما يحملنا على ان نسأل ايضا : من هي الاقوام التي استقرت في وادي الرافدين من غير الساميين ؟ فالمعلوم عندنا ان غزوات الشعوب غير السامية مثل الحيثيين والكوتيين والميتانيين وغيرهم كانت متأخرة اذ حدثت بعد تواجد الساميين في المنطقة، اذن لماذا لانعتبر الحضارة السومرية مقتبسة من الحضارة السامية التي سبقتها في الاستيطان في وادي الرافدين ؟ الم تكن حضارة العبيد التي ظهرت في الالف الخامسة قبل الميلاد في جنوب العراق محاطة من كل اطرافها بحضارة عبيدية سامية في سورية وفي جزيرة العرب وفي الخليج العربي ؟

الم تكن هذه حضارات سامية ترجع الى زمن حضارة العبيد العراقية ؟ والغريب ان الاستاذ طه باقر يردد ما ابتدعه الباحثون الغربيون من ان اهل حضارة العبيد (مجهولون)(٥) . فهل هم مجهولون حقا ؟ ثم يقلد المستشرقين فيؤيد كون السومريين دخلوا العراق في سنة ٥٠٠٠ ق.م. لارجاع تواجد السومريين في جنوب العراق في عصور ماقبل التاريخ .

ويبدو ان الاستاذ طه باقر لم يستقر على راي ثابت في ما يتعلق باصل السومريين، فكل ما دونه في كتاباته عن تاريخ العراق القديم يؤكد بان السومريين ظهروا في عصور فجر السلالات (اي في العصور التاريخية) وهذا هو الواقع فعلا ، اذ اننا لا نملك اي دليل او اية اشارة الى ان السومريين تواجدوا في وادي الرافدين في عصور ماقبل التاريخ . ثم يعود الاستاذ باقر فيقول ان السومريين تواجدوا في وادي الرافدين في الالف الخامسة قبل الميلاد ، اي في عصور ما قبل التاريخ ، بقصد ارجاع تاريخ السومريين الى عهود لم يكن لهم وجود فيها ، كما ذهب اليه بعض الباحثين الغربيين الحاقدين على الساميين وعلى العرب ، ولم يكتف الاستاذ باقر بالقول ان السومريين تواجدوا في وادي الرافدين في عصور ماقبل التاريخ خلافا لما ابداه في رأيه الاول ، بل يؤكد بانه «يمكن تتبع اصول الحضارة السومرية الى جذورها الاولى في عصور ماقبل التاريخ » . فهل كانت هناك حضارة سومرية قبل ان يكون السومريون قد ظهروا الى عالم الوجود ؟ فباي الرأيين ياخذ الاستاذ طه باقر بهذا ام بذاك ؟ املنا بعد هذا ان يوضح لنا رايه الصريح في هذا الموضوع .

اما قول الاستاذ باقر في مسألة السومريين من تاريخنا القديم وانها مشكلة مستعصية لم تستطع الدراسات اللغوية والآثارية حلها وانها العقدة الاساسية في تاريخنا القديم فيجب علينا ان لانتوقع من الغرب ان يحل لنا هذه العقدة اوالمشكلة لان الغرب هو الذي ابتدع هذه العقدة وغذاها بجميع كتاباته عن تاريخنا القديم بقصد ابعاد دور الساميين في تأسيس وتطور حضارة وادي الرافدين وذلك بغية جعل المبادهة الحضارية في وادي الرافدين الى عنصر غريب عن الساميين من خارج المنطقة وهو العنصر السومري الغريب في لغته . لذلك لا يمكن ان يتم حل هذه العقدة الا على ايدي العرب انفسهم، فاذا كان العذر في كتابة تاريخ وادي الرافدين من غير العرب مقبولا في ما مضى على اعتبار ان الامم الغربية قد سبقتنا في ميادين العلم الحديث فلا يوجد لهذا العذر اي مبرر بعد ان اصبحت الامة العربية زاخرة بعلمائها ومؤرخيها اذ اصبح لدينا الان عدد غير قليل من الخبراء العرب المتخصصين في الآثار وفي التاريخ القديم بحيث يستطيعون حل هذه العقدة من غير تدخل الاجنبي. وعلى هذا ارى ان يتم حل هذه العقدة بعقد مؤتمر تدعى اليه كل الجهات المتخصصة في الاثار والتاريخ القديم من البلاد العربية ولابأس في دعوة علماء اجانب ممن اثبتت دراساتهم التزامها بالامانة العلمية وعدم تحيزها الى جهة دون اخرى، هذا على ان يطلب من كل جهة مدعوة الى المؤتمر اعداد بحث يتناول النقاط الرئيسة التالية ومن ثم يجري النقاش حولها وتتخذ قرارات محددة فيها للاخذ بها من قبل الباحثين ، وهذه النقاط هي :

أولا : تحديد زمن تواجد السومريين في جنوب العراق ولو على وجه التقريب مع الادلة .

ثانيا : تحديد زمن تواجد الساميين في سورية وفي فلسطين ولو بصورة تقريبية ايضا .

ثالثا : تحديد زمن هجرات العرب من الجزيرة العربية اثر الجفاف الذي حل بها بعد العصر الجليدي الرابع .

رابعا : تحديد صلة مخلفات حضارة العبيد والوركاء وجمدة نصر التي تعود الى عصور ماقبل التاريخ بعصر السومريين ، فهل تعتبر مخلفات من العصر السومري اي سومرية ام سامية ؟ سيما بعد ان ثبت تواجد مخلفات هذه الحضارات نفسها في اقطار سامية مجاورة مثل سورية وجزيرة العرب والخليج العربي مما يدل على ان هذه المخلفات تعود الى العصر السامي وليس السومري كما صنفها المتحف العراقي وبخاصة بعد ان اثبت فحص الهياكل العظمية لاهل العبيد واريدو بانهم من اجناس حوض البحر الابيض المتوسط الذين منهم الساميون العرب .

نحن نعتبر استنادا الى المصادر المتوفرة لدينا ان حضارات حسونة وسامراء وخفاجي وتل اسمر والعبيد والوركاء وجمدة نصر ومسيلم كلها ترجع الى الاصل السامي العربي وقد قامت في عصور ماقبل التاريخ في خلال المرحلة الثالثة من مراحل حضارة وادي الرافدين وهي تؤلف حضارة العراق الاساسية ازدهرت قبل دخول السومريين الى العراق بالفى سنة على اقل تقدير اذ ثبت تواجد الساميين العرب في وادي الفرات في سورية وفي فلسطين (الحضارة النطوفية) منذ تسعة الاف سنة وسبعة آلاف سنة قبل الميلاد على التوالي ، كما ثبت تواجد حضارة العبيد في جزيرة العرب وفي الخليج العربي منذ الالف الرابعة قبل الميلاد . وهذا ما يدل على ان حضارة العبيد حضارة سامية وان الهجرات من جزيرة العرب قد بدأت منذ تسعة الاف سنة قبل الميلاد وهذا ما يمثل اقدم استيطان على نهر الفرات في سورية .

٤ ــ انتروبولوجية السومريين :

تدل آثار السومريين على انهم كانوا قصار القامة ممتلئي الجسم ذوي جماجم مستديرة وحواجب بارزة ، وكانت رؤوسهم مكتلة الشكل على وجه التقريب ، جباههم منسرحة قليلا الى الوراء تكاد تكون مربعة وعيونهم مائلة الى الاسفل ، انوفهم بارزة مصفحة ليست كانوف الاجناس السامية ، شعر راسهم طويل مضفور بشكل ضفائر مرسلة على الكتفين من الامام على الجانبين ، اما لحاهم فطويلة مجزأة الى مربعات لكن رؤوس ابناء تلك الامة قد اصبحت بعدئذ حليقة اللحى والشوارب على الغالب مقصوصة الشعور الى حد الاحفاء . هذه هي اهم الصفات التي تميز بها السومريون الذين لم يكونوا من الساميين ولم يكونوا من الامم المعروفة الجنس والفروع[٦] . (انظر التصويرين ٥٣ و ٥٤) .

٥ ــ لغة السومريين :

اما اللغة السومرية فلا تمت بصلة الى اية عائلة لغوية معروفة سواء قديمة او حديثة ، بل هي نوع من اللغات التي يسميها اللغويون (اللغات الالصاقية) او (اللغات الالحاقية) التي تتألف من مقطع او اكثر ، ويستعان بهذه المقاطع بزوائد مقطعية تلتصق بالمادة الاصلية على صورة لواحق . والسومريون كانوا يستعملون الفاظا واحدة المقاطع . فكلمة بيت عندهم هي (اي) والصفة التي معناها عظيم او كبير هي (كل) وكلمة رجل هي (لو) ، فكانوا ينطقون مثلا (لو ـ كل) وواضح ان معناها الحرفي (الرجل الكبير او العظيم) . وكانت هذه التسمية تعني عندهم

التصوير رقم (٥٣) • انتروبولوجيـــة السومريين



راس سومري من لجش (انظر الفقرة ٤)



التصوير رقم (٥٤)

(كما رسم السومريون انفسهم وعليهم ثياب من الصوف)

(الملك) • والبيت الكبير الذي يفوق به المعبد كان يقال له (اي-كل) وهي الكلمة التي انتقلت منهـم الى الساميين حتى اخـذهـا العرب بلفظ (هيكل) •

ومن هذه الفصيلة في اللغات الحديثـــة الصينية وكثير من اللغات واللهجات القريبة منها في اواسط آسيا والشرق الاقصى • «واللغة السومرية كغيرها من اللغات تحتوي عـلى بعض الكلمـات المستعارة وقد بينت المخلفات الكتابية السومرية ان اللغة المذكورة تحوي كلمات مستعارة من اللغة الاكدية فقط »[٧] •

وقد دون الدكتور فوزي رشيد في كتابـه « قواعد اللغة السومرية » الكلمات التي امكـــن اثبـات أصـلها • وهـذا مـا يـدل عـلى ان الساميين سبقوا السـومريين في الاســتيطان في

جنوب العراق . فاقتبس السومريون كلمات سامية استعاروها من الاكدية السامية . هذا مع العلم ان اللغة التي كانت مستعملة في كيش السامية كانت اللغة السامية الاكدية واللغة السومرية[٨] . (انظر ما يلي عن الخط المسماري في الفصل السابع) .

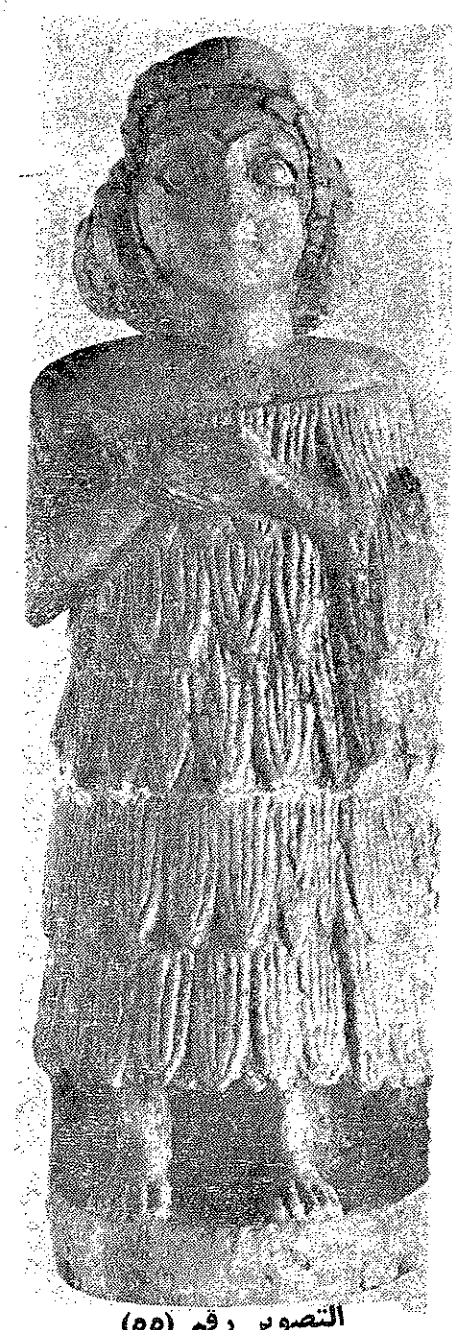
٦ ـ العصر السومري :

يبدأ تاريخ السومريين ببداية العصور التاريخية التي تتوافق مع عصور فجر السلالات (انظر الفقرة ١٠ من الفصل الثالث) . اما ماقبل ذلك فلا نملك اية معلومات او اي دليل او اشارة يمكن الاستدلال بها على ان السومريين تواجدوا في جنوب العراق في عصر ماقبل التاريخ . لذلك ان كل مانعرفه عن السومريين يرجع الى عصر فجر السلالات . فقد تميز عصر فجر السلالات هذا بالنسبة الى احداث السومريين بظهور السومريين في الميدان الحضاري ففي هذا العصر تعرفنا لاول مرة على اولى الكتابات السومرية باللغة السومرية وبالخط المسماري وذلك بعد ظهور وسائل الكتابة والتدوين عن طريق دور سلالة لجش الاولى في تكوين حضارة سامية سومرية .

لذلك ان تاريخ العراق القديم لابد من تقسيمه الى قسمين : القسم الاول يعود الى عصور ماقبل التاريخ (اي قبل ظهور السومريين على مسرح الاحداث) والمتمثل بحضارات العبيد واريدو والوركاء وجمدة نصر واخيرا حضارة عصر « مسيلم » السامية . والثاني يرجع الى العصور التاريخية المتمثلة بحضارة عصور فجر السلالات وهي مرتبطه بالحضارة السامية ـ السومرية المزدوجة التي ازدهرت في هذه العصور . والاصح ان يقال ان هناك مدنا ظهرت في اقصى الجنوب اسست في عصور ماقبل التاريخ (العصور الحجرية) وهي سامية الاصل ، ثم ازدهرت هي نفسها في العصور التاريخيه في وقت لاحق بعد ظهور السومريين حضارة مزدوجة (حضارة سامية سومرية) في تلك العصور ، بدليل ان اقدم مدينة ظهرت في جنوب العراق وهي اريدو كان يحكمها ملك من اصل سام وهو «الولم» قبل الطوفان .

ان أول معرفتنا بالسومريين وصلتنا مقرونة بلقب ملك سومر وأكد ، فقد ورد اسم السومريين أولا بالاكدية باسم سومر واكد (Sumeri-Akkadi) يقابلها باللغة السومرية (Kin-en-ge) ظهر ذلك لاول مرة في كتابة تعود الى ملك الوركاء « اينساكوسانا » (Ensakusanna) حوالي سنة ٢٤٥٠ قبل الميلاد . فكان يطلق اسم (Kin-en-ge) على المنطقة المختصة بمدينة « نفر » ولكن بعد هذا التاريخ بدأ يطلق على القسم الجنوبي منها «رجل من سومر» او سومري . وهذا يدل على ان أول ذكر للسومريين في النصوص السومرية يرجع الى حوالي منتصف الالف الثالثة قبل الميلاد وقد جاءت مقرونة بأكد وسومر ، مما يؤكد بأن بلاد سومر وأكد كانت تؤلف وحدة جغرافية لاتتجزأ كما كانت وحدة دينية متماسكة (انظر التصوير ٥٥) .

ويقسم العصر السومري الى حقبتين منفصلتين الاولى تعرف بالعصر السومري القديم ، ٣٠٠٠ـ ٢٣٧٠ ق.م.) والثانية تعرف بالعصر السومري الحديث (٢٢٨٠ـ٢٠٠٣ق.م.) تفصل بينهما فترة الامبراطورية الاكدية السامية (٢٣٧٠ـ٢١٥٩.) وفترة غزو الگوتيين (٢٢١٠ـ٢١١٦ق.م.) . وتقع الحقبة الاولى في عصر فجر السلالات الثالث(٢٦٠٠ـ٢٣٧٠ق.م.) وتكون هذه الحقبة حضارة



التصوير رقم (٥٥)
تمثال لامراه سومريه من الرخام
يمثل زي امرأة وجد في اور
٢٠٥٠ ق.م

دويلات المدن التي ازدهرت في هذا العصر مثل لجش وأور ونفر والوركاء وادب وغيرها . وقد عاصرت هذه الدويلات كلا من سلالة اوروك الاولى وسلالة لجش الاولى وسلالة اور الاولى وسلالة كيش الاولى على التوالي ، مع العلم انسلالة كيش تمثل أقدم الاشارات المدونة في النصوص المسمارية الى وجود قبائل الجزيرة العربية في جنوب وادي الرافدين .

اما الحقبة الثانية فقد ازدهرت في أعقاب انهيار الامبراطورية الاكدية واخراج الگوتيين من البلاد واستمرت في الفترة الممتدة بين ٢٢٨٠و٢٠٠٣ قبل الميلاد ٠ومن الواضح ان هاتين الحقبتين عاشتا في كنف الحضارة السامية التي ازدهرت في شمال وفي جنوب وادي الرافدين أكثر من ثلاثة الاف عام من عصور ما قبل التاريخ ٠

وتبرز هنا ظاهرة طغيان الحضارة السامية التي لازمت تاريخ وادي الرافدين في كل مراحل حضارته مما يدل على انه كان للعنصر السامي جذور عميقة في المنطقة ، فشبح السامية لم يفارق المجتمع السومري منذ ان وطأ السومريون أقدامهم في ارض العراق ، فكانت سومر وأكد تؤلفان وحدة حضارية يسودها تعاون مشترك لتحقيق هدف واحد ، هو السعي وراء التقدم والتطور لوضع دعائم (الحضارة السامية ــ السومرية) ، ولكن شاءت الاقدار ان يفني السومريون ويخلد الساميون ليكونوا أعظم الامبراطوريات السامية مما عرفه العالم القديم ٠ لذلك نكون اقرب الى الحقيقة الواقعة اذا سمينا العصر السومري القديم باسم (العصر السامي ــ السومري) القديم بدلا من العصر السومري القديم ، وكذلك بالنسبة للعصر السومري الحديث فنطلق عليه اسم (العصر السامي ــ السومري الحديث) ٠

٧ ــ أصل المدن السومرية :

ومن المهم ذكره في هذا الصدد انه ثبت بان المدن التي ازدهرت في الدور السومري القديم ، اي في عصر فجر السلالات الثالث مثل (لجش والوركاء ونفر وأور وأدب وغيرها من المدن) لم تمثل أقدم استيطان في المنطقة بل سبقها في الاستيطان شعب ذو حضارة استقى السومريون مقومات حضارتهم منه ، بدليل ان هذه المدن التي سميت سومرية الاصل مثل لجش واريدو والوركاء وأور ونفر وغيرها من المدن السومرية قامت فوق بقايا قرى من دور العبيد الذي يرجع الى عصور ما قبل التاريخ ، وهذا ما يدل دلالة واضحة على ان شعبا ذا حضارة أقدم وأرقى من العصر السومري القديم سكن هذه المنطقة قبل السومريين ولا يمكن ان يكون هذا الشعب الاسكان أهل العبيد الذين تثبت كل الدلائل ساميتهم (انظر ما تقدم عن عصر العبيد واريدو في الفقرة ٧ ب من الفصل الثالث) ٠

يؤكد ذلك الاستاذ طه باقر ويقول ما نصه : « وجدت الآثار المختلفة الممثلة لدور العبيد (باطواره الاربعة التي يقسم اليها الان) في جميع انحاء العراق على أن العبيد الشمالي في شمال العراق يختلف من بعض الوجوه عن العبيد الجنوبي٠ ويمكن القول انه في الاجزاء الوسطى والجنوبية من العراق قامت المدن التاريخية المشهورة فوق بقايا قرى من دور العبيد كما تشير الى ذلك التحريات الاثارية التي تمت في مثل هذه المدن ،تخص بالذكر منها أور وأريدو ولجش ونفر والوركاء وغيرها بالاضافة الى المواضع الاثرية الكثيرة في شمالي العراق»(٩)٠ ولما كانت آثار حضارة العبيد التي وجدت في شمال وادي الرافدين في سورية والاثار المماثلة التي وجدت في جزيرة العرب وفي الخليج العربي تعتبر اثارا لحضارة سامية عربية ، فلابد ان تكون طبقات دور العبيد العراقي التي وجدت تحت المدن التي اعتبرت سومرية الاصل مثل اور واريدو ونفر وغيرها كانت طبقات سامية أيضا ، وهذا ما يدل ان شعبا ساميا كان قد سبق السومريين في سكنى جنوبي

العراق ، وان هذه المدن في هذه الحالة لايصح ان نعتبرها سومرية الاصل ، بل هي سامية الاصل ، والاصح سامية عربية الاصل ، لان أقدم استيطان فيها هو الاستيطان السامي العربي الذي مصدره البشري جزيرة العرب .

يؤكد ذلك الدكتور مورتكات ويقول :« لقد انتزعت سومر القناة الفكرية والحضارية في بلاد الشرق الادنى عند مطلع الالف الثالث قبل الميلاد وسبقت حقا مصر في خلق أول حضارة مزدهرة تكمن فيها بذور تاريخية . ولكننا لانعرف اذا كان ذلك فترة النضوج الفكري لشعب المنطقة أو أنه كان بتأثير شعب قدم الى هنا ». [10] ويواصل دكتور مورتكات حديثه عن السومريين ويتساءل هل كان السكان في العصور القد (عصور اوروك وجمدة نصر ومسيلم من السومريين الذين ظهروا في عصر فجر السلالات هل هم أنفسهم طرأ عليهم تغير داخلي شامل ، أم ان هذا التغير جاء نتيجة تفاعلهم مع نازحين جدد ؟ وهذا نص سوآله وتعليقه عليه ، قال : « ترى هل كان سكان البلاد في هذا العصر (اي العصر السومري الحديث) هم أنفسهم السكان السابقين الذين طرأ عليهم تغير داخلي شامل ، أم أن هذا التغير جاء نتيجة تفاعلهم مع نازحين جدد ؟ مما لاشك فيه بعد الآن ان السكان الذين شيدوا أقدم حضارة مزدهرة في بلاد ما بين النهرين خلال عصر اوروك الرابع (يقصد طبقتي الوركاء ، الرابعة والخامسة) وجمدة نصر ، لابد وان يكون قد رافقه تغلغل الساميين الذين جاءوا من بادية الشام وذلك على الاقل في خلال عصر مسيلم ان لم يكن قبله . تأكيدا لذلك فقد زودتنا حفريات ماري (تل الحريري في اواسط الفرات) بكتابات سامية لايمكن ان تكون أحدث بكثير من عصر مسيلم ملك كيش وذلك اذا انطلقنا من دراسة نوع الخط وعلاماته الفارقة . واذا ثبت بشكل قاطع ـ كما تشير جميع الدلائل بان الثقل الحضاري في عصر مسيلم قد تحرك من الجنوب نحو الشمال فانه يجوز لنا ان نعيد سبب ذلك بقليل من الارجحية الى الساميين . بناء على ذلك يمكننا ان نعلل الانقلاب الاول الذي اعقب عصر جمدة نصر وهو عصر مسيلم كنتيجة لتطعيم الشعب السومري القوي بدم الشعب السامي . وختاما لابد لنا من التوضيح ان السامية قد ظهرت الى الوجود في عصر مسيلم خلف لباس سومري دون ان تكون سامية خالصة » . [11] (انظر ما تقدم عن عصري الوركاء وجمدة نصر في الفقرتين ٧ج و٧ و من الفصل الثالث) .

وهذه التفاتة مهمة من دكتور مورتكات ، فانه ينبه فيها الباحثين الذين اعتبروا أهل حضارات العبيد والوركاء وجمدة نصر سومريين قبل ان نكون قد تعرفنا على السومريين في عصر فجر السلالات الى الخطأ الذي ارتكبوه باعتبار حضارات العبيد والوركاء وجمدة نصر سومرية . ثم يعترف بتنبيهه هذا ضمنا بتاثير الساميين الذين جاءوا من بادية الشام ، أي الساميين الغربيين ويؤكد دكتور مورتكات أهمية الدور الذي لعبته مدينة كيش منذ أقدم العصور في نشر السامية في المنطقة ويقول : وبما ان سلالة كيش بحقبتها الزمنية التي شملت ٢٤٠٠٠ سنة قد سبقت عصر فجر التاريخ الذي تمركز سياسيا وفكريا في أوروك فانه يجوز لنا ، بتحفظ قليل ، أن نرى في تلك السلالة تلميحا لذلك التطور الطويل لبلاد الرافدين خلال العصر الحجري الحديث وبصورة خاصة

خلال العصر الحجري النحاسي ، أي عصر مجتمع القرية هذا المجتمع الذي لـم يعـد يجوز لنا ان نحصره في أقصى جنوب الرافدين فقط ».[١٢]

اما تساؤل دكتور مورتكات عن حقيقة هوية حضارة أوروك في ما قبل التاريخ وابداء شكوكه في اعتبار الباحثين حضارة عصور العبيد والوركاء وجمدة نصرا عصرا سومريا ، فجوابنا على سؤاله بلا تردد هو : ان حضارات عصور العبيد والوركاء وجمدة نصر هي من عصور ما قبل التاريخ وقد ازدهرت في ذلك الدور قبل ان نتعرف على ما يسمى بالسومريين بثلاثة الاف سنة ، لذلك فلا صلة لها بالسومريين الذين تعرفنا عليهم في عصور فجـر السلالات اطلاقا . وكل الدلائل والقرائن تثبت كون حضارة هذا الدور في ما قبل التاريخ حضارة سامية عربية كما كررنا ذلك عدة مرات . فالعنصر السامي هو الذي كان سائدا في هذا الدور فاثبت وجوده في كل الشرق الادنى منذ آلاف السنين . اما حضارة السومريين التي تواجدت أول مرة في عصر فجر السلالات فهي جزء من حضارة وادي الرافدين استقرت في العراق ولايصح ان نطلق عليها غير حضارة (سامية سومرية) لاشتراك العنصرين السامي والسومري في صنعها . وحتى في هذا الدور نفسه كـانت للساميين السـيطرة السياسية في بعض الحالات . فهناك ما يدل على ان دولة سامية كانت تحكم في لجش السومرية في عصر فجر السـلالات الثانـي (٢٨٠٠-٢٦٠٠ق.م.) يقول الخبير الامريكي البرخت كوتزه : « ان هناك دولة كبيرة من الساميين مركزهـا في لجش وجدت أثناء عصر فجر السلالات الثاني على وجه التاكيد »[١٣] كما تدل النصوص على امتداد سلطة مسيلم ملك كيش السامية على مدينتي لجش وأدب السومريتين حيث كان حاكماهما تابعـين لـــــه[١٤] .

٨ - الكتابات السومريـة مـن العصريـن القديـم والحديث :

لقد تعرفنا بعد ظهور الكتابة على أولى الكتابات السومرية باللغة السومرية التـي تعود الى العصر السومري القديم ويرجع زمنها الى عصر فجر السلالات الثالث (٢٦٠٠-٢٣٧٠ق.م.) عثر عليها في مدينة لجش وقسم قليل منها وجـد في مدينة نفر وأور وأدب . وكانت هذه الكتابات تحتوي على كثير من النصوص الاقتصادية والكتابات الملكية . اما النصوص الادبية فلم يكن لها وجود . هذا مع العلم ان أهم هـذه الكتابـات جاءتنا من لجش (سلالة لجش الاولى التي حكم فيها عشرة ملوك بين سنة ٢٥٢٠و٢٣٥٥ق.م. في عصر فجر السلالات الثالث . ثم تلتهـا كتابـات العصر السومري الحديـث (٢٢٨٠-٢٠٠٣ق.م.) وكان ذلك في اعقاب حكـم الاكديين الساميـين (٢٣٧٠-٢١٥٩ق.م.) فحكمت أولا سلالة لجش الثانية (٢٢٨٠-٢١٠٩ق.م.) التي اشتهر فيهـا كوديا (٢١٤٤-٢١٢٤ق.م.) وبعدها حكمت سلالة أور الثالثة (٢١١١-٢٠٠٣ق.م) التي اشتهر فيها أور نمو (٢١١١-٢٠٩٤ق.م.) ومن هذه الفترة جاءتنا اعداد هائلة من النصوص السومرية وبينها اعداد لا تحصى من النصوص الاقتصادية من مدينة لجش وأومة (جوخا حاليا) ودريهم (دكان قديما) وأور . كما ان كتابات كوديا حاكم سلالة لجش الثانية (٢١٤٤-٢١٢٤ق.م.) والذي حكم فتـرة قصيرة تسبق زمن أور الثالثة تعتبر أولى أنواع الانتاجات الادبية السامية السومرية . وكذلك زودتنا فترة سلالة أور الثالثة تاليف أدبية كثيرة ثم عثر في تل الصلابيخ على بعض الالواح المسمارية التي تضم انتاجات أدبية سومرية تعود الى العصر السومري القديم . ومما لاشك فيه ان الانتاج

الأدبي الذي ظهر في العصر السومري الحديث في النهضة السومرية الجديدة ناجم عن اقتباس السومريين الكثير من مقومات الحضارة السامية بعد ان احتك السومريون بالساميين في خلال حكم الأكديين الساميين الذي شمل كل البلاد ودام حوالي ٢٠٠ سنة.

يتضح مما تقدم ان الحكم السومري بعصريه القديم والحديث لم يدم أكثر من ٥٠٠ سنة وهو يعيش في وسط سامي متفوق ثقافياً وحضارياً على الثقافة السومرية. ومما لاشك فيه ان السومريين اقتبسوا الكثير من حضارتهم. الوقتية من الساميين وبخاصة بعد ان استولى الأكديون الساميون على الحكم في كل البلاد (٢٣٧٠ ـ ٢١٥٩ق. م) وباحتلال أور والقضاء على حكام أور انتهى امر الشعب السومري في المنطقة نتيجة تزايد عدد الساميين كما ان لغتهم السومرية لم تعد لغة تخاطب يومية ولكنها اقتصرت على الاستعمالات الدينية والفلكية حتى ميلاد المسيح[15].

٩ ـ عصر فجر السلالات:

لقد تميز عصر فجر السلالات بالنسبة لأحداث السومريين في الامور التالية:

١ ـ ظهور السومريين لأول مرة في الميدان الحضاري وتعاونهم مع الساميين الذين سبقوهم في الاستيطان في جنوب العراق في صنع الحضارة السامية السومرية. ففي هذا العصر تعرفنا لأول مرة على أولى الكتابات السومرية وبالخط المسماري بعد انتهاء العصر الشبيه بالكتابي (Proto-Literate) (٣٥٠٠ ـ ٢٨٠٠ق. م) وبخاصة كتابات لجش في عهد سلالة لجش الأولى.

٢ ـ اكتشاف مقبرة أور الملكية • (انظر الفقرة ١٢ التي تلي)•

٣ ـ ظهور ملحمة جلجامش وقصة الطوفان(انظر الفصل الرابع) •

وكان أهم ما يتميز به هذا العصر نظام الحكم في المدائن السومرية السامية، فكانت تشكل كل من المدائن دولة مستقلة لها حدود لأراضيها تستقل بها وتدافع عنها • ففي هذا النظام نشأت لأول مرة فكرة المواطن والمواطنة وفكرة الدولة في الادارة والحكم •وكان لكل من هذه الدويلات عاصمة استقت الدولة اسمها منها • وكانت هذه الدويلات في احتراب دائم ما بينها بغية الاستحواذ على الاراضي الزراعية ومصادر مياه الري والاستئثار بالسلطة، وبينما كانت هذه الدويلات المتعددة منشغلة في النزاع مع بعضها كان الساميون الأكديون ينظمون صفوفهم ويتربصون الفرص للوثوب عليها وانتزاع الحكم من ايديها وقد تم لهم ذلك في حدود سنة ٢٣٧٠ بزعامة سرجون الأكدي •

وفي نظرنا ان التنافس بين الدويلات السومرية والاكدية من أجل السيطرة وابتداع أسباب القوة المادية التي تمكن الحكام من تحقيق طموحهم في الفتح والتوسع، في السيطرة والسلطان، ثم التسابق في انشاء المشاريع العمرانية على اختلاف أنواعها وأهمها مشاريع الري والزراعة من أجل جمع الثروة والظهور بمظهر العظمة والتفاخر بمثل هذه الانجازات، والصراع الدامي بين الدويلات الذي دام أكثر من الفي سنة، كل ذلك ساعد على بعث التقدم والنشاط المبدعين الذين كانت حصيلتهما انبثاق أقدم حضارة في تاريخ البشرية هي الحضارة السومرية الاكدية بزعامة الساميين•

يتضح مما تقدم ان أكثر النزاعات بين المدائن كان يدور حول توزيع مياه الارواء والسقي وعلى الاستيلاء على الاراضي الزراعية الخصبة ،حيث كانت الزراعة أهم موارد الوادي ، فكلما اتسعت الاراضي الزراعية ضمن حدود الدولة كلما زادت ثروتها الاقتصادية وقوى كيانها السياسي . لذلك كانت كل دويلة تسعى لتوسيع رقعة أراضيها الزراعية على حساب المدائن المجاورة، فاتسعت المدن على مر الزمن وازدحمت بسكانها وأحيط بعضها بأسوار أقدمها سور الوركاء على زمن ملكها المشهور جلجامش (انظر ما تقدم عن دور الوركاء في الفقرة ٧هـ٠من الفصل الثالث) كما أصبح لكل مدينة كيان سياسي مستقل يرأسها حاكم أو ملك تنحصر فيه غالبا السلطتان الدينية والدنيوية ، وكان حاكم المدينة يعتبر زعيمها السياسي وكاهنها الاعظم في الوقت نفسه ، وبمرور الزمن انفصلت السلطتان وأصبح منصب الحاكم أو الملك وراثيا انحدرت سلطته من السماء . وكان حاكم المدينة يعاونه مجلس شورى من رجال المدينة يستمع الى آرائهم في المسائل المهمة وأوقات الازمات والحروب ،وبذلك يكون الساميون والسومريون هم أول من وضع أسس نظم ما نسميه اليوم بالبرلمان .

لذلك أصبحت المنازعات بين دويلات المدن من اهم خصائص وادي الرافدين في ذلك الوقت بعكس الحال في مصر حيث وحدة البلاد كانت من أهم خصائصها في العصور التاريخية القديمة ولان زراعتهم تعتمد على نظام الري الحوضي دون جهد كبير (انظر الفقرة ٣ من الفصل الاول) . وهكذا فان الصورة الحضارية في مصر كانت تمثل حياة زراعية صرفة بينما كانت في العراق خليطا بين أهل الريف والمدن .

والفارق بين المدينة والقرية يكمن في ان معظم سكان المدن هم من الحرفيين والتجار ورجال الاعمال والادارة والحكم ، ومعنى هذا ان ظاهرة المدن لاتتاتى الا في اعقاب الانقسام الاجتماعي القائم على اساس تقدم مستوى التكنيك الزراعي وتوفر فائض الانتاج ، وذلك لتوفير وسائل العيش لسكان المدن غير المشتغلين في الاعمال الزراعية على ذلك الفائض . فالمدينة اذن هي وليدة الحضارة والحضارة وليدة المدينة . وكان الوضع في العراق يدعو الى ضرورة قيام وحدة سياسية أكبر من دويلة المدينة تضم تحت سلطتها السهل الرسوبي كله وتبسط سلطانها على جميع بلاد سومر وأكد . ويلاحظ ان محاولة اقامة هذه الوحدة ما بين دويلات المدن كانت تأتي من الساميين وليس من السومريين . فكان أول من لقب بملك كيش السامية المدعو « مسيلم » احد ملوك سلالة كيش الثانية الذي حكم في نحو عام ٢٦٥٠ قبل الميلاد ،وتطور مدلول ملك كيش في العصور التاريخية التالية الى معنى ملك العالم . وتدل المدونات الاثارية على ان حاكمي لجش وادب كانا تابعين لحكم مسيلم السامي ويرجح البعض ان مسيلم حكم القطر كله . ثم اعقب محاولة مسيلم قيام الامبراطورية الاكدية التي حققت الوحدة المنشودة . هذا مع العلم ان سلالة كيش السامية كانت تتمتع بمركز قيادي سياسي في البلاد وان عدة ملوك قدامى قد اتخذوا لقب ملك كيش الذي كان يرمز الى مركز القيادة السياسية والحضارية في البلاد . وكان قد جرى العرف السياسي ان الحاكم الذي ينجح في مد سلطانه على المدن الأخرى كان يتخذ لقبا سياسيا هو (ملك كيش)

ولقب الملك ثم تطور مدلول (ملك كيش) في العصور التاريخية التالية الى معنى ملك العالم. وقد سبقت الاشارة الى ذلك . ومما يدل على أهمية مركز كيش القيادي انها تولت القيادة السياسية في البلاد بعد الطوفان مباشرة .

والمهم ذكره في هذا الصدد انه لم يكن في نظام المدينة أي اثر للنظام القبلي منذ أواخر عصر ما قبل التاريخ ، ولعل العامل في ذلك ان الوحدة السكنية في حضارة وادي الرافدين كانت أولا القرية الفلاحية ثم المدينة المعتمدة على الاقتصاد الزراعي وجهاز الري والتجارة ، فنشأت فيها بدلا من الانظمة القبلية والولاء القبلي أنظمة سياسية واجتماعية فريدة من نوعها منذ أبعد العصور التاريخية مثل مجلس المدينة ومشيخة المدينة ثم ملك المدينة(١٦) .

٩ أ ـ حضارة فجر السلالات في وادي الرافدين ـ حضارة دينية :

كانت المعتقدات الدينية تلعب دورا رئيسا في جميع نواحي حياة سكان وادي الرافدين القدامى ، فكل حدث من خير أو شر أو كل مصيبة تحل بالبلاد كانت تعزى الى ارادة الالهة ، وكان لابد من ترضيتها بالنذور والضحايا والقرابين ،لذلك كان المعبد (مسكن الآلهة) مركز الحياة الثقافية في المدن ومحور الحركة والعمران ومظهر نشاط المجتمع في جميع صنوف الحياة .

وكان لكل مدينة اله خاص بها تحتمي به ،له حق السيادة وهو ما لكها في الوقت نفسه . وعليه فقد كان السكان في الدويلة ملك الاله الذي تنتمي اليه تلك الدويلة . وكانت الهياكل تقوم بدور شديد الخطورة ، فلكل مدينة عدة هياكل،وتصنف هذه الهياكل على شكل درجات وفئات ، فتعود الاولوية الى هيكل الاله سيد المدينة وهو اكثر الهياكل غنى . وكان من أهم وظائف الحاكم، علاوة على قيامه بواجبات الكهانة وحفظ النظام ،السهر على درء اخطار الفيضان والقيام بمشاريع الري وصيانتها وتحسينها ثم قيادة شعبه في حالة الحرب .

وكان يحيط بمجموعة المعابد المركزية في المدن الرئيسة سور عال تعلوه الزقورة «زيكورات» او الصرح المدرج الذي يراه الناس الساكنون خارج المدينة ، وهذا هو المرتفع الذي كان الساميون والسومريين يقيمون على قمته أقدس شعائرهم الدينية . وكانت هذه الزقورة بمثابة حلقة وصل بين السماء والارض وأعظم وأقدم هذه الابراج وأشهرها برج بابل .

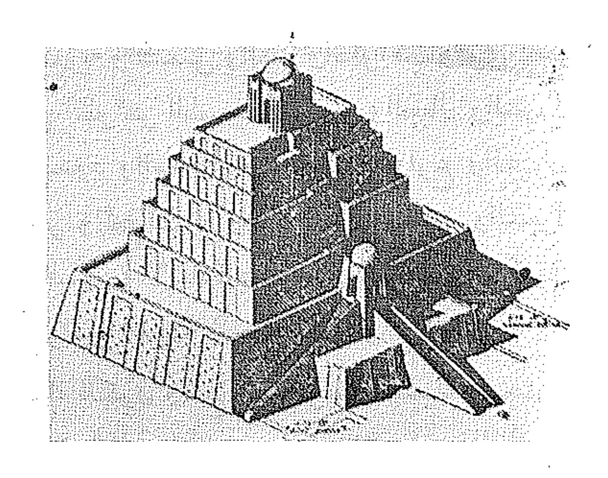
وقد ظهرت أولى المعابد العالية أي الزقورات التي اختصت بها حضارة وادي الرافدين كما تشير الى ذلك المعابد المقامة على مصاطب او دكات اصطناعية . ففي الوركاء كشف عن عدد من هذه المعابد في منطقة معبد « اي ـ انا » وهو المعبد المخصص للالهة « انانا » (عشتار) ، كما شيدت معابد أخرى للاله « آنو » في الموضع الذي شيدت فيه زقورته ، ففي المنطقة الأولى وجد مالا يقل عن ستة معابد مشيدة على هيئة ازواج اي على هيئة معبدين مجاورين . وقد فسر المنقبون هذا الترتيب بان المعبدين المزدوجين خصص احدهما للالهة « انانا » (عشتار) والاخر لزوجها الاله تموز . وتمتاز هذه المعابد بانها كانت مزينة بزينة من الفسيفساء تتألف من مخاريط من الطين المشوي لونت رؤوسها بأصباغ من ألوان (أسود وأحمر وأبيض) وكانت تثبت بالجدران الملطة بالطين . وقد شاع استعمال هذا الطراز من الزخارف الجدارية في العصر الشبيه بالكتابي . وتعتبر زقورة مدينة الوركاء في منطقة «اي ـ انا» من أقدم الزقورات . وفي العقير كشف عن معبد

من أولى المعابد العالية أو الزقورات معاصر في زمنه الى معابد الوركاء وهو قائم على دكة او مصطبة ترتفع أربعة امتار وزينت جدران المعبد العالي بصور جدارية ملونة منها اشكال آدمية واشكال حيوانية تعد اقدم صور جدارية[١٧] ٠(انظر التصوير رقم ٥٥ أ) ٠

وفي كنف المعبد ظهر اعظم اختراع حضاري في منتصف الالف الرابعة أي ظهور الكتابة حين دعت الحاجة الى ايجاد وسيلة لتدوين واردات المعبد واملاكه ٠ ويعتقد ان قوام

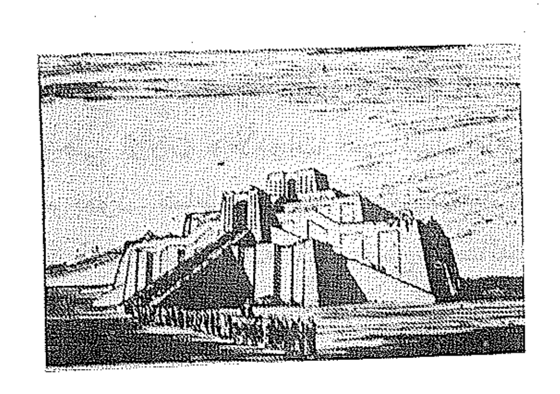
منظر عام تشاهد فيه بقايا الصرح المدرج (الزقورة) في أور

General View of the Ziggurat of Ur



نموذج للزقورة التي اعاد انشاءها الملك نابونيدس ملك بابل في أور (٥٥٦ ــ ٥٣٩ ق٠م٠)

Reconstruction of the Ziggurat of Nabonidus (556-539 B.C.) Woolley, op. cit. Fig. 18, p. 218



نموذج للزقورة التي انشأها الملك اورنمو ملك اور في اور (٢١١٣ ــ ٢٠٤٨ ق٠م٠)

Reconstruction of the Ziggurat of Ur Nammu (2113-2048 B.C.) Woolley "Excavations at

التصوير رقم ٥٥ أ نماذج من الزقورات (انظر الفقرة ٩ أ)

المعابد ومديري شؤونها كانوا اقدم حكام في المجتماعات المعبدية ، فكان الكاهن الأعلى حاكم المجتمع المعبدي وظل يجمع بين السلطة الزمنيـة والسلطة الدينية حتى بدأ الانفصال في فترة ما من عصر فجر السلالات حين ظهر الى جانب الكاهن الحاكم الزمني المفوض من اله المدينة وهو وكيل هذا الاله في ادارة دولته الارضية وهو يسمى « انسي » (Ensi) وكان يقرأ « باتيسي » واعقبه ظهور الملك « لوگال » (طه باقر ، مصدر سابق ،ص٣٢٨-٣٣٧) .

وقد ورد في قصة الخليقة السومرية ان أول من خلق الكون هم الآلهة ، اما الانسان فلم يخلق الا عرضا وبعد زمن وقد خلق من الطين ليعبد الآلهة فالتقصير في ذلك يعرض الانسان الى بطشها فلذلك نرى أن الحصول على رضا الآلهة كان أقصى ما يتوق اليه العبد ويسعى اليه . والآلهة تمتاز عن البشر في أنها تتصف بصفة الخلود فهي بخلاف الانسان لا تموت ، وان مات بعضها فانما يكون ذلك لأمد محدود وان عودة الاله الميت الى الحياة أمر ممكن بعكس الانسان .

وكان أهل اللاهوت من السومريين والساميين قد افترضوا وجود مجموعة من الألهة وهي كائنات حية شبيهة في هيئتها بالانسان ولكنهـا فوق الانسان وخالدة ، ومع خلودها فانها تحتاج الى الغذاء والى مقومات الحياة المادية الاخرى ،وهي تتعرض للمرض والاشراف على الموت كما أنها تخوض الحروب فتصاب وتقتل . وكان هؤلاء الآلهة يتزاوجون ويؤسسون الأسر ويحسون بالاحاسيس والعواطف البشرية ، ولماكان تصور الالهة على هيئة البشر فكان بعضهم ذكورا والبعض الاخر أناثا . وكان يعتقد أن هذه الالهة تسير الوجود وتسيطر عليه بموجب خطط مضبوطة ونواميس معينة مقررة ، وكل واحد منهم موكل بجزء خاص من هذا الكون ليسير شؤونه كالسماء والارض والبحر والهواء والاجرام السماوية والشمس والقمر والكواكب وقوى الجو أي الرياح والزوابع والعواصف ، وفي دائرة الارض الظواهر الطبيعية كالانهار والجبال والسهول ومقومات الحضارة والعمران كالمدن والدولة والسدود والجداول والحقول والمزارع والحبوب وحتى الآلآت والادوات التي منها الفأس وقالب الآجر والمحراث . وهكذا كان الكتاب والشعراء يوجهون نشاطاتهم الفكرية الى تمجيد الآلهـة وتعظيمهم والاشادة باعمالهم ومآثرهم وقد كشف عن أسماء هذه الالهة المتعددة من القصائد الشعرية والتراتيل الدينية المدونة على ألواح الطين .

ولوجود التفاوت في الاهمية والمنزلة بين أجزاء الكون وضع السومريون تقسيما للمجموعة الآلهية هو التمييز بين صنف الآلهة الخالقة الرئيسة وبين الآلهة الأخرى ، فاستنتجوا من ذلك أن الآلهة الاربعة المسيطرة على السماء والارض والماء والهواء كانت هي الآلهة التي خلقت كل ظاهرة كونية وجدت ونشأت مع الآلهة الاربعة المذكورة ، وهؤلاء هم : اله السماء المسمى «آن» واله الهواء « انليل » واله الماء « أنكي » أو « أيا » كما يسميه الساميون ، والالهة الام العظمى المسماة « تنخرساج » ، وكان لهذه الالهة الاربعة مكان الصدارة في مجالس الآلهة المقدسة .

أ ـ الاله « آن » اله السماء والاله « انليل » اله الهواء :

وكان الاله «آن» اله السماء الحاكم الاعلى في مجموعة الآلهة ، وكانت أوروك أو « أرك » وهي الصيغة التي وردت بها في التوراة ، موطن الاله « آن » ، لذلك كان لهـذه المدينـة دور

سياسي بارز في تاريخ بلاد سومر ، مع ذلك فقداعتبر السومريون الاله « انليل » اله الهواء أهم اله في مجموعة الالهة السومرية وهو الذي كان يترأس تلك المجموعة ، وقد كني في المدونات السومرية بكنية « أبي الآلهة » ، كما لقب بلقب« ملك السماء والارض » وبلقب « ملك جميع البلدان » ، وهو الذي يمنح ملوكية البلاد ويعطي الصولجان الى الملوك ، وتعزى اليه خلق أهم العناصر المنتجة في الكون ، فهو الذي يخرج النباتات والاشجار من الارض ويحمل الخير والبركة الى البلاد ويصنع المحراث والفأس لفائدةالانسان ، وكان معبد « انليل » يسمى «ايكور» أي « البيت الجبلي » ، وتقول التراتيل السومريةفي تمجيد الاله « انليل » انه لولاه لم تشيد الزرائب والحظائر ، ولم تجلب الانهار مياههاالفيض والارواء ، ولم تجد السماء بماء السحب السائرة ، ولم تكتمل النباتات أو الاعشاب ، ولمتزدهر الغلة الخصبة في الحقل ، ولم تثمر الاشجار السخ ....

ب ـ الاله « أنكي » اله المياه :

اما الاله الثالث في مجموعة الآلهة الخالقة فهو الاله« أنكي » أو « أيا » اله مياه الغمر التي تسمى في السومرية « أبسو » وقد نعت باله الحكمةواليه عزي تنظيم الارض ومقومات حضارتها ، وعددت في احدى التراتيل أفعال الاله « أنكي »الخالقة في تنظيم الظواهرالطبيعية والثقافية اللازمة للعمران والحضارة . ومن تنظيماته انه أوكل الىالاله « أينبيلولو » رعاية شؤون نهري دجلة والفرات بعد أن ملأها بالماء النمير الرائق ، والىالاله « ابن كيش » رعاية شؤون البحر (الخليج)، والى الاله « أشكر » رعاية شؤون الرياح . ثمنظم بعد ذلك أمر المحراث والنير والحقول والمزروعات ، فجعل الغلة تنمو في الحقول طيلة أيام السنة وتكدس في الاهراء . وقد أوكل الى الاله « انكميدو » رعاية شؤون الري والقنوات والجداول ، والى الالهة « أشنان » رعاية شؤون الحبوب والغلة والى الاله « لهار » رعاية شؤون الماشية وقد وصف بكونه الراعي الذي افاض في خيرات الحظائر . والتفت الاله « أنكي » بعدئذ الى الفأس وقالب الاجر فعين لتنظيم شؤونهما اله الاجر المسمى « كبتا » ، ثم أوكل أمر انشاءالمساكن الى الاله « مش دما » المنعوت بالبناء العظيم لانليل ، كما جعل السهول مغطاة بالنبات والاعشاب وعين على شؤونها اله اسمه «سومجان» الموصوف بملك الجبل . وأخيرا شيد أنكي الحظائر والزرائب وملأها باللبن والزبد وعين عليها الاله الراعي المسمى « ابو » أو « دوموزي » وسماه الساميون (تموز) .

وقد كان طبيعيا أن يجعل سكان وادي الرافدين القدامى الانهار والمجاري المائية من أبرز المعبودات من قوى الطبيعة ، لذلك فقد لعب دجلة والفرات دورا هاما في هذا المضمار ، فهما يسقيان الارض ويرسبان الغرين ويهيئان وسائل المواصلاتالمائية لنقل الالهة والناس وبضاعتهم . والاله النهر ذكر اسمه بالاكدية « نهرو » وهي كلمةمذكرة أو مؤنثة ، وكان النهر يعتبر مسكنا لاله الماء « أنكي » وقد حفرته الالهة لاستقباله . وهناك كذلك الالهة « نانشه » (Nanshe) وهي معبودة ترعى الماء الجاري الزاخر بالاسماكومسكنها القنوات وقد بنى لها « أور ـ نوشه » (Ur-naushe) حاكم مدينة « لكاش » في أواخر القرن السابع عشر قبل الميلاد معبدا وحفر قناة توصل الى مدينته اطلق عليها اسم « نانشه » .وقد أقيم لهذه الالهة عدد من الهياكل ، وكانت

لها صلة بمياه الغمر « ابسو » وبمدينة « أريدو » • ومن صفات « نانشه » هذه أنها ترمز للحكمة والعلم وهي ترعى كذلك صناعة الاجر بخاصة الذي بني منه معبد « لكاش » • وكانت تعتبر أحيانا اختا للاله « ننجرسو » اله لكاش كما كانت تنسب اليها أحيانا الالهة « نصابا » (Nisaba) بصفتها اختا لها •

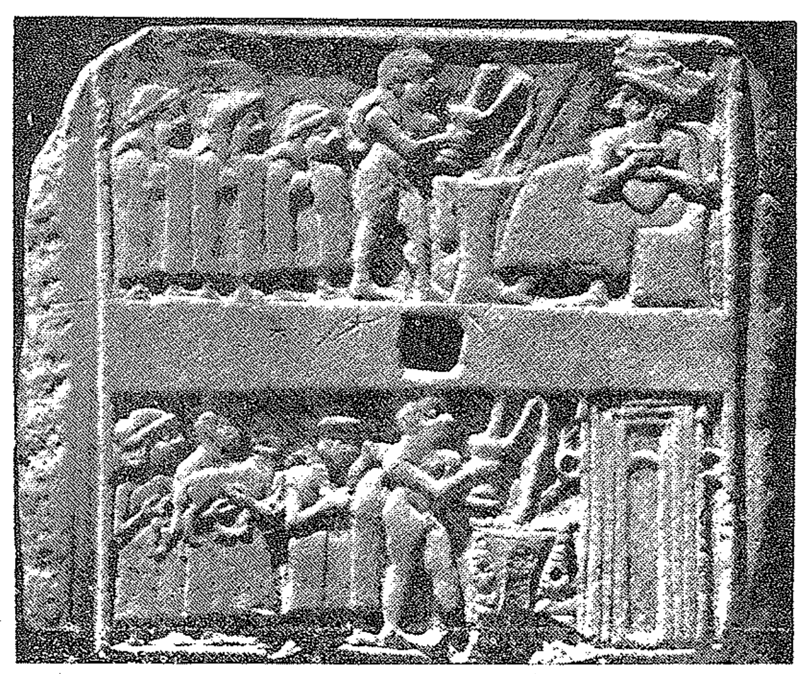
ج ـ الالهة ننخرساج الالهة الأم :

واما رابع الالهة أي الالهة « ننخرساج » أو « ننماخ » بمعنى السيدة المعظمة فهي الالهة الام وعرفت أيضا باسم « ننتو » أي السيدة الوالدةوكانت تعد زوجة الاله « آن »وان هذين الالهين كانا والدي جميع الالهة •

د ـ تقديم النذور والقرابين الى الآلهة :

وهكذا كان هدف العبادة ارضاء الالهة بتقديم النذور والقرابين المختلفة اليها وتقدمة المآكل والاشربة التي تقررها الطقوس الدينية في ساعاتمحدودة وأكثر من مرة في اليوم على طاولة مقدسة امام الصنم الالهي وسط الأزاهير ودخان البخورالمنقى وسيول من الروائح العطرية ، وتنص ألواح « كوديا » على الماكولات التي ترتاح لها الالهةوتفضلها على غيرها منها لحوم الثيران والمعز والضأن واليمام والدجاج والبط والسمك ، ومنالماكولات والمشروبات التمروالتين والعسل والخمر والحليب والخيار والزبد والزيت والكعك•ويعلقديورانت على ذلك فيقول : « ولنا أن نستدل من هذا الثبت على ان الموسرين من أهل البلاد كانوايتمتعون بالكثير من أصناف الطعام ويلوح أن الالهة كانوا في باديء الامر يفضلون لحم الآدميينفلما ارتقت أخلاق الناس لم يجدوا بدامن الاقتناع بلحم الحيوان » •

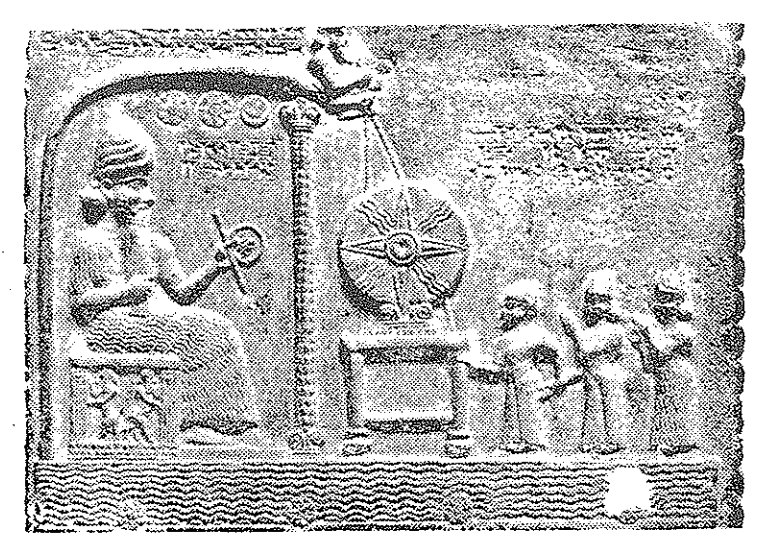
وفي التصوير رقم ٥٥ب نقش منحوت على الحجر عثر عليه في أطلال مدينة لجش عند خرائب



التصوير رقم ٥٥ ب مراسيم طقوس العبادة وتقديم القرابين (انظر الفقرة ٩ أ)

معبد الالهة القمر يشاهد في القسم الاعلى منه رجل عار تماما عملا بما تقتضيه طقوس العبادة وهو يصب السكيبة المقدسة في اناء امام صورة الاله الجالس . ويشاهد خلف الرجل ثلاثة أشخاص يرتدون لباس التعبد ولعلهم من الكهنة، كما يشاهد الرجل العريان نفسه في القسم الاسفل من النقش وهو يصب السكيبة المقدسة أيضا أمام محراب المعبد وقد مشى خلفه ثلاثة أشخاص الاثنان الاخيران يحملان سخلة لتقديمها قربانا للالهة .

وفي التصوير رقم ٥٥ج منظر لعبادة الاله الشمس « شمش » في معبد سيپار يشاهد فيه اله الشمس وهو جالس على عرشه داخل فسطاط ماسكا بيده قرصا وقضيبا وفوق راسه شعارات ثلاثة للقمر والشمس وكوكب الزهرة . وعلى مصطبة امام الفسطاط استقر شعار القرص الشمسي وقد ثبت في مستقره بحبال مدلاة من يدي الهين قد تمسكا بركن سقف الفسطاط . ويقوم الفسطاط على سطح مياه البحر السماوي وقد ظهرت في داخله أربعة شعارات للقمر . ويشاهد امام شعار القرص الشمسي كبير كهنة الاله شمش وهو يقود متعبدين خلفه الى جهة الاله لاداء مراسيم العبادة .



التصوير رقم ٥٥ ج عبادة الاله شمش (الشمس) (انظر الفقرة ١٩ أ)

٥ ـ معتقدات أهل العراق القدامى عن الخليقة وأصل الاشياء :

ومعتقدات السومريين عن الخليقة واصل الاشياء او التكوين هي ان في البدء لم يكن في الكون سوى العماء المكون من « البحر الاول » او « المياه الاولى » ، وكانت هذه المياه اصل الحياة متمثلة بهيئة اله المياه العذبة « ابسو » او مياه الانهار والالهه تيامة التي تمثل الماء المالح اي مياه البحر ومثلها كلمة تهامة العربية ، وقد ولد هذان الالهان آلهة اخرى . وحدث بعد دهور أن نشبت حرب بين الآلهة القديمة والآلهة الحديثة قتل فيها الاله « ابسو » ثم دارت حرب أخرى بين تيامه زوج ابسو والآلهة الحديثة قضي فيها على « تيامة » ومن بقايا جسمها خلق العالم المتمثل بالسماء والارض وقد اطلق على ذلك مصطلح « آن ـ كي » وهي كلمة مركبة تعني السماء

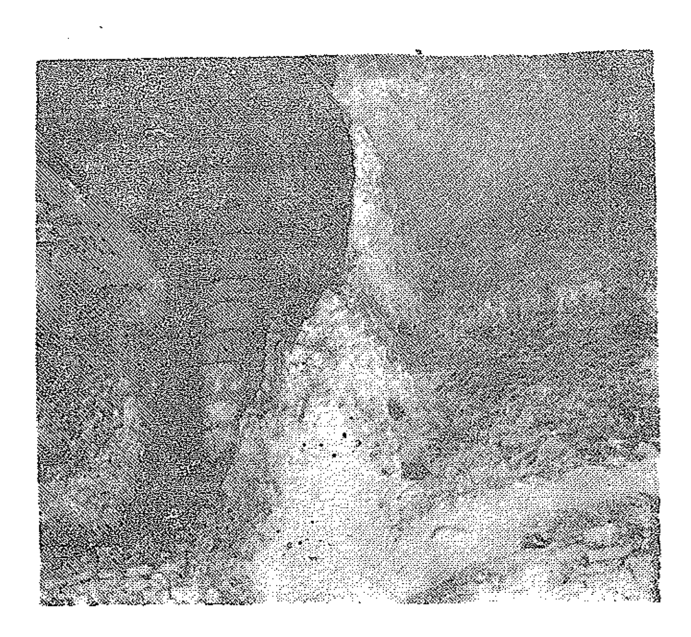
والارض . ولما كان الاله « آن » اله السماء ذكراوالالهة « كي » اي الارض كانت انثى فمن اتحاد هذين الالهين ولد الاله « انليل » اله الهواء ، ثمفصل الاله « انليل » هذا السماء عن الارض واخذ امه الارض وهيأ لخلق الانسان والحيوان والنبات وتأسيس المدنية ، اما عن أصل الاجرام فقد اعتبروا الاله القمر المعروف بالاسمين « سين »و « ننار » ابن الاله « انليل » ، كما اعتبروا الاله الشمس المسمى « اوتو » ابن « سين الاله القمر » .وعن ولادة الاله القمر اسطورة تروي ان الالـه « انليل » وقع في غرام الالهة العذراء « ننليل » ،فدعا وزيره المسمى « نسكو » واطلعه على شوقه وهيامه بـ « ننليل » فهيأ نسكو قاربا اغتصب انليل الالهة ننليل في أثناء سير القارب في النهر فحملت بالاله القمرسين وعندها فزع الآلهة وغضبوا لتلك الفعلة المنافية للاخلاق فنفوا الاله « انليل » الى العالم الاسفل على الرغم من انه كان ملـك الآلهة . فانصاع الاله « انليل » الى المصير الذي اراده الآلهة ولكن ننليل وهي حبلى لـم تشأ انتظل وحدها من بعد ارتحال « انليل » فتبعته وهو في طريقه الى منفاه القسري في العالم الاسفل .وتمضي الاسطورة فتروي ان الالهة « ننليل » حملت من « انليل » ثلاثة من آلهة العالم الاسفل وصارت هذه الآلهة بدلا من اخيها الكبير (اخ الآلهة الثلاث) الاله « سين » الذي اصبح نتيجةلذلك حرا وصعد الى السماء .

و ــ اله العالم الاسفل :

ومن المكتشفات الآثارية المهمة التي توصل اليها علماء الآثار في حفرياتهم في اطلال مدينة اور السومرية الانابيب الفخارية تحت انقاض ابنيـه المدينة ، وهي مكونة من سلسلة قطع من الانابيب الخزف طول وقطر كل منها ثلاث وخمس اقدام على التوالي مركب بعضها على بعض ، وقد صممت كل قطعة بنتوء في أحد طرفيها كي تدخل في القطعة الثانية من الجانب الخالي من نتوء ، وهذه الطريقة مستعملة في يومنا هذا في مد الانابيب الخزف اوالكونكريت . والغريب في هذه الانابيب انها وجدت مدفونة تحت الارض ، وممتدة بصورةعمودية الى عمق زهاء اربعين قدما وفيها ثقوب جانبية لصرف المياه داخل الارض مما يجعـل اعتبارها مجاري للمياه القذرة بعيد الاحتمال . لذلك يعتقد انها دفنت تحت الارض بهذا العمق دون منفذ بغية ايصال النذور والقرابين الى الآلهة الذين في العالم الاسفل ، وقد ورد ذكرهم مقرونا بـ « نهر العالم الاسفل » كما وردت اسماء ملاحين في العالم الاسفل مما يؤكـد اعتقاد السومريين بوجود نهر في العالم الاسفل من خلق الآلهـة تتولاه الالهة « ايرشكيكـال » (Ereshkigal) الهة الظلام والدجى والموت . ويستدل الباحثون على ذلك بما عثروا عليه في داخل الانابيب المتقدمةمن شقف الاواني التي رميت من فتحة الانبوب تحت ارضية البناء وهي من نوع الاواني التي كان السومريون يقدمون فيها نذورهم الى الآلهة فوق الارض (انظر التصوير رقم ٥٥د) . وكان السومريون والبابليون يعتقدون ان تحت الارض كهفا هو ماوى الموتى كما كانوا يعتقدون بوجود جزيرة في مكان ما يسكنها بعض الآلهة ويذهب اليها الذين يمنحون الحياة الخالدة مـن البشر ليعيشوا فيها انصاف آلهة الى الابد .

١٠ــ دور سلالة كيش الاولى وسلالة لجش الاولى في تكوين حضارة العصر السامي السومري القديم :

لقد سبق ان ذكرنا في الفقرة ٦ من هذا الفصل اننا تعرفنا لاول مرة على العصر السومري



التصوير رقم (٥٥) . الانابيب الخزف في جوف الارض لايصال النذور والقرابين الى آلهه العالم الاسفل

(انظر الفقرة ٩ و)

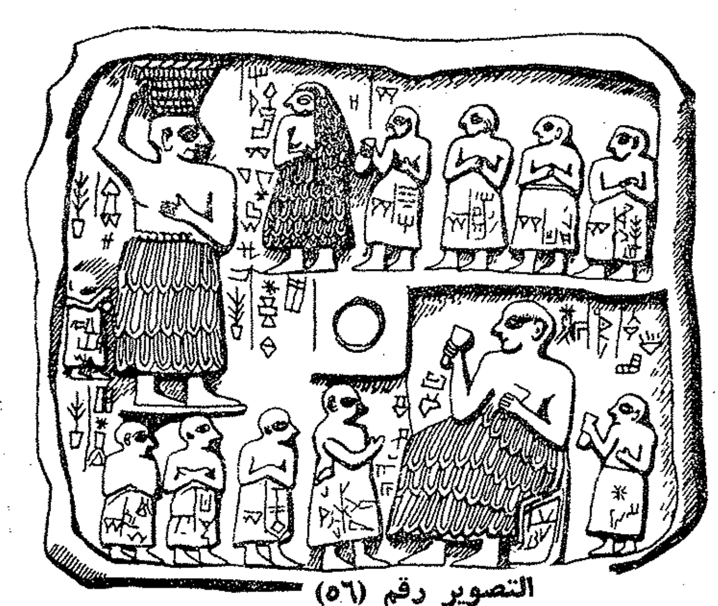
في عصر فجر السلالات حيث كانت حضارة سومرمزدوجة (حضارة سامية سومرية) ، لذلك رجحنا تسمية العصر السومري القديم بالعصر الساميالسومري القديم ، وكذلك بالنسبة للعصر السومري الحديث تطلق عليه اسم العصر الساميالسومري الحديث . اما معلوماتنا عن العصر السامي السومري القديم فقد جاءتنا اولا عن طريق سلالة كيش الاولى التي حكمت في حدود ٢٨٠٠ ق.م ثم عن طريق سلالة لجش الاولى التيأسسها الملك « اور نانشه » أو « اور نانا » في نحو سنة ٢٥٢٠ قبل الميلاد حكم ٣٠ سنة واتخذمدينة لجش عاصمة له وهي « تللو » او « الهبة » حاليا . فكانت هذه السلالة قوية حكمت ١٦٥سنة (٢٥٢٠ ـ ٢٣٥٥ ق.م.) وبلغ عدد ملوكها عشرة ملوك تركوا وراءهم اخبارا كثيرة عن مآثرهم العمرانية والحربية ونصوصا تاريخية مهمة عن تلك الحقبة من الزمن (العصر السامي السومريالقديم) التي ازدهرت في حوالي منتصف الالف الثالثة قبل الميلاد .

وكانت هذه السلالة تحكم منطقة سومر فيجنوب العراق وكانت تشاركها في الحكم دويلات اخرى كسلالة اوروك الثانية وسلالة اور الثانيةوسلالة ادب من بلاد سومر يقابلها من الساميين في شمالي سومر مباشرة سلالة كيش الاولى عدد ملوكها ٢٣ ملكا حكموا جميعا ٢٤٥١٠ سنوات حسب تقدير اثبات الملوك السومرية (حول مشكلة اعمار الملوك انظر ما تقدم في الفقرة ٥ من الفصل الرابع) وقد ورد في نص تاريخي اسم آخر ملوك سلالة كيش « اكا » حارب جلجامش خامس ملوك سلالة اوروك الاولى (حول جلجامش وملحمته انظر ما تقدم في الفقرة ٨ من الفصل الرابع) .

وقد حكمت سلالة كيش الاولى في بدايةالالف الثالثة قبل الميلاد وهي أول سلالة حكمت بعد الطوفان مباشرة . وهذا ما يفسر لنا الحقيقة التاريخية في ان عدة ملوك قدامى قد اتخذوا لقب

ملك كيش اشارة الى اتساع سلطانهم السياسي في البلاد وتطور مدلول هذا اللقب في العصور المتأخرة . اما الاسماء السامية في ملوك سلالة كيش الاولى فاسماء ما لا يقل عن ١٢ ملكا من ملوك هذه السلالة البالغ عددهم ٢٢ او ٢٣ ملكا وهذا ان دل على شيء انما يدل على تفوق الساميين في البلاد من حيث السلطة السياسية والاحوال الاجتماعية والثقافية .

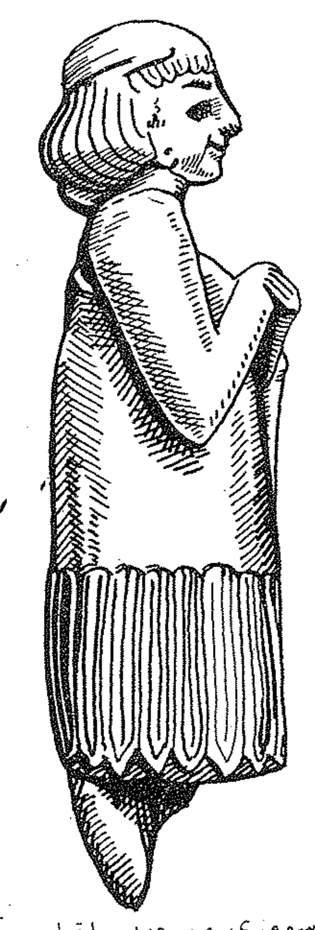
ومن المهم ان نذكر هنا بان في حوالي عهد « اورننشا » نزل الساميون الغربيون من ماري على وادي الفرات الاوسط الى الفرات الاسفل وبسطوا نفوذهم على سومر واكد ، مما يدل على ان الساميين كان لهم تأثير عميق على سومر وأكد في بداية ظهور السومريين على مسرح الاحداث[١٨] . (انظر التصوير رقم ٥٦) .



التصوير رقم (٥٦)
صورة منحوتة على الحجر في حوالي ٢٩٠٠ ق.م تمثل حاكم لكش (وهو الجالس) واسمه اور نينا أو اور ـ نانشه .

وقد اقترنت سلالة لجش الاولى منذ تأسيسها بصراع لازمها طول كيانها الحضاري ، وهذا الصراع كان بين لجش واومه السومريتين أصل سببه يدور حول النزاع على مياه الري والاستحواذ على الاراضي الزراعية الخصبة .وخلاصة هذه القصة ان المنطقة التي تعرف اليوم بالشطرة في جنوبي شط الغراف كانت مثار نزاع مستمر بين امارتي لجش واوما السومريتين للسيطرة على مياه الري ، وكان مركز الاولى في منطقة لجش أو (كيرسو) تقع على الجانب الايسر من شط الغراف الحالي على مسافة حوالي عشرين كيلومترا من شمال غربي الشطرة ومركز الامارة الثانية في منطقة أومه المعروفة اطلالها اليوم باسم « تل جوخة » تقع على الجانب الايمن من شط الغراف الحالي شمال شرقي بلدة الرفاعي . اما شط الغراف الحالي فلم يكن موجودا آنذاك

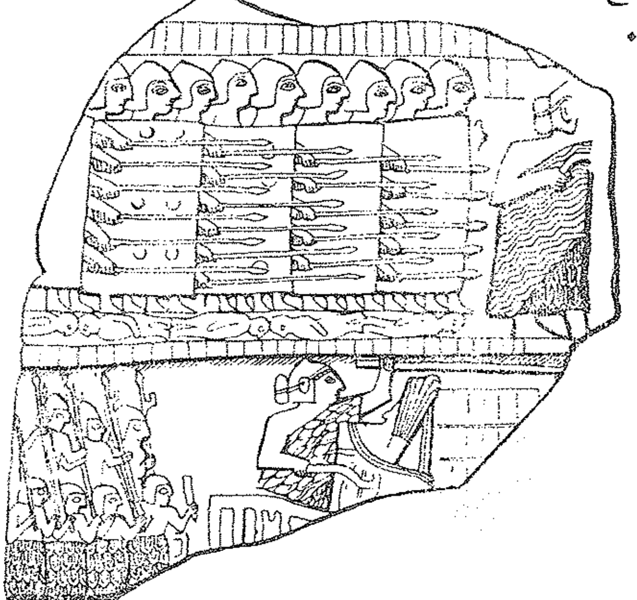
(انظر المرتسم رقم ٢ في الفصل الرابع) .
وكانت أراضي الامارتين ترويان منجدول مشترك يأخذ من مجرى نهر الفرات القديم من شمال شرقي مدينة كيش يدعى « اي ـ تورونكال » فيمر أولاً بأراضي امارة أوما الواقعة في الشمال الشرقي من لجش ثم ينتهي الى اراضي امارة لجش حيث تقع على حدودها مقاطعة (كودنياك) الخصبة مما جعل امارة اوما تتحكم بالمياه بحيث تستطيع ان تسيطر على مياه الجدول وتستأثر بها لصالحها أو قد تتعمد تحويل المياه عن الجدول بقصد حرمان منطقة لجش من المياه والحاق الضرر بزروعها ، وفي الوقت نفسه كانت أومه تطمع بالاستيلاء على مقاطعة (كودنياك) وضمها الى أراضيها (انظر التصوير رقم ٥٦ أ) . فنشب بنتيجة هذا الوضع المتأزم نزاع بين الامارتين ،



التصوير رقم (٥٦أ) – حاكم سومري من عهد ماقبل سرجون (انظر الفقرة ١٠) .

لجش واوما ، دام مدة حتى تطور الى توتر في العلائق السياسية والى حروب طاحنة مستمرة بين الامارتين كل منهما يسعى للسيطرة على مصدر المياه من جهة وعلى مقاطعة (كودنياك) ذات الارض الخصبة من الجهة الاخرى . وفي غمرة هذا الوضع المتأزم تولى الحكم في لجش احد الملوك الاشداء المدعو « اياناتم » (نحو ٢٤٧٠ق.م.) فنشبت معركة حامية بين جيشي البلدين كان النصر فيها حليف الملك (اياناتم) على خصمه (ايناكالا) فقتله وأكره اوما على دفع الجزية وأقيم على الحدود نصب سمي بنصب النسور نقشت عليه مشاهد المعركة التي تصور « اياناتم » وهو يقود جيش لجش المنظم الى المعركة وقد دونت الكتابة المنقوشة على النصب المذكور انتصار لجش على

أهل اوما ومعاهدة الصلح التي فرضت عليهم ، وقد سمي هذا النصب (نصب النسور) على اعتبار ان النسور كانت تسرح بين جثث القتلى من جيوش اوما الكثيرة فتعبث بها وتأكل لحومها (انظر التصوير رقم ٥٧) •



التصوير رقم (٥٧)

مسلة النسور : مشاهد معركة حربية تصور الملك اياناتم ملك لكاش (٢٥٥٠ ق.م.) وهو يقود جيش « لكاش » الى المعركة ، وتدون الكتابة المنقوشة انتصاره على أهل « أوما » ومعاهدة الصلح التي فرضت عليهم .

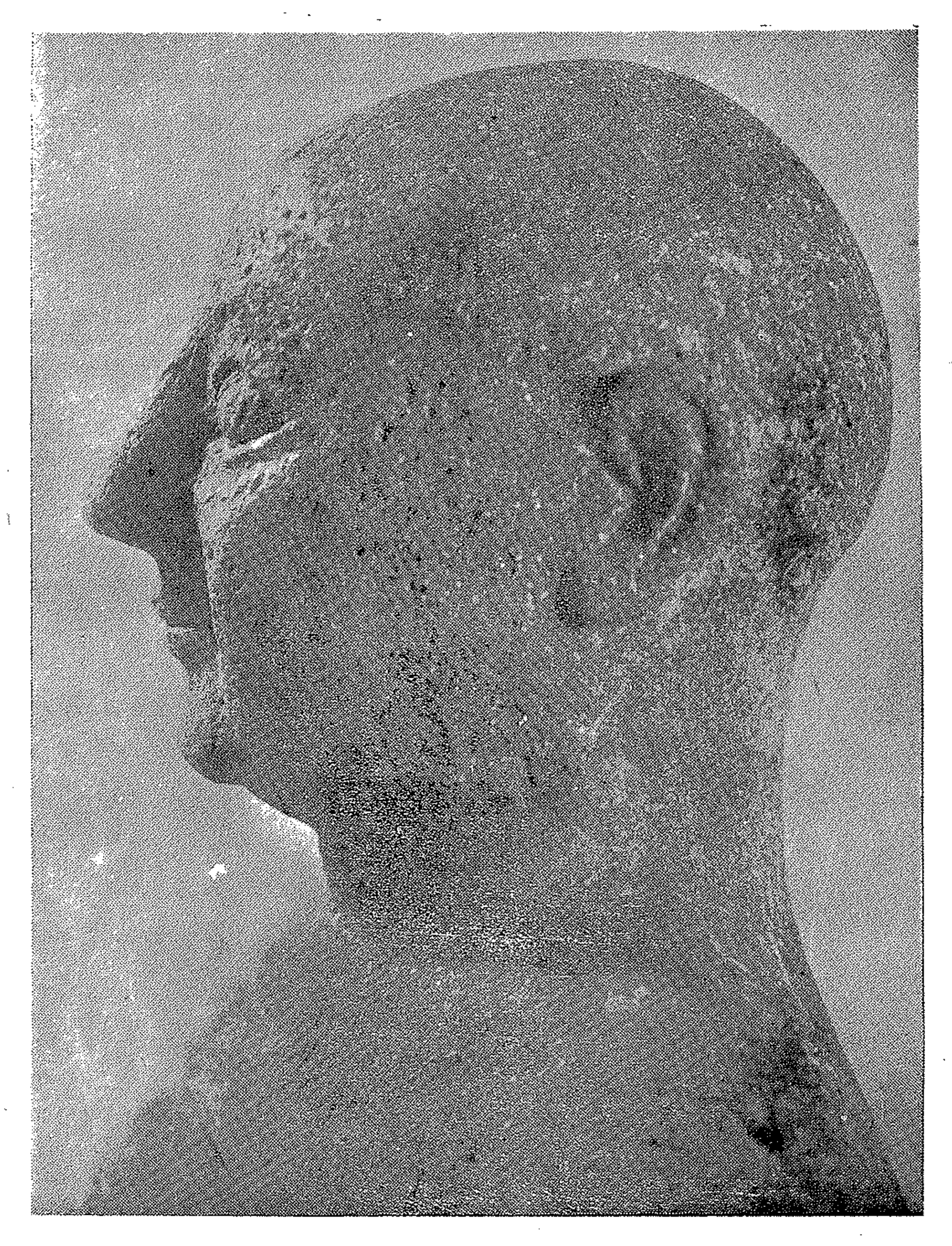
The Stele of the Vultures : representing the army of Eannatum ensi of " Lagash " (Telloh) (2550 B.C.) in commemoration of his Victory over the ensi of " Umma " ending in a peace treaty imposed Umma ".

وهنا نقف وقفة تأمل واستيضاح ونسأل : « هل كان هذا النصب من صنع سومري بحت ؟ فصنع مثل هذا النصب بمثل هذا المستوى الفني يحتاج الى خبرة مئات بل آلاف السنين من استمرار حضارة راقية حتى يمكن التوصل الى مثل هذا المستوى الفني • فمن كان وراء هذا الانجاز العظيم غير الساميين الذين سبقوا السومريين في استيطان جنوبي العراق باكثر من الفي سنة على أقل تقدير ؟ وهل يعقل بان السومريين انجزوا مثل هذا العمل الفني لوحدهم بعد ان نزحوا الى جنوب العراق مباشرة دون ان يكون قد سبقهم في الاستيطان شعب ذو حضارة استقوا منه خبرتهم الفنية • والمعلوم لدى دارسي تاريخ الحضارات بانه قلما نجد حضارة قامت لوحدها دون أن تكون قد استعانت بمن سبقها من الحضارات بطريق التقليد والاقتباس •

ولنواصل الآن بحثنا عن أعمال اياناتم : لقد توسع اياناتم في فتوحه للمدائن المجاورة فنجح في الاستيلاء على أور وأوروك وكيش وسيطر على المنطقة التي تمتد الى نهر دجلة شمالا • ثم مات اياناتم دون ان يترك نسلا فخلفه أخوه « اين اناتم » (الأخ) فجددت اوما في عهد ملكها « اورلوما » الصراع وقامت بهجوم عنيف على لجش حتى احتلت لجش نفسها ، فرفع « اورلوما » رسم الحدود الذي كان قد أقامه مسيلم ملك كيش وفسخ المعاهدة التي سبق ابرامها في عهد اياناتم والظاهر ان اين اناتم قتل في المعركة ، فتولى السلطة بعده ابنه « أنتمينا » الذي تغلب على الاعداء وطردهم الى خارج حدود منطقة لجش وأعاد للجش مجدها وسلطانها وحكم نحو ٣٠ سنة (٢٤٣٠–٢٤٠٠ ق•م) فتمكن ان يعيد سيطرته على جميع المنطقة التي

تمتد الى نهر دجلة شمالا ، فعقد العزم على وضع نهاية لتحديات حكام اوما وذلك بشق جدول يأخذ من نهر دجلة بدلا من اعتماده على الجدول الذي يأخذ من نهر الفرات والذي تسيطر على مياهه امارة اوما في الصدور ، فانشأ جدولا فنياكسا اسمه بالآجر والقار وأقام على جوانبه سدودا واقية حتى أوصل المياه الى أراضي منطقة لجش التي تقع على بعد حوالي ١٣٠ كيلومترا من نهر دجلة ، الا أن الجدول أخذ على مر الزمن بالتوسع عمقا وعرضا بتأثير انحداره الشديد صوب أراضي لجش المنخفضة حتى أصبح هذا الجدول فرعا لدجلة الرئيسي (شط الغراف الحالي) ، ومنذ ذلك الوقت أخذت كل المنطقة المجاورة الى لجش تعتمد في ارواء أراضيها على مياه نهر دجلة . وتدلنا الحوادث التي سجلتها المدونات السومرية على ان كثرة المياه التي أخذت تنحدر صوب منطقة لجش أدت الى انتشار المستنقعات وارتفاع مستوى المياه الجوفية فتراكمت الاملاح في الاراضي وفقدت بعد مرور ثلاثمائة عام خصوبتها وانحط انتاجها[١٩] . لذلك فالعراق مدين لهذا الملك الذي فتح شط الغراف قبل أربعة آلاف وخمسمائة سنة . ومن عهد « انتمينا » عثر على مكتبة هيكل « نين كيرزو » اله الري وزوجته « نينا » ملكة المياه المؤلفة من ٣٥٠٠٠ لوح من الطين المطبوخ وكانت هذه الالواح تحتوي على كثير من النصوص الاقتصادية والتدوينات الملكية ولكن لم يكن بينها نصوص أدبية . وفي عهد انتمينا اشتهر الكاتب السومري المشهور « دودو » الذي دون كثيرا من الاساطير السومرية . ولهذا الكاتب تمثال بديع في المتحف العراقي (انظر التصوير رقم ٥٨) . وبعد انتمينا تولى الحكم في لجش ملوك ضعفاء فظهرت سلالات أخرى شاركت مدينة لجش سلطانها كسلالة كيش الثالثة وسلالة مدينة أكشاك وسلالة كيش الرابعة حتى تسلم الحكم في لجش « اوروكاجينا » المصلح السومري الشهير وحكم في نحو عام ٢٣٥٥ ولكن لم يحالفه الحظ بالبقاء بسبب ظهور لوكال زاكيزي ملك أوما الذي فتح مدينة لجش نفسها وقضى على اوروكا جينا آخر ملوك سلالة لجش ، ولكن الموجات السامية حينذاك قد ملأت البلاد حيث قدمت من الجزيرة العربية على طريق سورية والفرات حتى تمكن سرجون الأكدي من القضاء على لوكال زاكيزي وانتهى بذلك عهد دويلات المدن السامية والسومرية وبها انتهى عهد فجر السلالات .

وتدلنا المدونات السومرية والتسجيلات السومرية من عهد ملوك لجش على قيامهم بالعديد من مشاريع الري والسدود والخزانات على ضفتي نهر الفرات القديم ، ومن هذه المشاريع التي ترجع الى ما قبل سرجون القناة المسماة « خومادمشا » التي انشأها اياناتم والتي ألحق بها خزانا واسعا يستوعب ٣٦٠٠ « لور - مين - لو » حوالي ٤٨٠٠ جالون من الماء ، وكان يأخذ من الخزان جدول يسمى « لوماكين - شار » . وقد وسع خلفه « اين اناتم » الخزان فجعل سعته ١٨٤٠ « لورساكال » (حوالي ٤٩٠٠٠ جالون) . وقد رمم انتمينا ابن أخ اياناتم هذا الخزان وأكمل قناة أخرى تصل النهرين ، كما رممه كذلك فيما بعد زمن وجيز الملك اوروكاجينا الذي أصلح قناة « جرسو » القديمة المعروفة باسم « نتجرسو - أمير - في - نيبور » وكان طول هذه القناة ٢٨٠ مترا وقد تم تنفيذها وفقا لخطة موضوعة[٢٠] . ومن هذه المشاريع أيضا السد الغاطس (Weir) الذي انشأه « أين اناتم » على جدول « جرسو » في مدينة لجش ، وهناك



DUDU 𒌌𒌌 دودو

التصوير رقم (٥٨) ـ تمثال الحكيم « دودو » الكاتب السومري الشهير وزير الملك « انتمينا » في حدود سنة ٢٤٣٠ ق.م (انظر الفقرة ١٠) .

سد آخر من النوع نفسه انشأه خلفه انتيمينا (حوالي سنة ٢٤٠٠ ق.م) وتتجلى لنا ضخامة هذه المشاريع في كمية القار التي استعملت في انشاء السدين المذكورين ، فقد استعمل في السد الاول ما لا يقل عن ٢١٩٢ ليتر في بنائه في حين بلغت الكمية التي استعملت في بناء السد الثاني

٢٦٤٩٩٠ ليترا . اما عدد الآجر المفخور الذي استعمل لانشاء سد اتيمينا فقد بلغ ثمانية ملايين آجرة[٢١] . ومن أهـم مشاريع الري الكبرى التي انشئت في العهد السامي السومري القديم الجدول الذي شقه الملك « اتيمينا » من نهـر دجلة الى منطقـة لجش لمسافة ١٣٠ كيلومترا ، وهو الجدول الذي يجرى فيه اليوم شط الغراف الحالي وقد سبقت الاشارة اليه[٢٢] .

ومما يذكر ان ملوك سومر وأكـد كانوا يتباهون ويتفاخرون بما يقومون به من أعمال الري كشق الجداول التي تنقل المياه الى الاراضي الزراعيـة البعيدة ، وتقـوية السداد لحماية الاراضي الزراعية من الغـرق وما الى ذلك من المشاريع كالخزانات والنواظم والقناطر وغيرها ، بقـدر ما كانوا يفخرون بفتوحاتهم وأعمالهـم الحربية المنطوية على البسالة والشجاعة ، وكانت الاراضي السـهلة الخصبة الممتـدة على جانبي الفرات الميدان الشاسع الذي فسح المجال الواسع للدخول في مباراتهم العمرانية في هذا المضمار .وأول شيء يلاحظه المرء لدى استعراضه تاريخ العراق القديم هو أن أكثر الملوك والامراء تركوا لهـم آثارا في الجـداول والقنـوات والقصور والمعابد والمشاريع التي انشأوها وقد خلدت هذه الآثار ذكراهم عبر السنين والعصور حيث كان معظمهم يسمون تلك المشاريع بأسمائهم مقرونة بأسماء الآلهة . فقلمـا نجـد ملكا من الملوك السومريين الاقوياء لا يفاخر بانه شق قناة وبذل عناية في سبيل انجاز مشروعات الري . ولاشك في أن شق هذه القنوات قد استلزم اتقان المناهج القائمة على الفن الهندسي مع الافتراض ان اقامتها قد تمت على مراحل متتابعـة مقرونة بتحسينات مستمرة خلال التنفيذ الذي لابد انه تطلب زمنا طويلا حتى بلغ العمل ذروة الدقـة والاتقان .ففي ذلك يقـول الخبـير الآثاري ديلابورت : « وعلى ذلك فنحن مضطرون الى ان نعتقد انـه كانت هناك دراسات تمهيدية ثم تخطيطات مبدئية ثم خطـة نهائية تتطلب استعمال أجهزة للقياس والتسوية وعمليات حسابية تسجل نتائج المقاسات التي تمت على الارض ومقدار العمـل المطلوب تنفيذه ... وقـد وصلت الى ايدينـا بعض التخطيطات للقنوات والنهيرات من عصر ما قبل سرجون ومنها مثلا قطعة من لوحة خططت عليها قناة هومادمشا التي شقت بامر الملك اياناتم ملك لجش (٢٥٣٠ ق.م.) وألحق بها خزان تزيد سعته على الالف هكتولتر .. وكان العمل المفروض على الحفارين المحترفين أهم بكثير من عمل العمال العاديين »[٢٣] .

١١ـ دور سلالتي لجش الثانية واور الثالثة في تكوين حضارة العصر السامي السومري الحديث :

قلنا في الفقرة ٦ من هذا الفصل ان العصر السومري يقسم الى حقبتين منفصلتين ، الاولى تعرف بالعصر السومري القديم والثانية بالعصر السومري الحديث وقد اقترحنا تسميتها بالعصر السـامي السومري القـديم والعصـر السـامي السومري الحديث لان حضارتيهما نتاج جهـود مشتركة (سامية ـ سومرية) لا يمكن فصلهما ،وقد سبق ان بحثنا في الفقرة السابقة دور سلالة لجش الاولى في تكوين حضارة العصر السامي السومري القديم ، ونواصل الآن بحثنا عن العصر السـامي السومري الحديث الذي شـاركت في صنع احداثه التاريخية والحضارية سلالتا لجش الثانية وأور الثالثة . وقد اشتهر في الاولى جوديا ملك لجش (٢١٤٤ ـ ٢١٢٤ ق.م.) وفي الثانية اورنمو (٢١١١ ـ ٢٠٩٤ ق.م.) . ويتميز هذا العصر بالانبعاث السومري الجديد بعـد ان

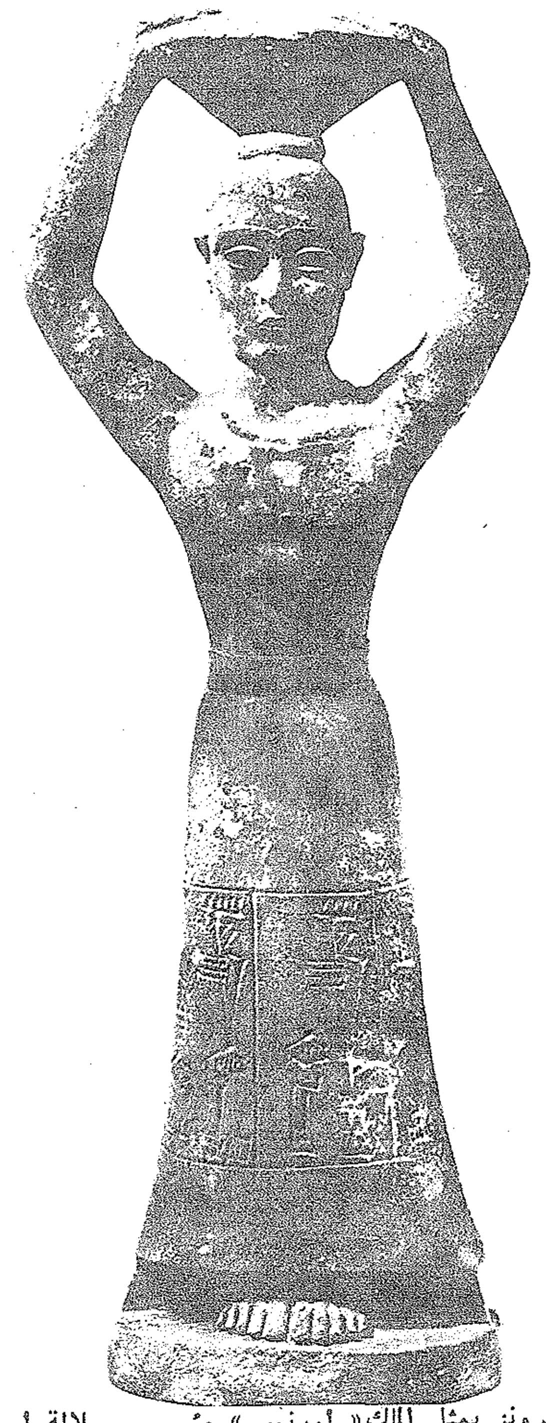
شهدت البلاد حكم الاكديين الساميين الذي دام نحوا من قرنين وحكم الكوتيون الذي دام نحو قرن واحد (انظر التصويرين ٥٩ و٦٠) .

وقبل البحث في العصر السامي السومري الحديث لابد من الرجوع الى الوراء لشرح الظروف التي أعقبت حكم الاكديين الذي مهد السبيل لوقوع الانبعاث السومري الجديد : كان قد تغلب سرجون أولا على دويلات سومر وأكد وأسس منها ومما جاورها مملكة موحدة قوية



التصوير رقم (٥٩) – « گوديا » ملك لجش

شملت معظم العراق وتلقب (بملك سومر وأكد صاحب سلطان الدنيا) واسس مدينة (أكادة) واليها نسبت الاكدية ، وانتقل العراق من طور دويلات المدن في عصر فجر السلالات الى طور مملكة موحدة ضمت كل المدن ثم توسعت فشملت أقطارا أخرى غير العراق ، والظاهر ان سرجون لم يصرف همته أولا الى جنوب العراق لانه لو قام بذلك لعرض مملكته لهجوم القبائل الشمالية ، فلذلك وجه أولى حملاته على مدينة « ماري » السامية ، الواقعة على الفرات الاوسط ثم هجم على آشور على دجلة ثم على اربيلو (أربيل الحالية) وما حولها ضامنا بذلك طاعة العراق الشمالي . ثم زحف من بعد ذلك الى (الگوتيين) قبائل زاغروس في شمال العراق وشرقيه ، واندفع جيش سرجون الى الشمال فاخضع قبائل الاناضول ثم رجع جنوبا الى البطائح شرقي دجلة ثم استولى على لجش وحارب « لوكال زاكيزي » حاكم مدينة « أوما » الذي كان قد هجم على لجش واستولى عليها وهزم آخر ملك من ملوك سلالة لجش الاولى « اوروكاجينا » واتخذ الوركاء عاصمة له وحكم فيها خمسا وعشرين سنة ضايق خلالها مدينة كيش حتى قهره سرجون الأكدي ، واستولى سرجون على أور وهي من أعظم المدن السومرية واحترم شعائر دينها وجدد جميع حارة المعبد وعيّن كبرى بناته كاهنة للالهة « تنار » وكذلك فعل بمعبد «نفر» . حكم سرجون العظيم أكثر من نصف قرن ولكنه مع نجاحه في الحروب لم يستطع



التصوير رقم (٦٠) - تمثال من البرونز يمثل الملك « اورنمو » مؤسس سلالة اور الثالثة (٢١١١ - ٢٠٩٤ ق.م.) وهو يحمل على رأسه سلة مواد البناء لتشييد المعبد ، والتمثال من نهاية الالف الثالثة قبل الميلاد (انظر الفقرة ١١) .

منع الدسائس والاختلاف بين رجال البلاط وكان عهده مملوءا من الثورات والقتل والاغتيالات ، وزادت الحال سوءا وشرا بغزو الگوتيين ، ثم انتهى أمرهم بان طردوا من البلاد بعد ان حكموا فيها نحوا من قرن واحد قضوه بالانتهاب والاستلاب (انظر الفصل الثامن من الكتاب) .

اما الگوتيون فهم أقوام جبلية نزحوا من المنطقة الشرقية لجبال زاغروس من أطراف لورستان ، في نحو عام ٢٢١٠ قبل الميلاد وانحدروا نحو سهول العراق الخصبة ، فاختاروا منطقة كركوك (اربخا) مركزا لحكمهم ثم فتحوا بلاد أكد وسومر • ولم نعرف للگوتيين حضارة قديمة قبل نزوحهم الى العراق ، ولم يكونوا يعرفون طراز الحكومات المنظمة والدول المحكمة ، فصار مسجل الاخبار في أيامهم يسأل من الملك منهم ومن غير الملك ؟ حتى يذكر اخبارهم ، اذ لم يجد ما يدونه غير أخبار اضطرابهم • لكن الگوتيين انصهروا في بودقة حضارة وادي الرافدين كما انصهر غيرهم ممن كانوا في مستواهم الحضاري ، ومن امارات الاندماج انهم أخذوا باللغة الأكدية وبها كتبوا أخبارهم القليلة • وقد ذكر ثبت الملوك واحدا وعشرين ملكا من الملوك الگوتيين حكموا جميعا ٩١ سنة وأربعين يوما وكان آخرهم « تريقان » الذي حاربه أمير أوروك السومري المدعو « اوتوهيكال » وتغلب عليه في نحو عام ٢١١٦ ق•م• وطرد بذلك الگوتيين من العراق • فأسس « اوتو هيكال » في مدينة الوركاء مملكة ولقب نفسه بملك سومر وأكد ، ولكنه لم يستطع ان يحافظ على مقامه ، من حيث هو محرر لسومر زمنا طويلا ، فقد ثار عليه أحد ولاته وهو « اورنمو » صاحب مدينة أور وأسس اسرة حاكمة فيها ، سميت عند المؤرخين « سلالة أور الثالثة » التي يعد عهدها في العراق من العهود الذهبية لما حصل فيها من تقدم في الحضارة ورخاء في العيش بفضل تعاون الساميين الاكديين والسومريين في صنع هذه الحضارة المزدوجة •

اما اصل الگوتيين فيقول الدكتور سبايزر ان الشعب الگوتي شعب من شعوب زاغروس من الوجهة اللسانية واللغوية ، فلذلك لا يمكننا ان نقول بساميته ولا بآريته على انه لا ينكران هذا الشعب قد اندمج فيه بعض العناصر الآرية فيما بين النهرين في أواسط الألف الثانية قبل الميلاد ، حتى صار معظم سكان جبال زاغروس اريين في الالف الاولى قبل الميلاد ، ولكن هذا لا يقوم دليلا قاطعا على ان يكون الگوتيون آريين أيضا(٢٤) • وقد ذكر فريق من المؤرخين ان (الگوتيين) هم أسلاف الاكراد(٢٥) •

ان اضطراب الوضع في عهد الگوتيين ساعد على نهضة الجنوب واصبح في استطاعة المدن السومرية مثل لجش وأور وأريدوا وأوماولارسا ان تستأنف نهوضها وتستعيد سلطانها ، وكانت الكلمة النافذة بينهن لمدينة أور وصارت لها الزعامة على غيرها ، واختلط الساميون الاكديون بالسومريين لعلمهم ان التفرقة شقاء للأمتين وتعس للشعبين ، ولكن الاكديين فقدوا سلطانهم المسيطر ، ورضوا بان يكونوا اتباعا بعد أن كانوا متبوعين وان يكونوا رعايا بعد ان كانوا ملوكا ، فساهموا في التنظيم الجديد ،وأصبحت الامة الجديدة تدعى باسم سومر وأكد ولقب الملك (بملك سومر واكد)وازدهرت البلاد في تلك الأعصار ، وبذل الحكام بالتعاون مع الاكديين كل ما في وسعهم ليصلوا الى أعلى مراتب الحضارة السامية ـ السومرية المعروفة ايامئذ ، فحققوا ما سمي بعد ذلك الحضارة البابلية(٢٦) • ولم يكن الاتحاد مقصورا على الاكديين والسومريين فقد انضمت اليهم بقايا « الگوتيين » •

قلنا فيما تقدم بان سلالة لجش الثانية وسلالة اور الثالثة قد لعبتا دورا بارزا في قيام العصر السامي السومري الحديث والانبعاث الجديد في سومر ، فكانت سلالة لجش الثانية

قد سبقت سلالة أور الثالثة في استعادة ومواصلة نشاطها الحضاري متعاونة مع الأكـديين وذلك لقرب عهدها بسلالة لجش الأولى التي سبق ان لعبت دورا طلائعيا في تكوين حضارة العصر السامي السومري القديم . حكمت سلالة لجش الثانية ١٧١ سنة (٢٢٨٠ - ٢١٠٩ ق.م) حكم فيها ١٦ ملكـا كان اشهرهم « گوديا » الملك الثاني عشر حكم ٢٠ سنة (٢١٤٤-٢١٢٤ق.م.) (انظر التصوير رقم ٥٩) ، وجد له عدة تماثيل ازدان بها متحف اللوفر في باريس ، وهـذه التماثيل تشير الى الطراز الفني للسومريين وقدعثر من آثار ذلك العصر على نماذج أدبية سومرية لكوديا تعد من أرفع الادب القديم في العالم .ومن الواضح ان هذا التقدم الحضاري في الناحية الأدبية في دور الانبعاث الجديد في العصر السامي السومري الحـديث حصـل نتيجـة احتكاك السومريين بالاكديين الساميين في فترة حكـم الأكديين الذي دام حوالي ٢٠٠ سنة وتأثيرها في تقدم الحضارة السامية السومرية ، لان النصوص التي عثر عليها من عصر سلالة لجش الأولى في العصر السامي السومري القديم كانت خالية من النصوص الأدبية (انظر ما تقدم في الفقرة ٨ من هذا الفصل) . وقد اشتهر « گوديا » أيضـا بأعماله العمرانية الأخرى فقد شيد معابد فخمة وغيرها من العمارات ووسع الصلات التجارية ،وقد وجد الاثاريون الفرنسيون مئات من النقوش الكتابية التي دونت أعمال « گوديا » العمارية التجارية . ومن مشاريعه الزراعية انه شق القناة المسماة « نتجرسو أو شومجال » وهو حدث محلي خلد في اسم لاحدى سني حكمه ، ولابد انه عمل على ابقاء القنوات التي كانت موجودة قبل عصره في حالة صالحة للملاحة ، ذلك لان نقل مواد البناء من أخشاب وأحجار ومعادن كان يتم عن طريق الماء ، وتطلب انزالها الى البر اقامة رصيف بالقرب من احدى بوابات المدينة ، وقدعهد في بلاط آلهـة نتجرسو بصيانة القنوات والجـداول وأدوات الري الى مزارع الارض المقدسة (ديلا بورت « بلاد ما بين النهرين » ص ١٢٨) . وفي نهـاية حـكم « گوديـا » كانت مدينـة الوركـاء تعـد العـدة للقيام بثورة ضد الگوتيين حيث تمكن « اوتوهيكال » ملك الوركاء من طرد الگوتيين ، وقد سبق ان اشرنا الى ان « اوتو هيكال » لم يستطع ان يحافظ على مقامه كمحرر لسومر فثار عليه أحد ولاته وهو « أورنمو » صاحب مدينة أور وأسس أسرة حاكمـة فيهـا عرفت بسلالة أور الثالثة التي تولت الزعامة بعد لجش ، وبذا فقدت لجش استقلالها في نحو ٢١٠٩ ق.م. بامتـداد فتوحات سلالة أور الثالثة .

تسلمت سلالة أور القيادة في أعقاب عهد سـلالة لجش الثانيـة فحكم في هـذه السلالة خمسة ملوك أكثر من مائة سنة (٢١١١ - ٢٠٠٣ق.م.) أسس هذه السلالة أورنمو اثر ثورته على « اوتوهيكال » ملك الوركاء الذي قضى على حكـم الگوتيين فحكم ١٧ سنة (٢١١١ - ٢٠٩٤ ق.م.) ، وأول شيء اتضـح في تاريخ أورنمو الذي كان اسمه يقرأ « اور انكور » انه كان ملكا قديرا راغبا في الاصلاح وعاملا على تقدم أور وان اسمه وألقابه المختوم بها الآجر تشهد بانه قد جدد جميع العمارات المهمة تجديدا لم يعرف له مثيل من قبل ، وتشمل هذه العمارات المستجدات المعابد الموقوفة على الالهين « ننار » و « ننكال » والصرح (الزقورة) القائم أكثره اليوم في أطلال أور وكذلك القصر الملكي وسور مدينة أور وتجاوزت أعماله الاصلاحية ومنشئاته

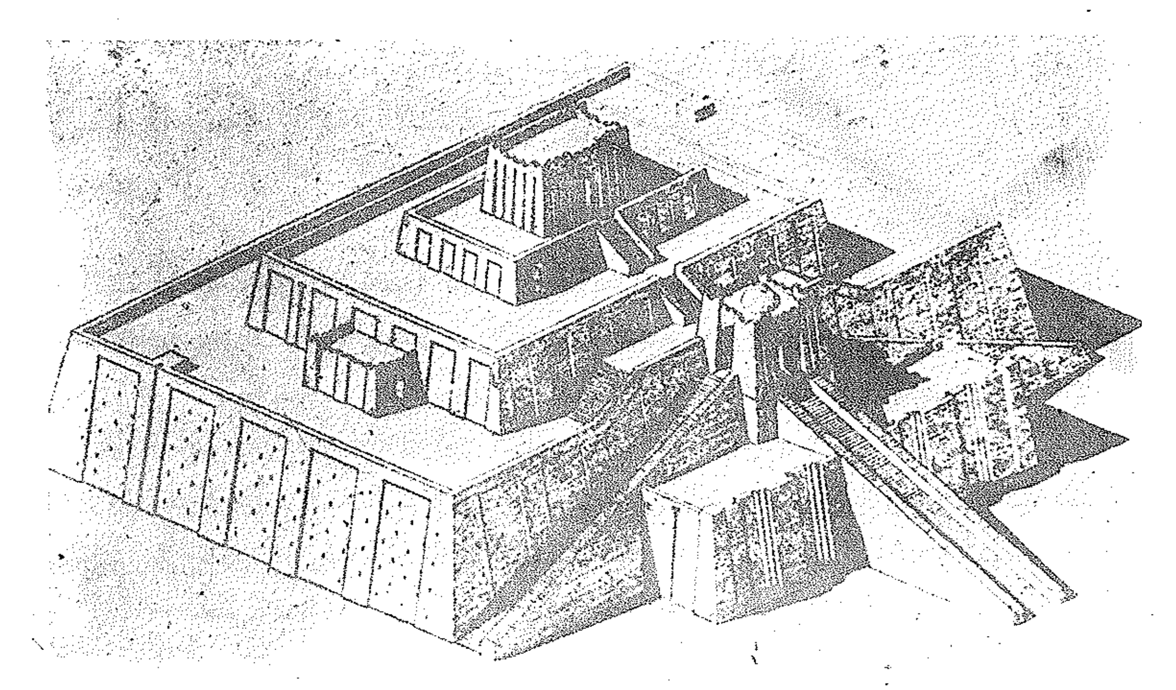
التعميرية الى « لجش » و « اريدو » و « اوما »و « لارسا » و « ادب » فقد جـدد معابدهن وكرى أنهار الارواء وقنواتها لاعادة الرخاء الى بلاد سومر لان الاضطراب السياسي الذي نشأ عن النزاع بين الاكديين والگوتيين سبب اهمال كري الأنهار وشغل الحكام عن العناية بأمور الارواء ، وقد ساعده على ذلك استتباب السلم في بلاده ، وندور نشوب حرب فيهـا ٠ (انظـر التصوير رقم ٦١) ٠

ومن جملة مشاريع أورنمو الزراعية انه شق قناة الحدود المسماة « نانا جوجال » ويساوي حوضها امواه البحـر ، وهناك لوح من ذلك العهد يحتوي على اجور النساء اللواتي استخدمن في عمل سد من القصب عنـد رأس القنـاة(ديلابورت ، « بلاد ما بين النهـرين » ، ص ١٢٩) ٠ وفي عهد « أورنمو » تقدمت الحضارة نتيجـة للتعاون القـائم بين الاكديين الساميين والسومريين فبلغ السومريون شـوطا كبيرا في تقدم فن العمارة اذ وصلوا الى ابتداع القصور والدور والمعابد نماذج فريدة باسلوب بنائهـا واعمدتها وجدرانها المزخرفة بالفسيفساء ، كمـا برع السومريون في فن النحت والنقش فكانوا ينحتون تماثيل للأشخاص وللآلهة ٠ وكانوا قد برعـوا أيضـا في نقش الرواسـم (الاختام)فيصورون عليها الآلهة وطقوس العبادة والنذور ومناظر من أراضيهم وبساتينهم وماشيتهم ، وهي كثيرة جدا ، وذلك يدل على ان استعمالها كان شائعا لتمثيل سيرتهم الاجتماعية ، وبرعوا أيضا في صناعة أدوات الزينـة من الذهب والفضـة وغيرها ٠

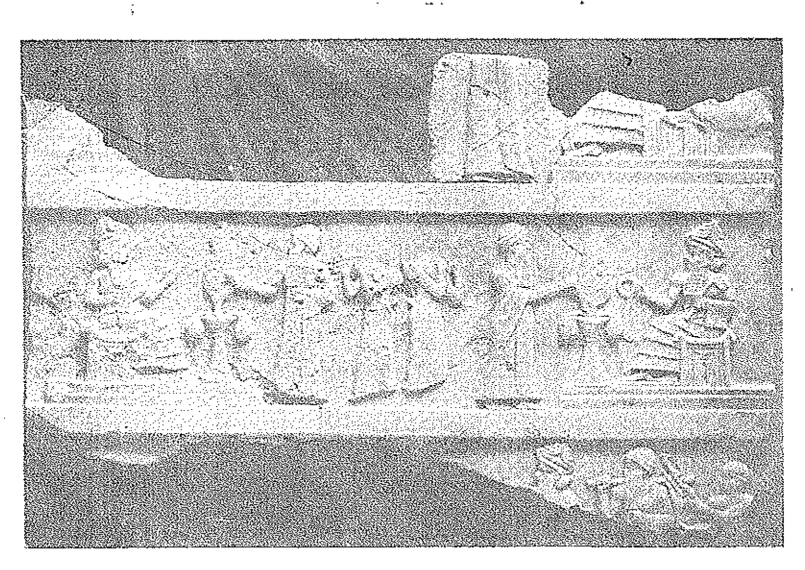
ويتجلى مدى تقدم فن النحت في المسـلة المسـماة « مسـلة أورنمو » التي عثر عليهـا ليئونارد وولي في تنقيباته في أور عام ١٩٢٤ وهي الآن في متحف جامعة بنسلفانيا في فيلادلفيا ٠ ويرينا القسم المتبقى من المسلة الملك « أورنمو » ملك أور (٢١١١ ـ ٢٠٩٤ ق٠م٠) وقد مثل امام الاله القمر « ننا » اله مدينة أور الجالس الى اليمين وهو يصب السكيبة المقدسة أمامه ، ثم يتكرر المنظر نفسه امام الالهة « ننجال » زوجة الاله « ننا » وهو يسلم أدوات البناء الى الملك « اورنمو » وهي الاشارة لبناء المعبد ٠ وفي الجزء المتبقى من الحقـل الاسفل صورة الملك « أورنمو » وهو يحمل أدوات البناء يتقـدمه الاله « ننا » ويساعده على حمل تلك الادوات الثقيلة خادم حليق اللحية ، وقـد دون اسـم « اورنمو » في الحقل الأعلى على القسم الأسفل من ردائه (انظر التصوير رقم ٦٢) ٠

وقد عثر في نفر على تمثال برونز يمثل الملك « اورنمو » وهو يحمل على رأسه سـلة مواد البناء لتشييد المعبد والتمثال يعود الى نهـاية الالف الثالثة قبل الميلاد (انظر التصوير رقم ٦٠) ٠

وعرفت السومريون أيضا صناعة المعادن منذزمن قديم وكان منهم صناع مهرة عرفوا كيفية طرق الصفر وصـبه ، وعرفوا صناعة الشـبه(البرنج) وهو أصلب من الصفر ، وصنعوا من



التصوير رقم (٦١) ـ زقورة اورنمو في أور (انظرالفقرة ١١) ؛



التصوير رقم (٦٢) ـ منظـر من مسلة اورنمو ملك أور تمثل اورنمو وهو يمثل امام اله القمر « ننا » اله مدينة أور (انظـرالفقرة ١١) .

الصفر أسلحة وآلات وأدوات للزينة وغيرهـا وتماثيل لمعبوداتهم ، ثم توصلوا الى معـرفة الذهب والفضة ، استجلبوا المـواد الساذجـة(الخام) من بلاد أخرى ، وقد ساعدهم صوف الغنم على تطوير صناعة النسيج واعداد ملابس صوف مع العلم بان الازار الذي يرى على خصور السومريين في رسومهم المنقوشة كان من جلود الغنم على الارجح ، ونختم دور سلالة أور الثالثة في تقدم الحضارة المزدوجة (السامية ـ السومرية) بمـا ذكرته الباحثة روث وايتهاوس في كتابهـا « أولى المدن » حيث تقول ما نصه : « وان كان هناك انبعاث سومري لغوي وأدبي في زمن سلالة أور الثالثة غير ان لغـة الكتابة في ذلك الوقت كانت الاكدية السامية كما كانت الاكدية لغـة

التخاطب في جميع البلاد العراقية في الالف الثانيةقبل الميلاد بالاضافة الى انها كانت لغة التجارة ، الدوليـــة في جميع أنحـــاء الشـــرقين الادنىوالاوسط(*) .

١٢ ـ مقبرة أور الملكية :

اكتسبت مدينة أور السومرية شهرة واسعةبفضل ما اكتشف في مقبرة أور الملكية من قبور اثارت الدهشة في العـــالم الحديث في اثارهـــاوكنـــوزها الذهبية والفضية . فقـــد كشفت التنقيبات التي قام بها سير ليئونارد وولي في أورفي الأعوام ١٩٢٢ ـ ١٩٣٤ مجموعات متنوعة من المقابر منها ما يعود الى عهد سلالة أور الثالثـــة(٢١١١ ـ ٢٠٠٣ ق.م.) وأهمها المقابر الملكيـــة العائدة الى ملوك هذه السلالة ـ وهي قبـــوربالمعنى الصحيح ولكنها وجدت خالية معبوثا بها بحيث لم يعثر فيها على رفات أصحابها . وقد سجلمن هذه القبور ما يناهز ٢٥٠٠ قبر أمكن تعيين أسماء البعض منها ، اذ أمكن تشخيصما لا يقل عن ستة عشر قبرا بكونها قبور ملكية . وتمثل هذه المكتشفات ثروة من المعلومات الثمينةحول حضارة وادي الرافدين القديمة التي كانت سائدة في بلاد سومر وأكـــد في عصـــر فجـــر السلالات . كما انها تمثل لنا أصدق تمثيـــل مظاهر حضارة وادي الرافدين السامية السومريةفي اوج عظمتها (حوالي ٢٦٠٠ ق.م.) . وابرز تلك البقايا الآثار التي تعود الى الملكة « شبعاد »فقد وجدت جثتها في حفـــرة مستطيلة مع جثث حاشية من الوصائف والاتباع بلغ عددهـــا ٥٩جثة الغالب عليها انها جثث نساء ورجال من الجند والاتباع ، كما وجدت بقايا عربتين مع حيواناتهما من الحمـــر الوحشية الســـومرية وسائقيهما . اما الكنوز الاخرى فتعد من أروع الاثار النفيسة منهـــا الحلي الذهبية والقـلائد النادرة المصنوعة من الذهب والحجارة الثمينـــةكحجر اللازورد والعقيق والشـــذر ومنها لباس الرأس والاسورة والدبابيس والأوراد الاصطناعيةوكلها مقتنيات سيدات مجتمع ذلك العصـــر . وتعد القيثارتان الذهبيتان برأس ثور من الذهبالخالص اللتان عثر عليهما في قبر الملكة شبعاد من أروع وأنفس ما عرفه العـــالم القديم من آثاروهما تمثلان أقدم الآلات الموسيقية المركبـــة المعروفة في التاريخ القديم وقد وجدت بقايا منصندوقيهما الصوتيين وهما من الخشب المطعم بالصدف وحجر اللازورد (انظر التصاوير المرقمة٦٣ و ٦٤ و ٦٥ و ٦٦ و ٦٧) .

وكان من تقاليد ذلك العصر ان يتبع جميعأفـــراد الحاشية ملكهم الى الموت فيدفنونهم مع الملك عند مماته وهم أحياء ، فكان الملك يدفنفي مقبرة خاصة في حفلة جنازية دينية وكان يصحب جنازته الى قبره جميع أفراد حاشيته من الزوجاتوالضباط والجنـــود والخـــدم والموسيقيين حيث ينزلون في الحفـــرة المعـــدة لتكون قبر الملك ثميقدم لهم كأس من مادة مخدرة كالبنج فيشربونه الواحد تلو الآخر بعد اجراء مراسيم دينية خاصةوعندما يفقدون الوعي جميعا يهال عليهم التراب فيدفنون .

ولقد أوضح سير ليئونارد وولي حادثة لهادلالتها فقد وجد عندما اجرى حفرياته في قبـــر الملكة شعباد في أور ان جميع خادماتها ووصيفاتها اللواتي متن معها كن بكامل زينتهن وترتدين

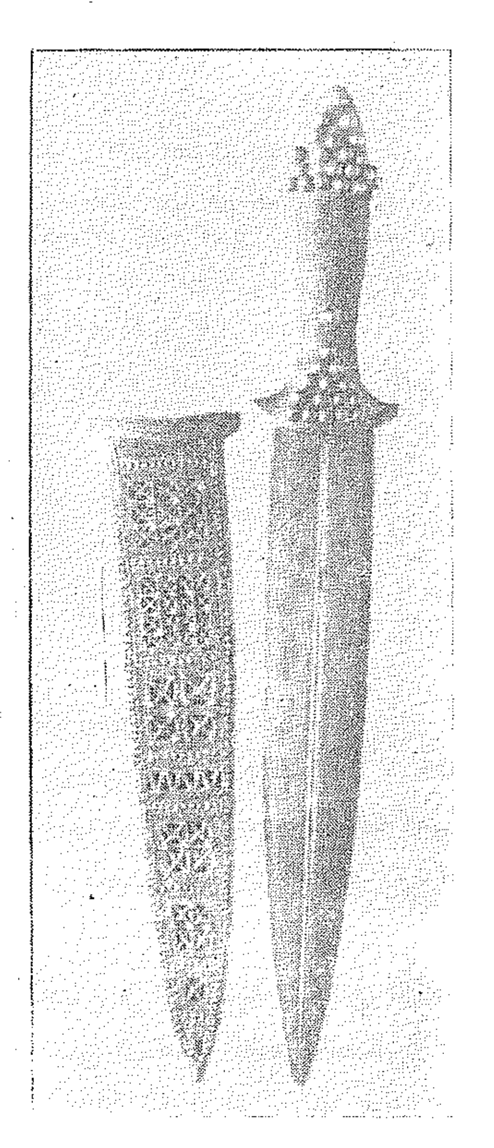
(*) Ruth Whitehouse: "The First Cities", London 1977, p. 40.



التصوير رقم (٦٣)

حلى نسوية سومرية من ذهب مطعم بزمرد وياقوت للملكة « شوب-آد » اكتشفت في المقبرة الملكية في اور وهي ترجع الى الالف الثالثة قبل الميلاد .

The head dress and jewellery of Queen " Shub-ad " found at the Royal Cemetery of Ur, on a reconstructed model, dating back to the third Millenium B C.

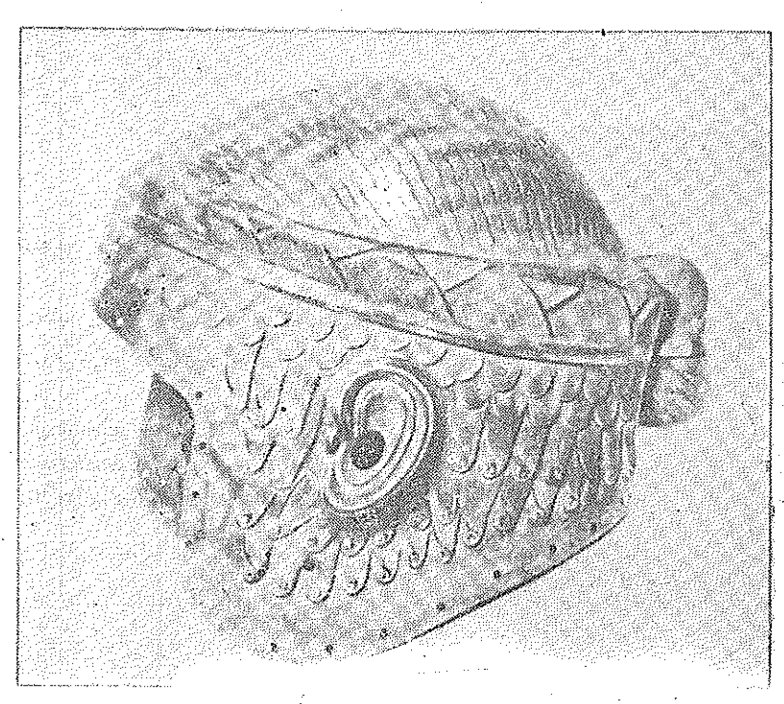


التصوير رقم (٦٤)

الخنجر الذهبي من مقبرة أور الملكية وقد صنع غمده من الذهب المرصـــع بالاحجار الثمينه وقد اشتهر بدقة صنعه وهو يعود الى الالف الثالثة قبل الميلاد .

The Gold Dagger from the
Royal Cemetery of Ur

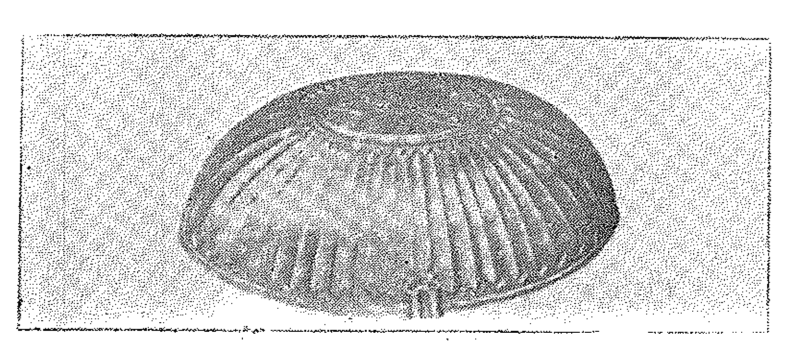
This is the famous gold dagger found in the royal tombs of Ur , the blade of which is of pure gold; its hilt is of blue lapis lazuli decorated with gold studs and its sheath of gold beautifully worked with an open work design derived from plaited grass. (" Excavations at Ur. " By Sir L. Woolley, p. 60).



التصوير رقم (٦٥)

الخوذة الذهبية المشهورة التي اكتشفت في المقبرة الملكية في اور ويرجع تاريخها الى الالف الثالثة قبل الميلاد

The Gold Helmet of Mes - kalam - dug from the Royal Cemetery of Ur dating back to the third Millenium B. C. it is made of one sheet of 15 carat gold.



التصوير رقم (٦٦)

طاس من الذهب من المقبرة الملكية في اور

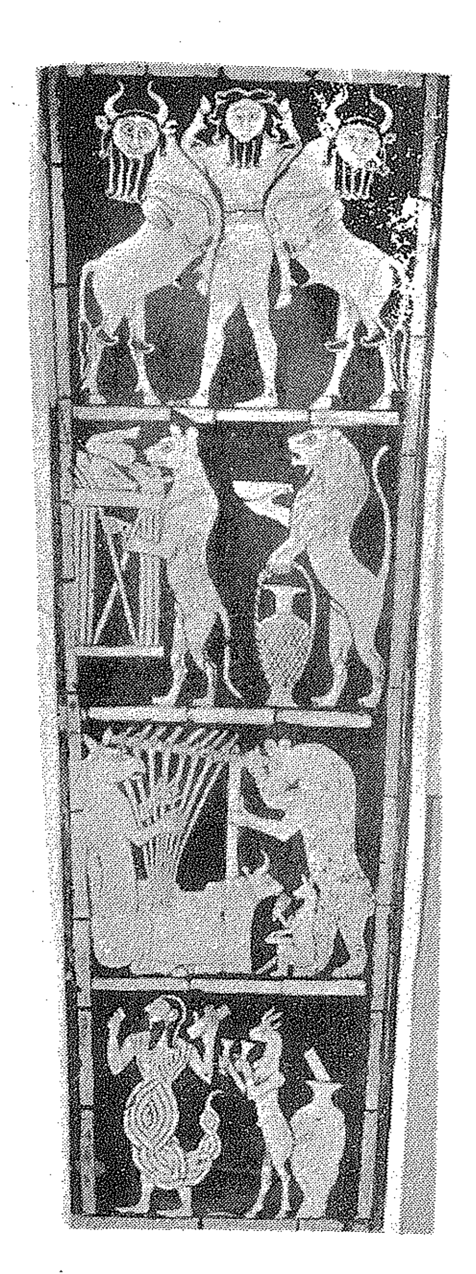
A Gold bowl from Queen Shub - ad's tomb (From the Royal Cemetery of Ur).

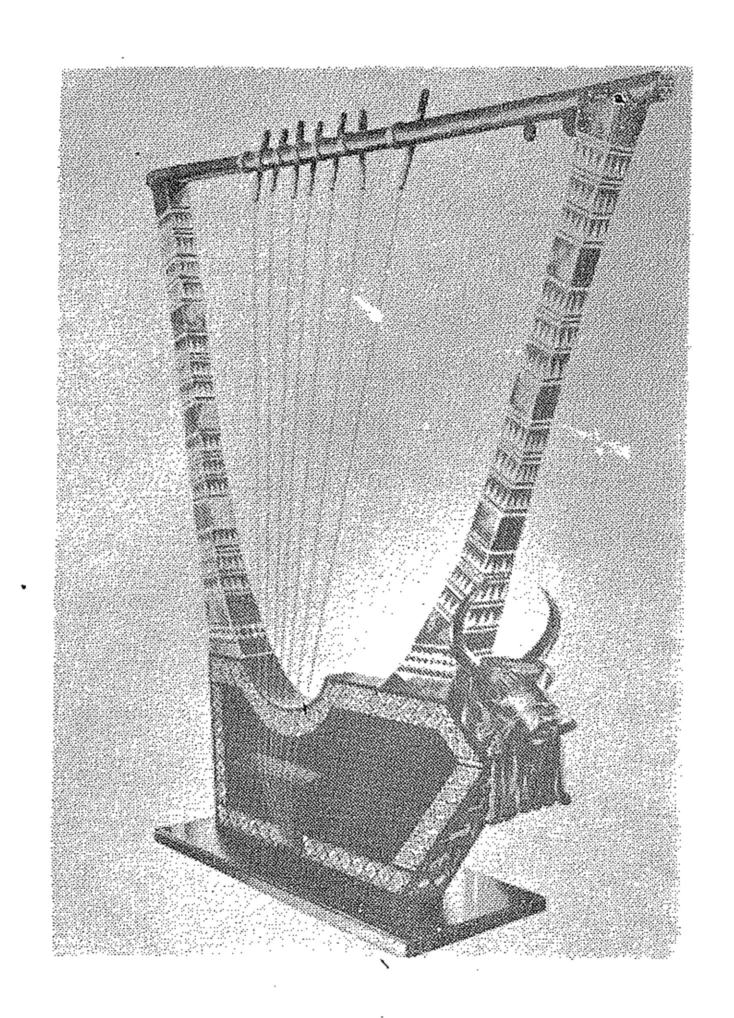
جميع أوشحتهن وحليهن الذهبية والفضية وعلى رؤوسهن أكاليل من الورد الاصطناعي ، ما عدا واحدة من الوصيفات لم يكن وشاحها عليها ، بل كان الى جانبها في الموقع الذي كان فيه جيب ثوبها . ويظهر ان هذه السيدة قد أتت متأخرة الى حتفها ، فلم يكن لها وقت الكافي لارتداء وشاحها الذهبي ، بل نسيته في جيبها .

ويجب أن نلاحظ هنا ان هذه اللقى مع أنها تمثل ابداعا ماديا يرمز الى مرحلة بعيدة في التقدم والارتقاء الانساني في مجالات التمدن ، ولكن ينبغي أن لا ننسى ان هذه المظاهر الحضارية لم تكن وليدة الموقع أو حصيلة الزمن الذي وجدت فيه ، اذ لابد ان تكون قد سبقتها حضارات

الصورة رقم (٦٨)

تشاهد في التصوير تحت هذا الشرح قطـــع النقوش الصدفية الاربعة على صندوق صوت القيثاره السومرية





التصوير رقم (٦٧)

آلة موسيقية وترية سومرية مطعمة بالاحجار الملونة والعقيق ومزينة في مقدمة صندوقها الصوتي برأس عجل من الذهب الخالص ، اكتشفت في المقبرة الملكية في أور يرتقـي زمنهـا الى الالف الثالثة قبل الميلاد ، وقـــد نقشت على صندوق الصـــوت تحت رأس الثور نقوش صـدفية لحيوانات تعمل عمل الانسان يتمثل فيها تقدم فن النقش السومري .

A Sumerian bull - headed harp discovered at the Royal Cemetery of Ur in King Abargi's tomb - Beneath the bearded bull's head made of pure go'd, is a set of fou1 shell plaques engraved with mythological scenes of animal playing the parts of men. These plaques are shown on Fig. 31 above.

لأقوام أخرى غير السومريين وأهمهم الساميون اقتبس السومريون منهم الكثير حتى بلغوا هذه المرحلة التي عاشوها في حوالي منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد • وفي تعليق للدكتور ناجي الأصيل على علاقة السومريين بالأقوام الاخرى وأثرها في تقدم الحضارة السومرية يقول : « ان البحث عن الشعب السومري واللغة السومرية لا يزال جاريا لمعرفة أصل هذا الشعب وعلاقة لغته باللغات المعروفة ، ويعمل العلماء لحل هذه المشاكل مستندين على دراسة آثارهم وكتاباتهم وهياكلهم ، وربط هذه الدراسة مع ما يتوصل اليه من الحقائق عن شعوب أخرى سبقت السومريين في الزمن أو عاصرتهم في الحياة والحكم » • ثم يضيف الدكتور الاصيل الى ذلك قوله : « ومن البديع ان ينهى السير ليوناردوولي أبحاثه القيمة في الحضارة السومرية بالجملة الآتية : « اما تقدم السومريين من الناحية الروحية فقد كان قليلا نسبيا اذا ما قورن بالنواحي الاخرى • وكان التقدم في هذه الناحية على أيدي قوم غرباء عن السومريين ، هم الساميون الذين تمت على أيديهم القوانين ، وظهر بينهم الانبياء » •

وقد يقال ان مقبرة أور الملكية التي تم اكتشافها تمثل أقدم حضارة سومرية (٢٦٠٠ ق•م•) وهي تعود الى زمن يسبق ظهور الاكديين الساميين ولكن وجد في بعض المدن الاخرى ما يصح تسميته بالقبور الملكية وان لم يعثر فيها على ما يشبه النفائس الاثرية التي تميزت بها مقبرة أور ، حيث وجد في كيش السامية قبور قديمة العهد بعضها يرجع زمنه الى عصر فجر السلالات الثاني ، وعثر في بعض قبورها على أجزاء من عربات وآثار أخرى لا تضاهي آثار مقبرة أور من حيث نفاستها ، كما وجدت في كيش نفسها مقبرة أخرى أرجع زمنها الى عصر فجر السلالات الثالث ولعلها تعاصر مقبرة أور في الزمن ووجدت قبور مماثلة في مدينة السوس عاصمة عيلام[٢٧] • وفضلا عن ذلك ان أهم القبور الملكية التي وجدت في مقبرة أور الملكية كانت تعود الى عهد سلالة اور الثالثة[٢٨] ومعنى ذلك ان أهم ما وجد في مقبرة اور يعود الى عصر الانبعاث السومري الاخير أي الى ما بعد عهد الاكديين الساميين[٢٩] •

١٣ـ مراحل التطور الزراعي عند السومريين ـ الطور الأول :

نستخلص من دراستنا لتطور الحضارة السومرية ان الحياة الزراعية السومرية مرت بثلاث مراحل في مجرى تقدمها ، أولاها تبدأ في أوائل عهد استيطان السومريين الاصليين وتوطيد حياتهم الزراعية البدائية في منطقة الاهوار ، والمتفق عليه أن هذه هي المنطقة الشبه بطائحية التي في جنوب دلتا الرافدين • وقد كان السكان في هذه المرحلة من القلة بحيث لم يستطيعوا ان يمارسوا الزراعة على مقياس واسع فاستغلوا ماهيأته لهم الطبيعة من موارد وهي تقتصر على الاستفادة من سواحل الهور وجزره وأحراشه المنتشرة لسكناهم واعاشة مواشيهم ، فكانت الادغال في المستنقعات والجزر ونبات القصب الطري تكوّن الغذاء لماشيتهم وسيقان القصب الناضجة المادة لبناء مساكنهم • وكان السمك غذاءهم الرئيسي كما هي عليه الحال بالنسبة لسكان الاهوار في الوقت الحاضر • واذا صح نزوح السومريين الاوائل الى هذه المنطقة من بلاد عيلام الايرانية فلابد ان يكونوا قد عرفوا بعض الشيء عن الزراعة في موطنهم الاول المتكون من منطقة بطائحية شبيهة بالمنطقة التي نزحوا اليها مما يمكنهم من ممارستها في موطنهم

الجديد ، والراجح انهم مارسوها على مقياس محدود وبشكل بدائي بدون ارواء حيث أمكنهم ان يستفيدوا من رطوبة الارض في زراعتهم على الطريقة المتبعة في مصر وهي المعروفة بطريقة الري الحوضي وقد سبقت الاشارة الى ذلك . وهناك من الدلائل على ان النخل كان موجودا في هذه المنطقة على ضفاف الانهر والجداول فيشير الخبراء الى ثبوت وجوده في عصر العبيد (أوائل الالف الرابعة قبل الميلاد) .

١٤ـ أهوار جنوبي العراق موطن الجاموس منذ اقدم العصور :

وتدل الاكتشافات الاخيرة على ان الجاموس الذي يكثر في منطقة الاهوار من جنوبي العراق اليوم والذي يؤلف أهم مورد اقتصادي لسكان الاهوار كان موجودا في أهوار ومستنقعات جنوبي العراق منذ أقدم الازمنة في حالته الوحشية ، ثم دجن في منتصف الالف الرابعة قبل الميلاد شأنه في ذلك شأن الثور الاحدب الوحشي[٣٠] .

وقد استطاع السومريون ان يجعلوا من الثور الوحشي ذي القرون الطويلة الملتوية ومن الحمار والخنزير والضأن والطيور حيوانات داجنة ، وكانوا يحاربون مستندين الى المهارة والقوة والحيلة الحيوانات المضرة التي تعيش في المناطق المجاورة من الصحارى والمستنقعات . ويقول الدكتور جارلس ريد استاذ علم الحيوان في جامعة اللينوى الامريكية ان الآثار التي اكتشفت في منطقة الوركاء في جنوبي العراق تدل على أن الاغنام والابقار بالاضافة الى الكلاب والماعز دجنت هناك في حدود ٤٠٠٠ ق.م. أما في مصر فان معظم هذه الحيوانات لم يتم تدجينها الا بعد مدة تتراوح بين خمسمائة الى ألف عام . اما طريقة التدجين فيرى الدكتور ريد أنه من الممكن ان بعض الحيوانات الاولى كانت تؤخذ صغيرة وترضع كالطفل من ثدي النساء المرضعات ولما كانت تلك الصغار من الحيوانات المرضعة صار من السهل تربية الحيوانات الاخرى باطعامها من الحليب المتوفر[٣١] .

وكان الجاموس الوحشي من الحيوانات المرعبة التي كان يخافها السكان أكثر من خوفهم من الاسود والثيران الوحشية ، وتشاهد في كثير من النقوش السومرية القديمة صور لابطال اسطوريين أنصاف آلهة وهم يصرعون الجاموس الوحشي ، ومن أقدم هذه النقوش نقش يشاهد فيه البطل الاسطوري جلجامش الذي تردد اسمه في ملحمته المشهورة وتكرر تصويره على الالواح والاختام لاعماله البطولية في مصارعة الاسود والجاموس وهو يقاتل الجاموس الوحشي (انظر ما تقدم عن ملحمة جلجامش في الفصل الرابع) ،كما يشاهد في نقش آخر يرجع الى العهد السومري الاكدي يمثل البطل الاسطوري نفسه جلجامش وهو يسقي الجاموس من كأس ينبجس منها مجريان يمثلان دجلة والفرات ، وقد كرر المنظر على النقش بغية التنسيق الفني والتناظر وتشاهد على الارض التي يقف عليها البطل والجاموس المياه والحصى مما يشير الى ان المنظر يقع في منطقة الاهوار ، ويعتقد ان هذا النقش يمثل هبة المياه ونعمتها على حياة البشر والحيوان أو لعله يمثل قوة البطل جلجامش على ترويض الجاموس الوحشي وتدجينه . ومما لا شك فيه ان الجاموس كان موجودا في منطقة الاهوار قبل ان يظهره السومريون الفنيون على أختامهم وألواحهم بزمن طويل . ويعتقد انه كان أول الحيوانات الوحشية التي انقرضت في جنوبي

العراق حيث اختفى كحيوان وحشي بعد منتصف الالف الثالثة قبل الميلاد (انظر التصاوير ٦٨ و٦٩ و٧٠) .

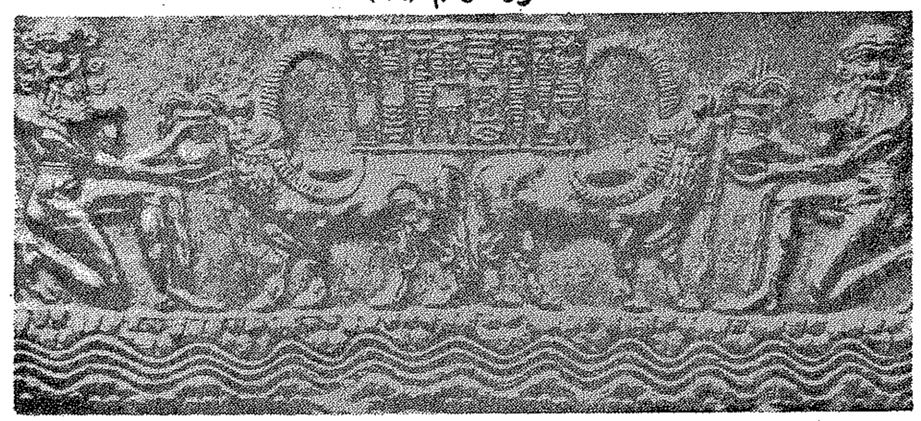
الجاموس - قديماً وحديثاً

The Water Buffalo - Past and Present

الجاموس في منطقة الاهوار في جنوب العراق كما صوره السومريون قبل حوالي ٤٥٠٠ عام

The Buffalo in the Marshy Region of Southern Iraq as depicted by the Sumerians about 4500 years ago.

الصورة رقم (٦٩)

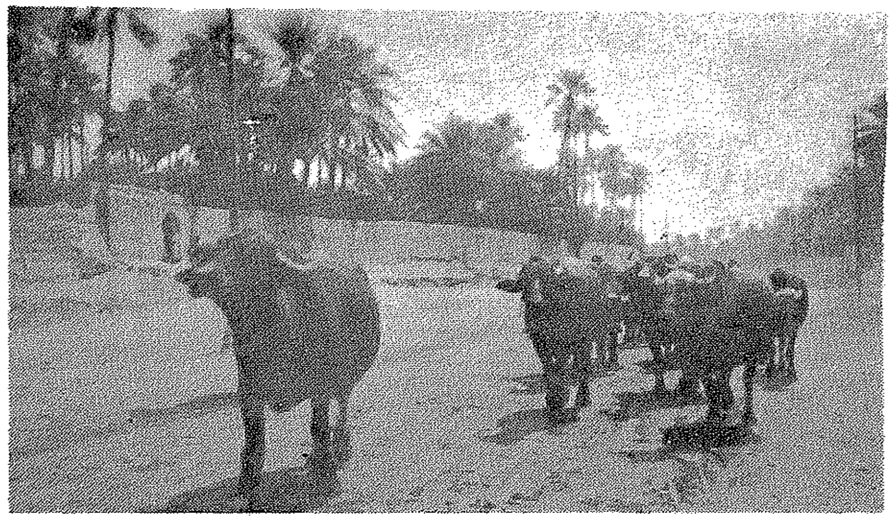


يشاهد في هذا النقش الذي يرجع الى العهد السومري الأكدي البطل الاسطوري كلكامش وهو يسقي الجاموس من كأس ينبجس منه مجريان يمثلان دجلة والفرات ، وقد كرر المنظر على النقش ، وتشاهد على الارض التي يقف عليها البطل والجاموس المياه والحصى مما يشير الى ان المنظر يقع في منطقة الاهوار . ويعتقد ان النقش يمثل هبة المياه ونمتهاعلى حياة البشر والحيوان وخاصة الى الجاموس الذي يعيش في الماء .

This is an impression on an Akkadian seal representing the mythic hero Gilgamesh watering a buffalo from a flowing vase, the same scene being repeated symmetrically. The two streams springing from the vase represent the Tigris and Euphrates. Water and gravel are depicted along the ground on which the buffalo and the hero stand, which bears in mind that this whole scene is in the marshy region of the lower Euphrates. The design is evidently mythological and represents the gift of water to a water animai and so to the world. (See : W. H. Ward,, op. cit., Fig. 26, pp 20- 21; H. Frankfort, op. cit., Plaie XVIIc, pp. 9, 51, 55, 80, 83, 85, 88, 89, 90, 91, 166) .

منظر لقطيع من الجاموس في منطقة الأهوار الحالية في جنوب العراق

A Flock of Buffalos in the Present Marshy Region of Southern Iraq



الصورة رقم (٧٠)

وهـــذا يكشف عن خطـــأ النظريـــة القائلة بأن الجـاموس عـــرف أول مـــرة في العـــراق في عهـــد ولايـــة الحجـاج بن يوســـف الثقفي حـين أتى محمـــد بن القاسم الذي اقتحم بلاد الهند والسند باناس من شط السند والهند ومعهم أهلوهم واولادهم وجواميسهم وأسكنهم البطيحة ، ولعل المقصود بذلك هـــو جلب بعض جاموس الهند لتحسين نسل الجاموس العراقي كما هو متبع في الوقت الحاضر في تحسين نسل الماشية فقد ثبت ان هناك نوعا من الجاموس الوحشي لا يدر الحليب لذلك فالارجح ان الحجاج جلب من الهند النوع من الجاموس الذي يدر الحليب ، كمـا جلب معهم عوائل هنـــدية للعناية به وتحسين نسـل الجـاموس العـــراقي ، ففي الفيليبين لا يزال الجاموس عندهم من النوع الذي لا ينتفع من حليبه أي انه لا يدر الحليب ، ومن الجـــدير بالذكر في هذا الصدد ان الطابع الوحشي الذي يتسم به الجاموس في الاصل ما زال متأصلا في طبيعة هذا الحيوان رغم تدجينه ، وذلك فيما نشاهده من هياج فحل الجاموس المدجن الحالي في بعض المواسم بحيث يرجع الى طبيعته الوحشية الاصلية فيحدث الرعب والهلع بين السكان ،

١٥ ــ منطقة اهـوار(*) جنوبـي العراق في الازمنـــة القديمة :

لقد سبق ان ذكرنا بان في حكم المتفق عليه ان منطقة جنوبي العراق أي الاهوار ، لم تكن مغمورة بمياه البحر في الازمنة القديمة كما كان يعتقد ، وان النظرية القائلة بان حد ساحـل الخليج كان في جوار سامراء قبل الالف الرابعة قبل الميلاد ثم انسحب نحو البحر جنوبا في حدود الساحل الحالي بنتيجة تراكم الراسبات الغرينية حتى أصبح مجاورا لمدينة أور القديمة في جوار الناصرية قد أصبحت مردوده من حيث الاساس ، اذ ثبت جيئولوجيا وتاريخيا ان حد الخليج في جنوبي العراق كان في الحـــد الحالي للخليج العربي وان السومريين استـوطنوا هذه المنطقة بالذات كما اشرنا الى ذلك فيما تقدم (انظر الفقرة ٢ من الفصل الاول) ،

١٦ــ منطقة أهوار جنوبي العراق الحالية :

قلنـــا ان أكثرية الباحثين يعتقـدون بان السومريين نزحوا من بلاد عيلام في جنوب شرقي بلاد فارس حيث السهل البطائحي في أسـفل دلتا نهري كارون والكرخة المشابه للمنطقة التي نزحوا اليها في جنوبي العراق ، ولدينا في نمط معيشة السكان الحاليين لاهوار المنطقة الجنوبية من العراق أوضح عرض لنمط الحيـــاة التي كان يعيشـــها هؤلاء النازحون في مستوطنهم الجديد في منطقة أهوار العراق ، لذلك يحسن قبـل البحث في تطـــور الحيـــاة الزراعية في المستوطنات السومرية القديمـــة ان نستعرض أولا نمط الحياة التي يعيشها سكان الاهوار في جنوبي العراق اليوم وهي المنطقـــة نفسها التي استوطنها السومريون القدامى في مكان ما من بحيرة الحمار الحالية ، وذلك لتوضيح أوجـه الشبه بين نمط حيـــاة سكانها الحاليين ونمط الحياة التي كان يعيشها النازحون القدامى الى هذا العالم البطائحي :

(*) الهور وجمعه الاهوار اصطلاح شائع استعماله في العراق للدلالة على البحيرة الواسعة الانتشار وتكـون عادة ضحلة قليلة الغور في اكثر اماكنهـا وتسودهـا المستنقعات والاحراش المائية المكونة من القصب والبردي في الغالب ،

تتكون منطقة الاهوار الحالية في جنوبي العراق من مجموعة من المستنقعات والبحيرات تغطي مساحة من الاراضي تقدر بعشرة آلاف كيلومتر مربع معظمها يمتد فيما بين النهرين دجلة والفرات والبعض الآخر يمتد على الجانب الايسر من نهر دجلة المحادد لايران . والمصادر التي تتمون منها هذه الاهوار بالمياه هي : حوض نهر دجلة ويتفرع منه عدد من الجداول والمصارف في محافظتي واسط وميسان فتكون هذه المجاري منطقة بطائحية واسعة تمتد على ضفتي النهر ، ثم حوض شط الغراف ويتفرع منه عدة جداول تمتد فيما بين دجلة والفرات في محافظتي ميسان وذي قار ، فحوض نهر الفرات ويتفرع من ذنائبه فروع كبيرة في محافظات بابل والقادسية وذي قار فحوض نهر كرخة الذي تنحدر مجاريه من مرتفعات ايران وتصب في المنخفضات الواقعة الى الشرق من نهر دجلة في محافظة ميسان . وتنصب أكثر مياه نهر دجلة بعد اجتيازه العمارة في الاهوار حتى يصبح النهر بين العمارة والعزير صغيرا جدا لانه يكون قد فقد حوالي (٨٠) بالمائة من مياهه في المسافة الممتدة بين القرنة والعزير ، الاان بعض هذه المياه يعود الى النهر في المسافة الممتدة بين القرنة والبصرة وهي المسافة التي يتكون فيها شط العرب . اما نهر الفرات فيصب مياهه في الأهوار الكائنة في جنوب الناصرية وأكثر هذه المياه يتصل بشط العرب أيضا عند كرمة علي في جوار البصرة شمالا .

١٧- مميزات منطقة الاهوار وخصائصها :

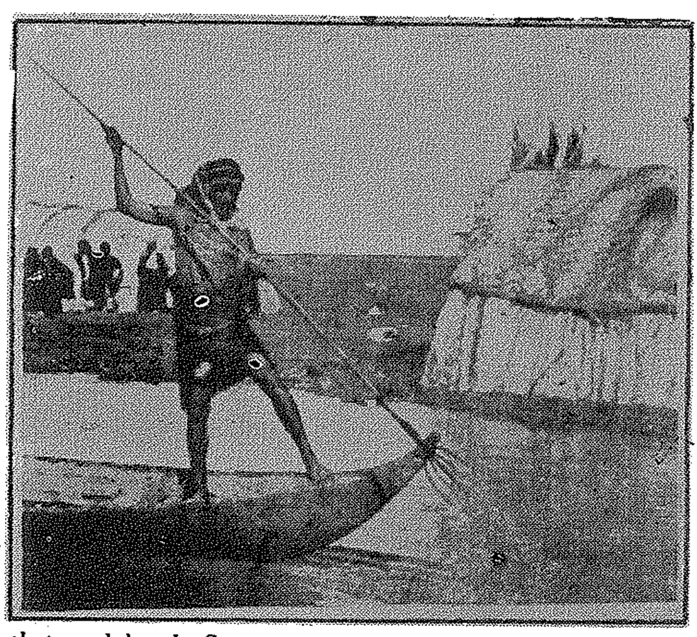
وتتميز هذه المنطقة بمناخها الصحراوي الجاف الذي تقل فيه الامطار شتاءا وتنقطع فيه صيفا حيث تشتد الحرارة ، كما تتميز بانبساط أراضيها حيث تقل درجة انحدارها فتنساب اليها مياه الانهار والاودية والقنوات والبزول من كل صوب فتنتشر فوق السهل الرسوبي مخلفة الكثير من المواد الغرينية والعضوية والاملاح المعدنية . ولا يزيد عمق مياه هذه المستنقعات والاهوار عن بضعة أقدام وتوجد فيها عدة جزر فوق مستوى المياه تقع عليها القرى التي يسكنها زراع الارز ورعاة الجاموس والغنم . وتنبت في أكثر أقسام هذه الاهوار غابات كثيفة من القصب والبردي وتمر فيها بعض المسالك المائية الخاصة ،ويستعمل القصب والبردي في انشاء بيوت السكان المعروفة بالصرائف واقامة السدود لحماية الاراضي من الغرق . وللقصب فوائد أخرى منها صنع الحصران المعروفة بالبواري (جمع بارية) وتستعمل هذه في بناء وفرش البيوت وحفظ الاطعمة والحبوب وفي أغراض أخرى ، وتستعمل شتلات القصب وهي صغيرة لرعي الجاموس (انظر التصوير رقم ٧١) .

ومن أهم ما تتميز به هذه المنطقة هو أنها في تغير مستمر ، ففي السنوات التي تحدث فيضانات عالية وطويلة الامد تتسع حدود الاهوار فتغمر مساحات شاسعة في حين أن هذه الحدود تتقلص في سني الجفاف ، كما ان للترسبات الغرينية التي تتركها مياه الانهر في الاهوار تأثيرا في احداث مثل هذا التغير ، فيقدر ما يلقى من المواد الرسوبية في داخل الاهوار حوالي ٩٠ بالمائة من مجموع الترسبات التي يحملها نهر دجلة في بغداد ونهر الفرات في هيت . وينتظر ان تتقلص مساحة هذه الاهوار والمستنقعات أو يجف بعضها بعد اكمال انشاء الخزانات للنهرين دجلة والفرات التي ستسحب أكثر مياه الفيضان ، الامر الذي سيؤدي الى استحالة أكثر أراضي الاهوار

الصورة رقم (٧١)

كوخ قصبي في منطقة الأهوار وصيد الأسماك

يشاهد في هذا التصوير أحد سكان الأهوار في جنوبي العراق وهو يصيد السمك بالكلاب ، كما يشاهد قريباً منه الكوخ القصبي الذي يسكنه ، وهو على وجه التأكيد لا يختلف عن الكوخ الذي سكنه السومريون في منطقة الأهوار قبل أكثر من خمسة آلاف عام .



Reedy Hut of the Marsh Dweller and Catching Fish

This is a typical dweller of the Marshy Region in Southern Iraq, catching fish with his hook. Near by is his reedy hut which is most certainly very similar to that used by the Sumerians in their early marshy settlement in Southern Iraq more than five thousand years ago.

الى أراضي زراعيـــة تضاف الى أرض العـــراق الزراعية ، وأهم أهوار هذه المنطقة وأوسعها هور الحويزة على ضفة نهر دجلة اليسرى وهو يتصل بالمستنقعات في ايران ومساحته داخل الحـــدود العراقية أكثر من ١٢٠٠ كيلومتر مربع ، ثم هور الحمار ومساحته حوالي ٢٥٠٠ كيلومتر مربع ، وأهوار منطقة الشامية والمشخاب وتقدر المساحة التي تغمرها مياه الفيضان في هذه المنطقة بنحو ١٦٠٠ كيلومتر مربع .

١٨ـ النخيل والاسماك والطيور :

ويكثر نخيل التمر في سواحل الاهـــوار الخارجية ويمتد الى مسافات بعيدة على طـــول ضفاف الانهار والجداول ، كما تكثر الاسماك في المنطقة والذي يؤكل منها هو البني والقطان والشبوط والشـــلق والحمـــري والصـــبور والخشني ، وفي الربيع من كل سنة يهاجر الصبور بكميات كبيرة الى الاهوار لبضعة أسابيع ، ثم بعد اشتداد الحـــرارة في الصيف يترك البني والقطان والشلق الهور المكشوف لبضعة أسابيع فيتجه نحو اقليم شط العرب حيث المناخ البارد نسبيا ، وفي أواخر موسم الشتاء تتم هجـــرة القطان والشلق الى أعالي دجلة والفرات لوضع البيض ، وينتج هور الحمار وحده حوالي ألفي طن من السمك سنويا أي حوالي خمســـة كيلو غرامات في كل مشارة من الهور ، ويفقد الهور كمية كبيرة من الاسماك سنويا نتيجة انحسار المياه عن بعض البرك وجفافها بالتبخر في موسم الصيف .

ومن الطيور التي يأكلها سكان الاهوار : الخضيري والبط ودجـــاج المـــاء والرخيـــوي والبريزجي والهليجي ، وتكثر هذه الطيور المائية في منطقة الاهوار في موسم الشتاء حيث يشتي جميع أنواع الخضيري الاوروبي كما يشتي الوز الاملح حيث يظل فيها للتفريخ في منابت البردي

الواسعة ، ويفتش السكان عن أعشاشه ليأخذوابيضه ويفرخونها تحت الدجاج • اما في موسم الصيف فتكاد تهاجر من الاهوار جميع أنواع الطيور ولا يبقى الا النزر اليسير في حافات منابت البردي •

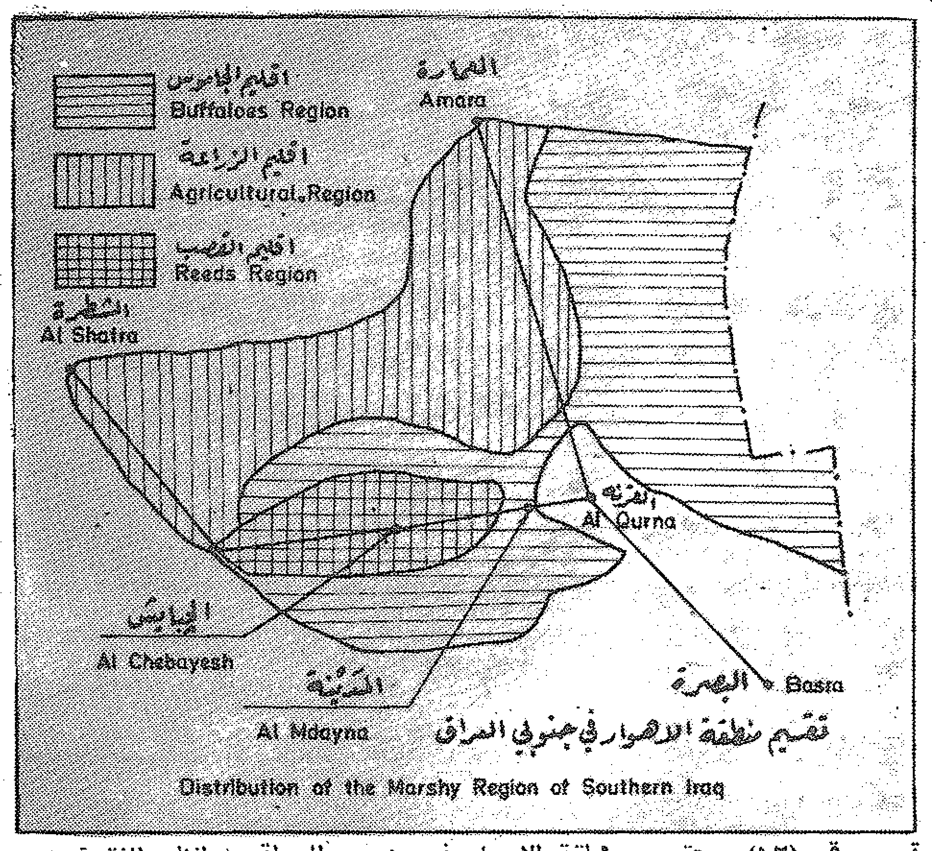
١٩ـ تقسيم منطقة الاهوار :

يقسم الجغرافيون منطقة الاهوار الى ثلاثةأقسام هي : الاقليم الزراعي واقليم الجاموس واقليم القصب • ويقع الاول في أطراف هورالحويزة في محافظة ميسان وفي الاطراف الغربية من هور الحمار في ناحية كرمة بني سعيدوعكيكة حيث يزرع الارز كمحصول رئيسي ومعه الذرة كمحصول ثانوي • اما الاراضي المجاورة لدجلة وجداوله في محافظة ميسان فتستغل في انتاج الشعير والتمور كمحصولين رئيسيين والارز كمحصول ثانوي ، ومثل ذلك في الجانب من حوض شط الغراف الاسفل ، ثم تضاف اليها الاراضي الممتدة بين القرنة والبصرة وبين القرنة والمدينة حيثتكون التمور المحصول الرئيسي • والزراعة في هذه المناطق تعتمد كليا على مستوى المياه فيسطح الهور ، ففيسني الفيضانات العالية والطويلة الامد يتأخر انحسار المياه الامر الذي يؤدي الىفوات أوان الزراعة الصيفية لذلك تعتبر الزراعة في هذه المناطق غير مستقرة وغير مضمونة •

ويقع أقليم الجاموس في هور الحويزةشرقي دجلة حيث تكثر قطعان الجاموس مع امتدادين ثانويين له يعبران دجلة من جنوبمحافظة ميسان يمتد احدهما الى أهوار الغراف السفلى والاخر الى هور الحمار جنوبي مجرىالفرات القديم • ويعرف أصحاب الجاموس بالمعدان وهم رعاة يتنقلون بقطعان الجاموس مناقليم الى آخر شأنهم شأن رعاة الغنم والابقار أو الجمال في المناطق البرية الذين ينتقلون معماشيتهم من مرعى الى آخر بحسب المواسم ، ويعتمد هؤلاء أكثر اعتمادهم في معيشتهم علىتربية الجاموس ولما كان الجاموس لا يعيش الا على الماء حيث يغطس أكثر وقته فيه فيلازم المعدانجاموسهم شريطة ان تكون حياتهم في الهور ، وهكذا نجد المعدان قد اكتسبوا طابعا حضارياخاصا بهم هو طابع حضارة المعدان ، سكان الاهوار • وهذا لا يعنى ان تربية الجاموسمقتصرة على هؤلاء الرعاة فقط ، فاننا نجد كثيرا من الفلاحين المستقرين الذين يعتمدون فيمعيشتهم على الزراعة يتعاطون تربية الجاموس أيضا بالاضافة الى أعمالهم الزراعية وبذلك صاروامعدانا بمعنى اصحاب الجاموس ، ويملك بعض هؤلاء قليلا من الابقار ولكن كلا الفريقين أيرعاة الجاموس والفلاحين هما من سكنة الاهوار • والجاموس أعز ما في حياة المعدانفيقضون جل أوقاتهم في العناية به وينظمون حياتهم وفقا لحياة ماشيتهم وخاصة في تنقلاتهمالموسمية • ويمد الجاموس المعدان بالحليب والزبدة والقشطة (الكيمر) وفي بعض الاماكنبالجبن ولا يذبح المعدان جاموسهم أبدا لأكل لحومها الا اذا كانت مريضة أو على وشك الموت •

واما اقليم القصب فيمثل قلب منطقةالاهوار وهو يمتد من المدينة شرقا الى كرمة بني سعيد غربا ويحدده من الشمال والجنوبالامتدادان المذكوران لاقليم الجاموس وبذلك

ينحصر في مجرى الفرات القديم مع الاهـوار الممتدة على طرفيـه ٠ وتكثر في اقليم القصب الجزر التي تفصل بينها ممرات مائية تعرف باسم« كواهين » وهي الطـرق الوحيدة التي تربط مختلف أجزاء الاقليم بعضها ببعض كمـا تربط الاقليم بالخارج ٠ وأهم مركز لهذا الاقليم واوسع قراه قرية الجبايش وهي اليوم مركز لقضـاء الجزائر ٠ ويلعب القصب دورا مهما في دعـم اقتصاديات هذه المنطقة ، اذ يعتبر من أهم موارد الثروة الصناعية عنـد سكان الاهوار فيستخدم القصب في صنع الحصر (البواري جمع بارية) وبناء المساكن ، والقصب هـو المـادة الخام الضرورية في صناعة الورق ٠ وتصدر كميات كبيرة من هـذه الحصر وكذلك كميات كبيرة أيضـا من القصب الخام فيحزم حزما كبيرة ثم تربط هذه الحزم ببعضها وتطلق في الهور ومنه تسير منحدرة مع تيار الماء في طريقها الى مدينة البصرة ٠ وتقدر كمية القصب التي تقطع سنويا في منطقة الجبايش بخمسين ألف طن الى سبعين ألف طن على مساحة تقرب من حوالي ١٢٠٠٠ مشارة(*) ٠ وقد دلت عمليات المسح التفصيلي التي اجريت لتقدير كميات القصب المتوفرة في منطقة الاهوار على ان القصب يغطي مساحة تقدر بحوالي مائة ألف هكتار (٤٠٠٫٠٠٠ مشارة) ، ومن الجدير بالذكر ان هذه الحصر كانت معروفة منذ أقدم الازمان التاريخية وقد وجدت اثارها في كل من أور وأوروك وهي تشير الى صلتهـا بالاهوار منـذ آلاف السنين (انظـر المرتسم رقم ١٢) ٠



المرتسم رقم (١٢) ـ تقسيم منطقة الاهوار في جنوبي العراق (انظر الفقرة ١٩) ٠

(عن الدكتور محمد حامد الطائي ، مجلة الاستاذ ، ١٩٦١ ، ص ٣٦٢)

(*) تساوي المشارة ٢٥٠٠ متر مربع ٠

٢٠ـ هور الحمار في جنوبي الفرات :

ومن أهم الاهوار في جنوبي العراق هورالحمار الواقع في ذنائب الفرات والراجح انه يمثل المنطقة التي نزح اليها السومريون الاوائل نظرا لمجاورته لاقدم المدن السومرية مثل أور وأريدو وأوروك ولجش ، ويمتد هذا الهور من سوق الشيوخ على نهر الفرات ومن القرنة على نهر دجلة في الاتجاه الجنوبي الشرقي الى ان يتصل بشط العرب في كرمة علي الواقعة على بعد مسافة حوالي عشرة كيلومترات من شمال مدينة البصرة • ويسمى القسم الجنوبي من الهور الذي يمتد من ذنائب نهر الفرات الى كرمة علي باسم هور السناف ، ويغذي القسم هذا كله تقريبا بمياه نهر الفرات ويصب في شط العرب في الماجدية وكرمة علي والمصب الذي في كرمة علي والذي يقع في الجنوب يزود شط العرب بأكبر كمية من المياه • اما القسم الشمالي الشرقي من البحيرة الذي يأخذ مياهه من أهوار نهر دجلة فانه يصب في شط العرب في القرنة والشافي • وتبلغ مساحة هذا الهور حوالي ٢٥٠٠ كيلومترمربع ولا يزيد عمق المياه فيه عن القدمين أو الثلاث أقدام • »

ويتلقى هور الحمار أكثر مياهه من نهرالفرات عن طريق فرعين ، الفرع الغربي وهو ذنائب الفرات وينتهي في جنوبي سوق الشيوخ الى ثلاثة جداول رئيسة هي : بني سعيد والحفار وام نخلة ، وقد انشئت مؤخرا نواظم في صدورهذه الجداول لتنظيم المياه وتوزيعها فيما بينها بمقادير معينة والفرع الشرقي وهو شط السفحة وينتهي الى جدولين هما جدول العكيكة وكرمة حسن • وتصب مجموعة هذه الجداول وتشعباتها في هور الحمار فتنتشر في داخل الهور باتجاه الجنوب الشرقي حتى تخرج منه لتصب في شط كرمة علي ، ونهرا الفرات ودجلة بعد التقائهما عند كرمة علي يكونان شط العرب الذي ينتهي الى الخليج العربي قرب مدينة الفاو •

٢١ـ تاريخ تكوين هور الحمار :

اما تاريخ هور الحمار فهناك دلائل تدل على أنه تكوّن نتيجة الفيضان الهائل الذي حدث سنة ٦٢٨ ـ ٦٢٩ للميلاد ، فيروى المؤرخون ان الرافدين دجلة والفرات ، طغيا طغيانا هائلا مرة واحدة ، وكان الطغيان من الشدة بحيث لم يعد بامكان أي مجهود بشري ان يقف بوجهه ، وقد كانت التخريبات التي أحدثها مضاعفة ، منها انهيار السدود ومشاريع الري الرئيسة ، هذا عدا تحول الانهر عن مجاريها الاصلية ، فانقلبت المناطق الجنوبية الى مستنقعات وأهوار واسعة تمتد بسعتها كالبحر وصارت تعرف هذه الاهوار في زمن العرب باسم « البطائح » ، ولقد كتب أكثر المؤرخين العرب عن البطائح فتبسطوا في وصفها وبيان أسباب تكونها ثم كيفية اصلاح قسم من أراضيها للاستفادة منها في الزراعة •

وان أحدث النظريات التي لاقت تأييد أكثر الباحثين ان هذه المنطقة ـ منطقة هور الحمار ـ كانت منذ العهد السومري القديم منطقة مستنقعات وأهوار تكثر فيها الجزر كما هي عليه اليوم بخلاف ما كان يعتقد من انها كانت مغمورة بمياه البحر في تلك الازمان القديمة • وقد سبقت الاشارة الى ذلك (انظر ما تقدم حول تكوين أرض دلتا الرافدين في الفقرة ٢ من الفصل الاول) •

٢٢ ـ الاوضاع الطبيعية في هور الحمار :

واذا تجولنا في قلب هور الحمار الحالي وهو على ما نعتقد اشبه بالمنطقة التي لجأ اليها السومريون القدامى ، بل لعله المنطقة نفسها التي نزحوا اليها ، نجد أن أرض هذه المنطقة منبسطة بحيث ان حدوث ارتفاع قليل في مستوى المياه في موسم الفيضان الاعتيادي يغمر ما يقارب خمسمائة ألف مشارة من أراضي الهور . ويساوي مستوى قعر الهور معدل مستوى سطح البحر ويرتفع قرب القرنة الى ٢,٥ مترا فوق سطح البحر . اما مستوى المياه فيه فيبلغ ٧٠ سنتمترا فوق معدل مستوى سطح البحر ، أي فوق مستوى قعر الهور في أوطأ حالاته في موسم الصيف . ويرتفع مستوى سطح المياه في موسم الفيضان الاعتيادي الى مترين فوق معدل سطح البحر وفي الفيضان العالي الى ٢,٧٠ مترا وبذلك يكون التفاوت في مستويات المياه في هذه المنطقة بين معدل مستوى مياه الفيضان وأوطأ مستوى للمياه في الموسم الواطيء في الصيف حوالي ١٥٠ سنتمترا فقط ولم تتأثر منطقة هور الحمار بالمد والجزر الذي يحدث في سطح مياه البحر .

يتضح مما تقدم ان مساحة اليابسة التي يمكن استثمارها في الاغراض الزراعية داخل منطقة الهور محدودة جدا وان ما يظهر منها فوق سطح الماء على هيئة جزر أو ما يظهر على سواحل الهور بعد انخفاض المياه في أعقاب الفيضان هو أثمن ما في المنطقة من ثروة زراعية وخاصة بعد ان تكون قد تركت المياه وراءها بعد انحسارها المادة الغرينية الدسمة على سطحها .

٢٣ ـ السومريون الأوائل وسكان الاهوار الحاليون في جنوبي العراق :

ولا نخال الاقوام الاولين الذين اختاروا منطقة أهوار جنوبي العراق ليتخذوا منها مستوطنا لهم قبل حوالي خمسة آلاف عام يختلفون كثيرا عن أحفادهم سكان الاهوار الحاليين في نمط حياتهم ، في أساليب معيشتهم ، في هيأتهم ، في تنقلهم بين غابات القصب ، في بناء أكواخهم القصبية وسط الماء ، في صيدهم للاسماك والطيور ، في اعداد العلف لقطعان الجاموس .. فقد هيأت الطبيعة لكليهما في هذه المنطقة وسائل العيش ومقومات الحياة دون ان يحتاجوا الى عناء كبير في تدبير معاشهم اليومي . اما السومريون الاولون فقد أوجدت لهم الطبيعة في منطقة الاهوار واحراشها ملجأ أمينا يقيهم شر هجمات الوحوش وخطر الغزو البشري . وهذه المستنقعات ذات الأجم القصبية الكثيفة هي بالنسبة لبني البشر أصلح مكان يختبيء فيه الانسان . ولا أدل على ذلك مما نشاهده في عصرنا الحاضر في حرب فيتنام وكيف استطاع الفيتناميون مقاومة احدث وأقوى معدات الحرب الحديثة في الاهوار والمستنقعات والأجم الكثيفة . اما من حيث الغذاء فقد وفرت لهم الطبيعة أنواع الطيور المائية والاسماك فيها بوفرة أيضا ، ففتحت أمامهم أوسع المجالات لممارسة مهنة القنص والصيد التي امتهنها الانسان منذ ظهور الجنس البشري على الارض . والاهم من كل ذلك أن الطبيعة قد وفرت لهم في هذه المنطقة العناصر الاساسية للحياة وهي الماء العذب والشمس والتربة ، ماء وفير دائم يسهل تناوله ، وشمس غامرة تبعث حرارة الحياة ، وتربة هشة لينة يسهل نمو جذور النباتات فيها على رطوبة الارض دون جهد .

كما ان الجزر والمستنقعات تكون مصدرعيش السكان وغذاء ماشيتهم حاليا ، كـذلك كانت ـ أي الجزر والمستنقعات ـ عماد الحيـاةللسومريين الأوائل ، فالطبيعة قد هيأت لهم فيها كل مقومات الحياة ، اذ لا يحتاج الفلاح الى عناءكبير في ممارسة زراعته في هذه الجزر ، فالكلأ ونباتات الهور وفيرة للماشية والارض خصبةوفيها من الرطوبة ما يكفي لانضاج الزروع دون سقي كالحبوب وغيرها من المحاصيل الصيفية ٠وأكثر الجزر تغمر بمياه الفيضان وفي هذا الموسم ينتقل السكان الى قراهم على سواحل الهور أوالى بساتينهم على ضفاف الانهر ، ثم تنحسر المياه عنهـا تاركة مادة غرينية على سطحها فتجـددخصوبتها عاما بعد عـام ٠ اما مساكن السكان الحاليين فلا تختلف كثيرا عما كانت عليه مساكن الاقدمين وهي أكواخ من القصب والبردي اللذين يتوفران بكثرة في المستنقعات وينميان بصورةطبيعية (انظر التصوير رقم ٧١) ٠ وتشاهد هذه الاكواخ اليوم مكتظة في مدخل الهور بين نخيلالتمـر المزدحمة حيث تتخللها مئـات السواقي المتشابكة وهي تنحدر من النهر متجهة نحو الهورفتؤلف طرق المواصلات المائية بين القرى ، كما انها تكون الطرق المائيـة المؤدية الى الهـورالكثيف ، وكان وما زال القارب المسمى اليوم بالمشحوف من أهم وسائط النقل في هذه المنطقةالبطائحية ٠

٢٤ـ « المشحوف » في منطقة الاهوار :

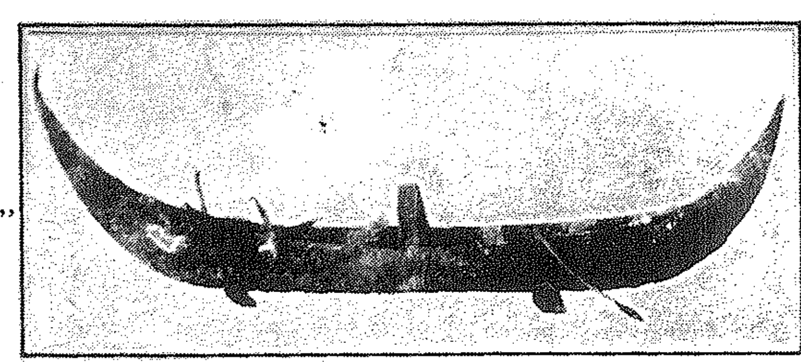
« المشحوف » وجمعه « مشاحيف » قاربخفيف يستعمله سكان الاهـوار في تنقلاتهـم المائية وهو مستطيل الشكل وضيق بحيث لا يستطيع المرء ركوبه الا اذا مد رجليه في قعره وهو يتمسك بطرفيه لضمان التوازن خشـيةانقلابه ٠ وفي المشحوف حوض من الطـين في مؤخرته يعد لشي السمك فيه وهو أهم غذاءسكان هذه المناطق ، ويصنع المشحوف من الواح خشبية ومن قطع خشبية محفورة ومطلية منالخـارج بالزفت (القير) ، وتصنع أحسـن المشاحيف في منطقة « الهوير » الواقعة على نهرالفرات يصنعها أناس متخصصون توارثوا هـذه المهنة عن أجدادهم منذ أقدم العصور ، والمشاحيف تدار بأعمـدة طـويلة قوية من القصب تعـرف بالمرادي ، ويفضل ملاحوها دائما طريقة دفعهـابالمرادي على طريق الغرف الا اذا كانت الميـاه عميقة الغور ، لانها أسرع سيرا وأقل جهدا ،ويستطيع الملاح ان يقطع في مشحوفه في اليوم الواحد خمسين أو ستين ميلا بكل سهولة ، وفيالاهوار مسالك مائية يسلكها أهل الهـور في تجوالهم بين جزيرة وأخرى وبين أجزاء الهـورالمختلفة لا يعرفها سواهم ٠

والمشحوف من أهم مقتنيات سكان الاهوار التي لا يمكن ان يستغني عنهـا أي بيت من بيوتهم ، ففي المشحوف يتنقل ساكن الهور لصيدالاسماك والطيور ، وفي المشحوف يجـول بين منابت القصب والبردي لنقـل العلف لماشيته ،وفي المشحوف يحمل منتوجاته لبيعها في قرى عالمه البطائحي ، وفي المشحوف يتنقل بين قرية وأخرىوأحيانا من بيت لآخر في منطقة الجبايش (انظر التصوير ٧٢ و٧٣) ٠

وهـذا المشحوف نفسـه كان يستعملهالسومريون في مستوطنهم البطائحي في جنوب العراق ، اذ صوروه على نقوشهم التي ترجع الىأقدم الازمنة ٠ ومن الدلائل الملموسة على ذلك

المشحوف ـ قديماً وحديثاً

The " Mashhoof " of the Marsh - Past and Present

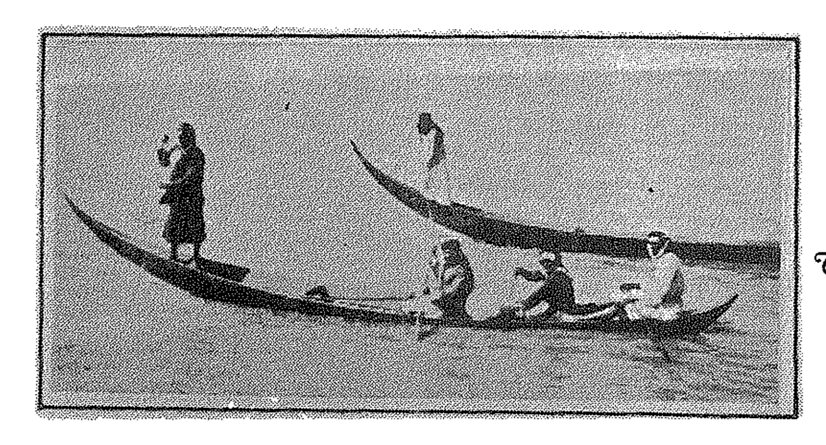


الصورة رقم (٧٣)
المشحوف قديماً

The old Sumerian " Mashhoof"

هذه صورة نموذج مصغر لزورق مصنوع من الفضة عثر عليه مع مجاذيفه في المقبرة الملكية في « اور » يرجع تاريخه الى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد ، وهو نسخة طبق الاصل تماماً للمشحوف الذي يستعمله سكان الأهوار في الوقت الحاضر في جنوبي العراق كما يتضح من صورته ادناه ، والنموذج معروض الآن في المتحف العراقي .

This is a silver model of a rowing boat, identical to the "Mashhoof" in use to-day on the marshes sf the lower Euphrates as shown below. The model was found in the Royal Cemetary of Ur from the tomb of the Sumerian king A-bar-gi dating from the third early dynastic period of Ur about the middle of the third millenium B.C. It is about two feet long, and has five seats, and amidships an arched support for the awning which would protect the passenger. The leaf bladed oars are still set in the thwarts. The model may be seen at the Iraqi Museum. (See : " Excavations at Ur ". By Sir L. Woolley, 4th imp., 1963, Plate 9b facing p 80)



الصورة رقم (٧٢)
المشحوف الحالي

The Present " Mashhoof"

وهذا هو « المشحوف » الذي يستعمله سكان الأهوار حالياً في تنقلاتهم في منطقة الأهوار في جنوبي العراق وهو طبق الاصل تماماً لنموذج القارب السومري المثبت أعلاه و الذي كان يستعمله السومريون قبل اكثر من خمسة آلاف عام في مستوطنهم البطائحي في جنوبي العراق .

This is the type of boat used at present by the dwellers of the marshy region of southern Iraq and known by the name of "Mashhoof" which is an exact replica of the boat used by the Sumerians more than five thousand years ago in their marshy settlement in southern Iraq as shown on the model found at the Royal Cemetary of Ur.

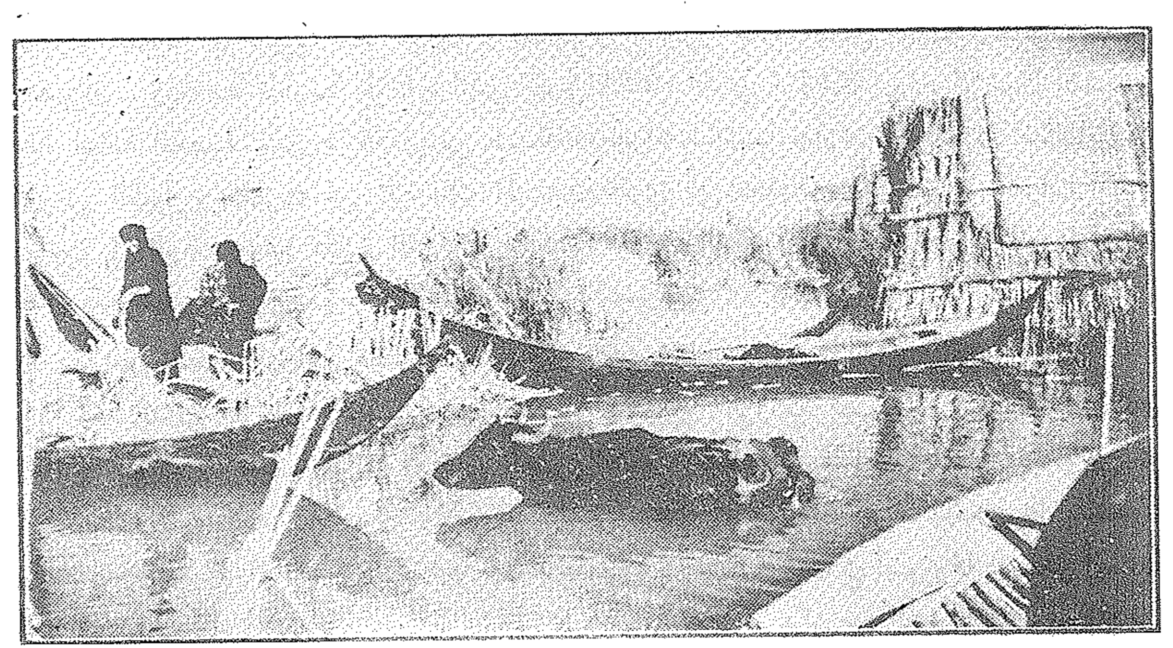
النموذج المصغر للمشحوف الذي عثر عليه مع مجاذيفه في المقبرة الملكية في أور وهو طبق الاصل للمشحوف الذي يستعمله سكان الاهوار في الوقت الحاضر . والنموذج هذا ، وهو يشاهد اليوم في المتحف العراقي ببغداد ، مصنوع من الفضة يبلغ طوله قدمين وفيه خمسة مقاعد وفي الوسط مسند مقوس لمظلة تحمي الراكب من حرارة الشمس أو المطر وقد عثر على المجاذيف في المواقع المعدة لها . ويعود هذا النموذج الى أوائل عصر السلالات ، أي حوالي منتصف الالف الثالثة قبل الميلاد (انظر التصوير رقم ٧٣) وقد عثر مع هذا النموذج على نموذج آخر من النحاس وهو في حالة محطمة مفتتة .

٢٥- صور وخواطر تثيرها بيئة الاهوار في جنوبي العراق :

وقد تيسر لي وأنا في دور الشباب ان اجوب منطقة أهوار جنوبي العراق وبخاصة هور الحمار ، فقضيت في الهور بين سكانه حقبة من الزمن مستطلعا محققا ، فكان تجوالنا فيه على ظهر المشحوف السومري ، ولما كان معظم أقسام الهور ضحلا قليل الغور فكنا نسير في أكثر الحالات مشيا على الاقدام خياضا وسط الماء هربا من تعب الجلوس الطويل في المشحوف دون حركة . وكان مبيتنا ليلا في الجزر بين الاغنام على العشب الاخضر ، فلم أجد طيلة مدة تجوالي في هور الحمار ما يضايقني ، فالمناخ معتدل رطب غير موبوء(*) والنسيم عليل والمياه صافية عذبة تتزاحم فيها أنواع الاسماك من كل صوب . فكان قوتنا طيلة مدة الرحلة على الاسماك التي لا يحتاج المرء الى أكثر من ان يمد يده فيمسك السمكة من تحت الماء ، وكثير منها كان يقفز ويحط في المشحوف فنختار الجيد منها لشيه في حفرة الطين في مؤخرة المشحوف ونطلق الصغار منها . وكان الحبحب (الرقي) وهو طازج لذيذ منعش يوزع علينا على طول الطريق في الهور مجانا وذلك بطريق نقله في المشاحيف الى القرى في ساحل الهور ، اما المادة الوحيدة التي نقلناها معنا بكمية كبيرة فهي الخبز . والظاهر ان هذا الصنف من التغذية ملائم كل الملائمة لنمو جسم الانسان اذ زدت خلال المدة التي قضيتها متجولا في الاهوار على الرغم من عدم توفر وسائل الراحة التي تتمتع بها في بيوتنا . وكنت وأنا في وسط الهور الكثيف بين سكان هذا العالم المنعزل النائي ترتسم في مخيلتي صور تلك الاقوام القديمة التي سكنت هذه المناطق لاول مرة في قديم الزمان وهم لم يزالوا محتفظين بسمة حياتهم البطائحية الانعزالية الخاصة بهم حتى يومنا هذا رغم مرور آلاف السنين على ممارستهم هذا النمط من الحياة ، فيمر أمامي الشريط الذي يعكس لنا صورة حقيقية لنمط حياة اولئك الناس الاوائل الذين اتخذوا من هذه المنطقة مستوطنا لهم بعد نزوحهم من وطنهم الاصلي (ان لم يكونوا هم سكان الاهوار الاصليين) فتركوا بقايا مستوطناتهم القديمة في باطن التلول الاثرية المنبثة في وسط الهور وهي التي يدور حولها اليوم أغرب القصص والاساطير . فالطبيعة التي هيأت للسومريين القدامى وسائل سكناهم وعيشهم في قلب هذه المنطقة البطائحية والتي هيأت لسكان الاهوار الحاليين سبل العيش فيها ، هي هي نفسها لم تتغير برغم انصرام ما يربى على خمسة آلاف عام

(*) هناك مناطق موبوءة بالبعوض وهذه تقع في وسط المنطقة التي تربى فيها قطعان الجاموس بكثرة وهي تساكن اهل الجبايش وقد قضيت فيها ليالي عسيرة لاتطاق .

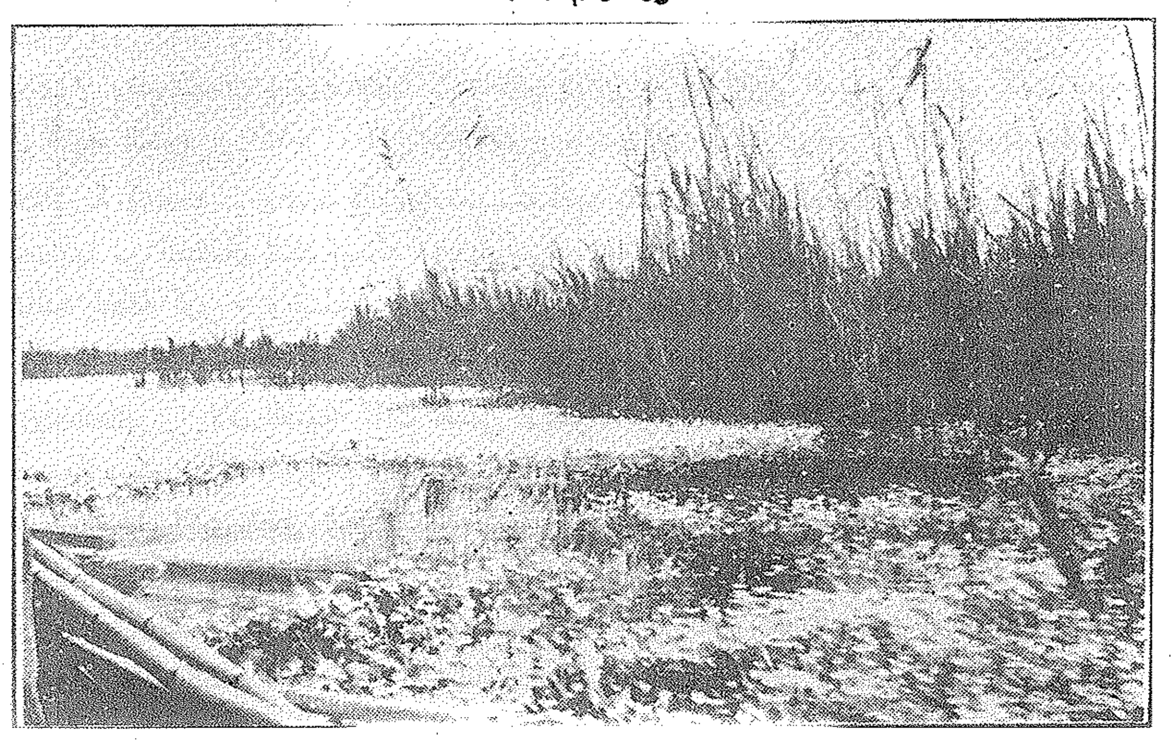
على ظهور السومريين في هذه المنطقة . ومن يدري لعل الفلاح الحالي الذي احتضنته هذه البيئة واحتضنها ان هو الا أحد أحفاد اولئك الناس الذين عاشوا في هـــذا المحيط البرمائي النائي المنعزل قبل أكثر من خمسة آلاف عام . (انظر التصويرين ٧٤ و٧٥) .



منظر اعتيادي لمنطقة الاهوار

A Typical Scene in the Marshlands

الصورة رقم (٧٤)



اجمة قصبية تكتنفها ازهار مائية

Reeds and Water Lilies of the Marshes

الصورة رقم (٧٥) .

٢٦ـ ملائمة منطقة جنوبي العراق لتطور الحضارةالسومرية :

لقد كان عامل الطبيعة اداة لجعل سهول جنوبي العراق مطمح الانظار فاغرت الانسان على استكشافها واستيطانها لخصوبة أرضها الرسوبيةالمستوية وتوفر مياه الري السيحية فيها على طول السنة ، بالاضافة الى مناخها المشبع بالحرارة ،فأصبحت ميـدانا فسـيحا لجهود اناس تلك الادوار القديمة في تطوير نمط حياتهم وانتقالهمالى طـور جديد تتمثل فيـه وسائل التمـدن والعمران ، وبخاصة ممارسة الانتاج الذي يفوقالاكتفاء الذاتي • وهكذا راح الانسان القديم في هذه البقعة الخصبة يشق طريقه وينمي طـاقاتهوخبراته مكتسبا مهارات جديدة في استثمار هذه الارض الطيبة ، فظهرت على اثر ذلك المـدنوالقرى على محاذاة مجرى نهـر الفرات القديم وبرزت في الوقت نفسه فكرة الدولة والحكـموالنظام والدين والملوكية ، فصارت تعرف هـذه المدن بدويلات مدائن سـومر واكـد (انظـرالتصويرين ٧٦ و٧٧) •

٢٧ ـمراحل التطور الزراعي عنـد السومريـين ـالطور الثاني :

وقد بدأت المرحلـة الثانيـة من حيـاةالسومريين الزراعية عنـدما كثر عدد السكان والماشية بحيث لم تعـد تكفي أراضي الجـزرالصغيرة لاعاشتهم فساقتهم الحاجـة وهي ام الاختراع والابداع ، الى احياء اراضي جديدةمن منطقة المستنقعات وذلك بتسويرها بسـدود ترابية وتجفيفها ثم انبات الزروع فيها واسقائهاسيحا باحداث فتحات في أسوارها على قدر الحاجة للارواء • ولما كان الماء قليل الغور فالضغط علىهذه السدود لم يكن من الشدة بحيث يحتاج الى أعمال ضخمة • وهذه الطريقة ، أي طريقة تجفيفالمستنقعات واستغلال أرضها في الزراعة ، بقيت متبعة في منطقة الاهوار في العصور التي تلت الىالوقت الحاضر • فقد ورد في لوح يعود الى عصر سلالة اور الثالثة (حوالي ٢١٠٠ قبل الميلاد)ما يدل على أن طريقة تجفيف الاراضي في مناطق الاهوار والمستنقعات واستصلاحها لاستغلالها فيالزراعة على الري السيحي الدائم كانت تستعمل في العهد السومري المتأخر ، ففي هذا اللوح مايشير الى ان « اورنمو » أول ملوك سلالة اور الثالثـة (٢٠٥١ ـ ٢٠٣٤ ق•م•) اسـتصلح« پشـدوا » (Peshadua) وحوطها بأسـوار لحمايتها من الفيضان تمتد مسافة ٤٤٧٦٠ مترا ، ويضيف انه سجل لنفسه في عمله هـذا مفخرة خالدة لمنطقة أور • ويقـول خبراء التربة انالمزارعين القدامى الذين كانوا يمارسون الاعمال الزراعية في هذه المنطقة منذ الالف الخامسة قبلالميـلاد لم يجابهوا أية مشاكل بسبب الملحيـة (Salinity) لان الطبيعة كانت تضمن لهـماستمرار خصوبة التربة فضلا عن توفر مياه الري بصورة مستمرة[٣٢] • ويؤكد ويلكوكس في هذاالصدد ان السومريين اتخذوا أقدم موطن لهـم داخل السهل الذي تصل اليه الميـاه طول أيامالسنة ، فاقاموا هنـاك من السدود المحكمة ما يحميهم من خطـر الفيضانات التي لا يتجـاوزارتفاع الماء فيها ثلاثة أقدام عن مستوى سطح الارض • وقـد شيدوا مدنهـم ومعابدهم فيالاماكن التي يتقون فيها شر الوحوش الضارية وعدوان عرب الصحراء • وكانوا يتعاطون مهنة الزراعـة ويروون أراضيهم بأحداث فتحات في تلك السدود حتى تصل المياه السيحية اليها[٣٣] •(انظر التصوير رقم ٧٨) •

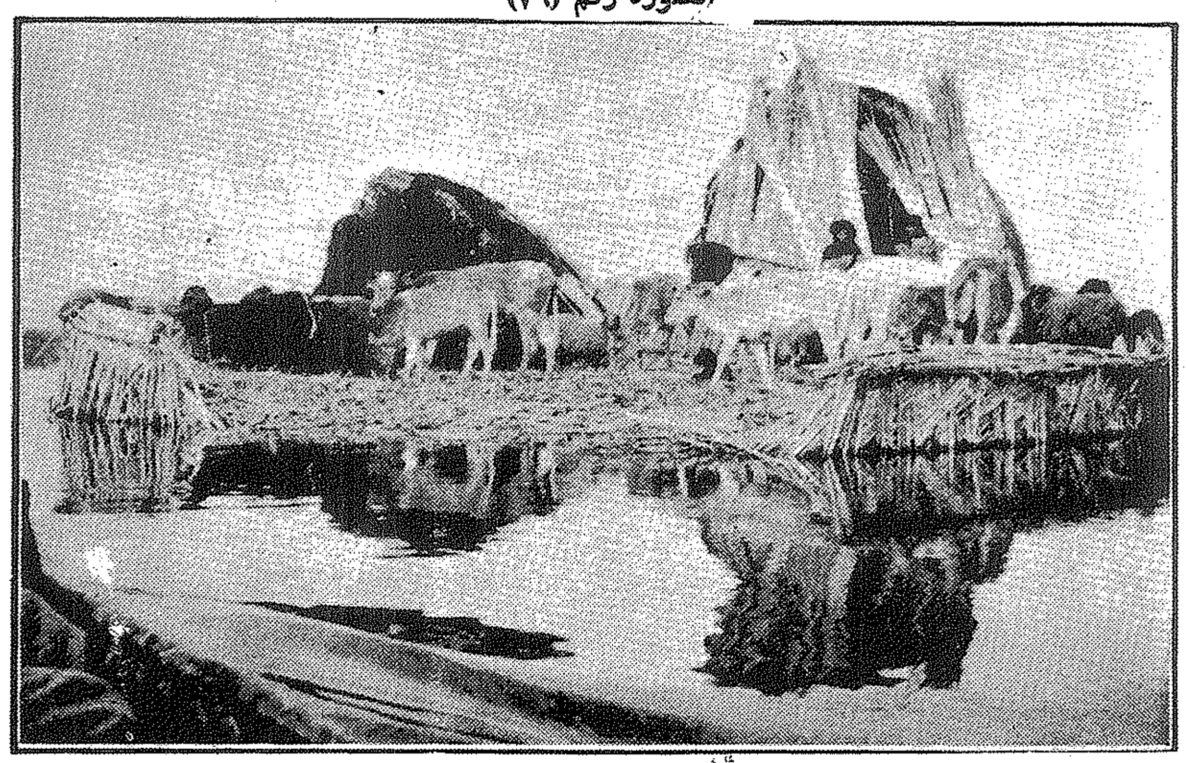
ونعتقد ان هؤلاء السومريين كانوا قـدبدأوا بتجفيف المستنقعات والبطائح التي كانت قرب رأس الخليج العربي قبل سنة ٣٥٠٠ قبـلالميلاد ، وأخيرا امتدت قرى أكواخهم المبنية من



أحد سكان الاهوار الى جانب مشحوفه

A Marsh Dweller and his "Mashhoof"

الصورة رقم (٧٦)



كوخ فوق جزيرة صناعية في منطقة الاهوار

An Island Home in the Marshes

الصورة رقم (٧٧)



From a painting in Hutchinson's "Story of the Nations"

الصورة رقم (٧٨)

اقامة السومريين السداد في منطقة الاهوار

يمثل هذا اللوح منظراً لسكان الاهوار القدامى (السومريين) وهم ينشئون سداً من القصب والتراب عبر الاهوار لاستصلاح أراضي الأهوار بتجفيفها واستخدامها في الاغراض الزراعية . وكان السومريون ينشئون السداد لدرء أخطار الفيضان ايضاً .

The Sumerians Building a Dam Across the Marshes

The earliest settlers of the marshes (the Sumerians) are here shown building a dam of reed and earth across the marshes to reclaim lands from the marshes for the purposes of agriculture. They also piled up earthen embankmemts as a protection against flood.

اللبن ، وتعلم السومريون كيف يحتفظون بمياه الري وذلك بعمل سدود لها وعرفوا أيضا توزيع المياه في قنوات وحصاد محصولات الحبوب أي الغلة وكانوا في تلك الايام يزرعون الشعير والحنطة ويقتنون الماشية وخصوصا الضأن والماعز والبقر ، وقامت هذه الماشية بدور كبير في قصة حياتهم حتى جعلوا احدى آلهاتهم على صورة بقرة واعتقدوها حامية لقطعان ماشيتهم(٣٤) .

ومما يذكر ان الامويين قاموا بمثل هذه الاعمال الاستصلاحية في منطقة الاهوار في جنوبي العراق ، فلما ولي معاوية بن أبي سفيان ولّى عبدالله بن دراج مولاه خراج العراق واستخرج له من أرض البطائح (الاهوار) مابلغت غلته خمسة آلاف الف درهم(٣٥) .

ومن الاعمال الحديثة التي تذكرنا بمشاريع السومريين الاستصلاحية التي أقاموها في أهوار هذه المنطقة لاستغلالها زراعيا المشروع الجبار الذي انجزه ناصر باشا آل سعدون متصرف الناصرية حوالي عام ١٨٧٠ والمعروف بـ « سدة ناصر باشا » وهو عبارة عن سد ترابي واق من الفيضان أقيم على طول الضفة اليمنى لمجرى ذنائب نهر الفرات بين سوق الشيوخ على نهر الفرات والقرنة على نهر دجلة ، وذلك بغية تجفيف الاراضي البطائحية الشاسعة من هور الحمار الممتدة جنوب شرقي السد لصد مياه الفيضان عنها واستغلالها في الاغراض الزراعية . وفي الفترة التي بقي فيها السد قائما والتي لم تتجاوز العشرة أعوام كانت تلك المنطقة المستصلحة تزرع حنطة وشعيرا في الشتاء وذرة وارزا في الصيف . وبعد ان هدم ذلك السد بنتيجة النزاعات العشائرية التي نشبت في تلك المنطقة لم تجر محاولة ما لصيانته من الغرق فصار الماء يغمر الاراضي بصورة متواصلة ونبت على سطحها البردي والقصب الكثيف بمساحات شاسعة(٣٦). وهذه هي نفس الطريقة التي كان قد اتبعها السومريون في المرحلة الثانية من تشبثاتهم الزراعية مع الفارق ان تشبث ناصر باشا كان بمقياس أوسع .

٢٨ــ مراحل التطور الزراعي عند السومريين ــ الطور الثالث :

اما المرحلة الثالثة من تطور الزراعة السومرية فهي أنضج وأنتج مرحلة من مراحل التطور الزراعي في أهوار جنوبي العراق ، حيث كانت لها نتائج باهرة غيّرت مجرى تاريخ الحضارة البشرية ، اذ انبثقت أقدم مدنية عرفها التاريخ .وتتميز هذه المرحلة من حياة السومريين بتغير جوهري في الاسلوب الزراعي ، وهو الانتقال من طريقة الزراعة البطائحية المقتصرة على تجفيف الاهوار واستصلاح أراضيها وارواء هذه الاراضي المستصلحة من مياه الاهوار مباشرة بفتح ثغرات في السدود المحيطة بها الى طريقة الزراعة في السهول التي تعتمد على شق جداول طويلة من نهر الفرات وايصال المياه الى الاراضي الزراعية ، وكان هذا الانتقال نقطة تحول أساسية في تطور الحضارة السومرية وبداية عهد جديد يقوم على العمل الجماعي التعاوني بين الاكديين والسومريين الذي أوجب قيام نظام وحكم يشرفان على شؤون هذه الجماعات في اندفاعهم الجديد نحو تحقيق انتاج جماعي يفوق الاكتفاء الذاتي ، وقد سبق ان أشرنا الى ان الحضارة الحقيقية في العراق بدأت عندما بدأ المستوطنون الاوائل على ضفاف الفرات الاسفل يكتشفون سبل ايصال المساء الى الارض ومن تجاربهم في تنظيم الري وانشاء السدود والبزول والخزانات

كان منشأ علم الري في التاريخ ، كما سبقت الاشارة الى صلة الزراعة المرتكزة على الري بالحضارة . وهكذا نمى علم الري عند السومريين جنبا الى جنب مع الحضارة فاتقنوا من الاكديين الساميين هندسة الري وتكنيك سد البثوق التي يحدثها الفيضان في السدود . وقد مارسوا الزراعة بخبرة ومهارة فكانت أهم زراعتهم الحنطة والشعير ، وقد تعلموا كيف يخزنون الغلال ويستغلونها في تنمية اقتصادياتهم وتربية مواشيهم ، وكان لديهم الكثير من البقر والضأن والمعزى والحمير والخنازير والجاموس ،وكان يستخدم البقر لجر سكك الفلاحة والحمير لجر المركبات والعجلات ، وكان التمر والشعير قوام غذاء السكان .

٢٩ ـ دور الاكديين الساميين في تطوير الحضارة السومرية :

نحن نعلم ان الاكديين الساميين كانوا قد استقروا بعد نزوحهم من جزيرة العرب في البقعة الشمالية من وادي الرافدين ثم انحدروا جنوبا حتى بلغوا حدود مدينة كيش ، فأسسوا مستوطناتهم على طول ضفاف الفرات الى الشمال من منطقة السومريين مباشرة دون ان يلقوا اية معارضة من السكان المحليين وتعاونوا مع السومريين وتصاهروا معهم واختلطوا بهم في جميع المجالات والميادين ، واختاروا هناك أخصب بقعة من وادي الرافدين ليمارسوا عليها مزروعاتهم التي تعتمد على مشاريع الري . وهذه البقعة التي اختاروها لم تكن أخصب بقعة في وادي الرافدين في ذلك الوقت حسب بل هي الان لا تزال كما كانت عليه من قبل ، وهي تقع في قلب العراق النابض بمشاريع الري الحيوية ،وهي تشكل اليوم منظومة جداول الصقلاوية وابي غريب واليوسفية واللطيفية والاسكندرية والمسيب معتمدين في حياتهم المعاشية على ممارسة الزراعة المرتكزة على الري .

وتمتاز هذه البقعة التي اختارها الاكديون لمستوطناتهم في جنوبي العراق بوضعها الطوبوغرافي الملائم ، فنهر الفرات عندما يدخل هذه المنطقة الواقعة بين النهرين ، دجلة والفرات ، يقترب من نهر دجلة مقابل مدينة بغداد الحالية بحيث يلوح للمشاهد وكأنه ينحدر صوب نهر دجلة ليصب فيه ، اذ يصبح على مسافة حوالي عشرين ميلا منه فقط في نقطة الاقتراب . وهنا يرتفع عن نهر دجلة بحوالي عشرة أمتار ، أي ان الاراضي في هذا القطاع تنحدر من نهر الفرات نازلة جنوب نهر دجلة بمعدل ١٥ر٥ سنتمترا في الكيلومتر الواحد . ثم يبتعد نهر دجلة في سيره في الاتجاه الجنوبي الشرقي حتى يصل الى جوار مدينة الناصرية الحالية . فنجده هنا وقد أصبح أوطأ من نهر دجلة بحوالي عشرة أمتار أيضا بعدان كان أعلى منه مقابل مدينة بغداد بالارتفاع نفسه . وكان هذا الوضع يساعد على فتح جداول من الفرات ومن دجلة لارواء الاراضي سيحا من نهري الفرات ودجلة في الوقت نفسه .

وأوضح دليل على ان السومريين والاكديين كانوا على صفاء وود وتعاون بينهما وانهما يشعران شعورا متبادلا بانهما شعب واحد في الخير والشر ، ان اول جدول سجله تاريخ السومريين هو جدول « ايتوروتكال » (Iturungal) الذي انشأه السومريون باشراف الاكديين الفني لان السومريين لم تكن لديهم الخبرة الفنية في هذا المجال بعد ان عاشوا مدة من الزمن في منطقة الاهوار . ويبدأ مأخذ هذا الجدول من الجانب الايسر لنهر الفرات القديم (انظر ما يلي حول مجرى نهر الفرات القديم في الفقرة ٣١ من هذا الفصل) أي من المنطقة الاكدية ثم يمتد

جنوبا مسافة حوالي ١٣٠ كيلومترا فيخترق أولاأرض أكد ثم أرض سومر ليروى عددا من أهم المدن الاكدية والسومرية مثل ادب واومة ولجش ولارسه • وكان الجدول في الذنائب يتفرع فرعين فرع غربي يدعى « فورونكال » يروي مدينة « أومة » وفرع شرقي يدعى « يد ـ نينة ـ جي ـ نا » يسقي مدينة لجش المشهورة عبر شط الغراف الحالي الذي لم يكن موجودا آنذاك •

وانني أعتقد بان جدول « اوتورونكال » هذا كان أول جدول مشترك بين الأكديين والسومريين يروي أراضيهما فيخترق بلاد أكد وبلاد سومر في الوقت نفسه ، ولهذا العمل المشترك بين السومريين والأكديين دلالة مهمة في تاريخ تعاون الشعبين السومري والأكدي ، فهو يعد الخطوة العملية الاولى في سبيل وحدة البلاد • كما أنه يوحي بتفوق الأكديين على السومريين في جميع مظاهر الحياة في البلاد •

ويدعى أورنمو مؤسس سلالة اور الثالثة (٢١١١ ـ ٢٠٩٤ ق•م) انه هو الذي أنشأ هذا الجدول وجعل حوضه يحاكي مياه البحر بسعته ويقول أيضا انه أعد مبازل خاصة لصرف المياه الى نهر الفرات (انظر ما تقدم عن أعمال أورنمو وعهده في الفقرة ١١ من هذا الفصل) • وهذا ما يدل على ان السومريين والأكديين كانوا يمارسون أعمال البزل للتخلص من ملوحة الارض • غير انني اعتقد ان هذا الجدول كان موجودا في عهد الاكديين الذين حكموا البلاد حوالي ٢٠٠ سنة قبل ظهور أورنمو على المسرح (٢٣٧٠ ـ ٢١٥٩ ق•م) • وعلى كل فاذا صح اعتبار أورنمو هو الذي انشأ هذا الجدول فمعنى هذا انه انشىء بعد حكم الأكديين أي في عهد الانبعاث السومري (٢٢٨٠ ـ ٢٠٠٣ ق•م•) الذي يمثل وحدة الحضارة السامية السومرية واورنمو قام بتطهيره وتحسينه أو توسيعه وأنشأ أعمال البزل للتخلص من ملوحة الارض • (انظر ما يلي حول هذا الجدول في الفقرة ٣١ من هذا الفصل) • وهكذا اتقن السومريون أعمال الري ومارسوها مع الاكديين لتوسيع أراضيهم الزراعية والحصول على غلال وافرة ، كما تعلموا كيف يخزنون فائض الغلة والمتاجرة فيها • فمارسوا الاعمال الزراعية التي تعتمد على الري بخبرة ومهارة واتقنوا تكنيك سد البثوق التي يحدثها الفيضان في السدود ، وكانت أهم زراعتهم الحنطة والشعير وقد تعلموا كيف يحتفظون بالغلة ويستغلونها في جميع المواسم لتنمية اقتصادياتهم وتربية مواشيهم فكان لديهم الكثير من البقر والجاموس والضأن والمعزى والحمير والخنازير وبعض الجاموس في الاهوار ،وكان يستخدم البقر لجر سكك الفلاحة والحمير لجر المركبات والعجلات وكان التمر والشعير قوام غذاء السكان ، وقد سبقت الاشارة الى ذلك •

وقد اتقن السومريون انشاء السدود باستعمال القصب أو البردي مع التراب لدرء أخطار الفيضان كما اتقنوا انشاء المسنيات بالآجر والقار لصيانة الضفاف من التآكل والانجراف بتيار الماء • وتشير تسجيلاتهم الى انهم كانوا يكسون قعور جداولهم بالحجر والحصى لمنع التآكل فيها • وكانت صيانة الأنهر الرئيسة وازالة رواسب الغرين من الجداول من الأمور الملزم بها من يستفيد من تلك الأنهر والجداول • وكان يجري ذلك باشراف الحكومة كما هو متبع في هذا العصر • وهناك تسجيلات عديدة تحدد الاعمال المطلوب انجازها من قبل الزراع بذكر أعماق الاتربة المطلوب رفعها من قعور الجداول • وكان أي مشروع يقام به كفتح

جدول أو انشاء سد يعد من الاحداث العامة المهمة ، وكانت أخبار هذه المشاريع تشغل جانبا كبيرا من سجلات الملوك الرسمية من أقدم العصور باعتدادها مستوحاة من الآلهة .

وهكذا فقد خرج السومريون الاوائل من عزلتهم في منطقة الأهوار واتصلوا بالساميين فقد انبثق نور من الحضارة المزدوجة نتج عن احتكاك السومريين بالساميين في أواسط الفرات وفي جنوبه وفي المدائن الأكدية المجاورة لبلاد سومر من الشمال مثل كيش وسيبار وكوثى وغيرها من المدائن السامية وانطلق السومريون في السهول الواسعة الممتدة على ضفتي المجرى الاسفل القديم لنهر الفرات مسافة أكثر من أربعمائة كيلومتر لتوطيد مستعمراتهم الزراعية المعتمدة على الري السيحي، فاتقنوا في هذه المرحلة فن انشاء الجداول وتنظيم الري ، كما أنهم اتقنوا انشاء السدود والنواظم بالآجر والقار مقتبسين ما أمكنهم اقتباسه من خبرة الساميين في ذلك . ففي هذه المرحلة بلغت الحضارة السومرية ، وهي حصيلة التعايش والاحتكاك المذكورين ، اوج رقيها وتقدمها في مختلف النشاطات في الري والزراعة والصناعة والتجارة والسياسة . وتمثل هذه المرحلة نقطة تحول مهمة في تاريخ الشعب السومري ، وهي خروج جماعة من السومريين الاوائل عن عزلتهم في مستوطناتهم في منطقة الاهوار والانطلاق في سهول الفرات شمالا لممارسة نشاطهم الحضاري فيه منتقلين من حياة القرية البطائحية الى حياة المدينة المعتمدة على ثروة الزراعة على الري السيحي . ومن هنا بدأ الاحتكاك المباشر بالمدائن الأكدية السامية ذلك الاحتكاك الذي أدى الى اتحاد الثقافتين السومرية والأكدية ، والمعروف ان المدائن السامية واغلة في القدم فبعضها وجد قبل الطوفان كما كانت كيش أولى المدائن التي انشئت بعد الطوفان وقد سبقت الاشارة الى ذلك .

وفي اعتقادنا ان هذا الاتصال بين السومريين والساميين قد تم بشكل واضح في أواخر العصر الحجري المعدني الذي يمكن تحديده بالسنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد أي في الطور الثالث من حياة السومريين الزراعية ويذهب الدكتور مورتكات الى ان مركز القيادة للشرق الادنى في التطور الحضاري للمجتمع الزراعي انتقل في أوائل العصر من الجزء الشمالي من بلاد ما بين النهرين وبخاصة من منطقة تل حلف ورافق ذلك زحف أهل الجنوب لاول مرة حتى صاروا يجاورون أهل الشمال في كل خطوة يخطونها (انظر ما تقدم عن العصر الحجري المعدني في الفقرة ٧ من الفصل الثالث) .

٣٠ـ التحريات الاثارية لانهر ومدن وقرى سومر واكد :

ان أهم التحريات الآثارية لانهر وجداول بلاد سومر والمدن والقرى التي ازدهرت على ضفافها هي التحريات التي قام بها معهد الدراسات الشرقية للمدارس الاميريكية في بغداد بالاشتراك مع معهد جامعة شيكاغو للدراسات الشرقية في سنة ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ لمنطقة سومر التي تمتد بين مدينة « نيبور » ومدينة « اور » ونظما خارطة للانهر والجداول القديمة في هذا القسم ثبتت فيها مواقع المدن والقرى القديمة والتلول الأثرية المنتشرة هناك على طول ضفاف نهر الفرات القديم من الجانبين مع ذكر أسمائها القديمة وأسمائها المعروفة بها محليا . وتعد هذه الدراسة من أهم الدراسات الاركيولوجية التي اجريت في منطقة سومر من حيث تتبع آثار الانهر والجداول

القديمة وتثبيت مواقع التلول الاثرية وتشخيص أسمائها الأصلية ، وقد بلغ عدد المواقع الاثرية التي ثبتت على الخارطة أكثر من أربعين موقعا منها ١٦ مدينة سومرية شخصت بأسمائها الأصلية[٣٧] .

وفي سنة ١٩٥٨ نشر الخبير الآثاري روبرت آدمز نتائج المسح الآثاري الذي اجرته بعثة خاصة برئاسته للقسم الشمالي من الدلتا امتدادا للمسح الذي أجرى للقسم الجنوبي من الدلتا ، ويمتد القسم الشمالي هذا من « نيبور » حتى مدينة « سيبار » ويمتد معه مجرى الفرات الرئيسي وفروعه من الجانبين ، وبعبارة أصح يضم هذا القسم المدن الأكدية السامية أي بلاد « أكد » وابرزها مدينتا « كيش » و « سيبار » ، وقد نظمت هذه البعثة ست خارطات للمنطقة كل منها يمثل دورا تاريخيا خاصا أقدمها الخارطة التي تشتمل على آثار مستوطنات دور العبيد ودور عصر الكتابة (Protoliterate) وهي الحقبة الممتدة من أواخر الألف الخامسة قبل الميلاد الى نهاية الألف الرابعة ، وقد أمكن تثبيت مواقع عدد غير قليل من التلول الاثرية في هذا القسم ، فمن مجموع ٩٦ موقعا أثريا يرجع تاريخها الى عصور متتالية تمتد من آخر الألف الخامسة قبل الميلاد الى القرن الثامن عشر قبل الميلاد لم يتسن تشخيص أسماء أكثر من اثني عشر موقعا[٣٨] ، وقد نشر مستر آدمز مقالا في مجلة « اركيولوجي » ، المجلد العاشر ، ١٩٥٧ ، ص ٢٧٠ ـ ٢٧٣ بعنوان مستوطنات أكد القديمة[٣٩] .

ومن احدث الدراسات أيضا المقال النفيس الذي وضعه الخبير الآثاري الاميريكي جاكوبسون عن نظام الري القديم في سومر عنوانه « مياه أور »[٤٠] ونشر معه خارطة موضحة ويعد هذا المقال من أحسن ما كتب في هذا الموضوع وقد نشر الاستاذ جاكوبسون أيضا مقالا بالفرنسية عنوانه « جغرافية وطرق مواصلات بلاد سومر » في مجلة الاشوريات ، م ٥٢ ، ١٩٥٨ (ص ١٢٧ ـ ١٢٩)[٤١] .

وفي مقال نشره « جورج رو » في مجلة سومر سنة ١٩٦٠ معلومات عن اكتشاف آثار حضارة قديمة في منطقة هور الحمار في جنوب العراق الممتدة بين تل اللحم جنوب أور وبين البصرة تعود الى العهد البابلي[٤٢] ، وفي المنطقة جنوب هور الحمار ما بين هور الحمار ورأس الخليج على طول الضفة اليمنى من شط العرب الحالي بين البصرة والسيبة كشف الدكتور هاورد نيلسون عن شبكة كثيفة من جداول الري القديمة ونشر تفاصيل ذلك في مجلة سومر سنة ١٩٦٢[٤٣] ، (انظر المرتسم رقم ٢ من الفصل الرابع) .

٣١ـ مجرى نهر الفرات القديم في ضوء التحريات الآثارية :

يتضح من التحريات الاركيولوجية المتقدمة ان مجرى نهر الفرات الأسفل القديم كان يسير في غير مجراه الحالي في العصر السامي السومري القديم اذ كان ينحرف من مجراه الحالي في نقطة تقع في جوار صدر اليوسفية الحالي الواقع على بعد ٥٨ كيلومترا من جنوب مدينة الفلوجة حيث يبلغ ارتفاع ضفاف الفرات ٣٦ مترا فوق سطح البحر فيجري بين نهر دجلة ومجرى شط الحلة الحالي في الاتجاه الجنوبي الشرقي مسافة حوالي خمسمائة كيلومتر حتى ينتهي في جوار بلدة الناصرية الحالية عند مدينتي « أور » و « أريدو » القديمتين حيث تصبح الاراضي عندهما على ارتفاع حوالي ٦ أمتار فوق سطح البحر .

وكانت تقع على ضفاف مجرى الفرات القديم عدة مدن وقرى تبدأ من الشمال المدائن السامية وأهمها مدائن « سيبار » (أبو حبة)(*) و « كوثى » (تل ابراهيم) والعقير و « جمدة نصر » ثم تليها جنوبا بقايا المدن والقرى السومرية وهي :- (تل أبو صلابيخ) و « نيبور » (نفر) ومدينة « سيلوشدكان » (دريهم) و (تل دليهم) وبلدة « كيسورا » (أبو حطب) و « شروباك » (تل فاره) و (تل الضباعيات) و (تل جارين) و « اوروك » (الوركاء) و (ايشان خيبر) و (تل الصخيرى) و « أور » (تل المقير) • وفي جوار مدينة « أور » في الموضع المسمى (دكدكة) تقع بقايا سد قديم كان قد انشىء في هذا الموقع لحجز المياه وتوزيعها على الفروع المتشعبة من ذنائب الفرات منها الفرع الذي يتجه الى « أور » ينتهي عند مدينة كيسيكا (تل اللحم) • وكان يعرف فرع « اور » بـ « ايد ـ نون » (Id-Nun) وفرع « اريدو » بـ « اريدوك » (Eridug) ويعتقد ان هذا السد كان قد انشيء في حوالي أواخر الألف الثالثة قبل الميلاد • وكان يعرف مجرى الفرات « پوراتم » (Purattum) •

اما الفروع الرئيسة التي كانت تتفرع من جانبي المجرى الرئيسي والتي أمكن تشخيص أسمائها الأصلية فأهم فروع الجانب الايسر الفرع المسمى « زوبي » (Zubi) ، فيأخذ هذا الفرع في نقطة تقع شمال مدينة « سيبار » بقليل ويمتد باتجاه الجنوب الشرقي مارا بجوار (تل الدير) « مدينة أكد ؟ » ، ثم يأخذ شكل شبه دائرة في امتداده جنوبا حتى يصل الى نقطة شرقي تل جمدة نصر ، ومن ثم يستمر في الاتجاه الجنوبي الشرقي حتى يعود فينتهي الى مجرى نهر الفرات الرئيسي في نقطة تقع شمال (تل أبو صلابيخ) ،ويلي الفرع « زوبي » فرع آخر كان يأخذ من الضفة اليسرى للنهر أيضا من عند مدينة « سيبار » فيجري هذا الفرع في الاتجاه الجنوبي الشرقي والجنوبي فيمر من شرق « كوثا » ثم ينتهي الى الفرات قرب جمدة نصر ، ويرى جاكوبسون احتمال كون هذا الفرع النهر الذي اطلق عليه اسم « أير ـ ني ـ نا » (Irninna) • وهناك فرع ثالث يسمى « أي ـ تو ـ رونكال » (Iturungal) كان يأخذ من الضفة اليسرى للنهر أيضا وذلك في نقطة تقع في جوار (تل جمدة نصر) فيجري في الاتجاه الجنوبي الشرقي حتى يصل الى مدينة « أدب » ثم يمر بـ (تل جدر) ومن ثم بمدينة « أوما » وبتل (ام العقارب) وينتهي عند (تل المدينة) ،وكان يعرف في قسمه الأخير باسم (نانا ـ كوكال) (Nanna-Gu-Gal) • ويدعي « اورنمو » ملك « أور » مؤسس سلالة « أور » الثالثة (٢٠٥١ ـ ٢٠٣٤ ق•م•) انه هو الذي حفر هذا النهر وجعل حوضه يحاكي مياه البحر بسعته ، ويقول أيضا انه أعد مبازل خاصة لبزل فضلات مياه النهر الى الفرات • والمقصود هنا هو ان « أورنمو » قام بتطهير الجدول لان الجدول كان قد حفر قبل مئات من السنين •

وكان يتفرع من نهر « اي ـ تو ـ رونكال » فرعان ، فرع غربي ، فيمر الاول بمدينة « زبالام » القديمة (Zabalam) المعروفة اطلالها محليا باسم (ابزيخ) وبعد ان يمر بتلول (صاحب الزمان) و (ام ربيعة) و (حمره) يقطع نهر الغراف الحالي مارا بمدينة « لكاش » (تلو) ثم

(*) ان الاسماء بين قوسين ( ) تشير الى الاسماء المحلية للتلول الاثرية اما الاسماء بين الاشارتين « » فتشير الى الاسماء القديمة التي شخصت مواقعها •

بمدينة « اوروكو » (الهبا) وينتهي عند مدينة« نينا » (سورغول) • وكان يعرف هذا الفرع باسم « أيد ـ نينه ـ جي ـ نا » ، ويدعى الملك اوروكاجينا أحد ملوك « لكاش » (٢٤٠٠ ق•م•) انه قام بتطهير هذا النهر واعد مبازل خاصة ليزل مياهه الى البحر الواسع • اما الفرع الغربي فكان يأخذ من الضفة اليمنى لنهر « اى ـ تو ـ رونكال » من جوار « زبالام » (ابزيخ) فيجرى في الاتجاه الجنوبي الشرقي ، ثم ينشطر شطرين الشطر الشرقي ينتهي عند تل المدينة والشطر الغربي المسمى « نهر فورونكال » يمر بمدينة « بادتبيرا » (المدائن) وبتل (عبلة) ، ومن ثم بعد ان يخترق مدينة « لارسا » (سنكره) يصب في الضفة اليسرى لنهر الفرات الرئيس جنوب مدينة « أوروك » • وتدل المدونات السومرية على ان جدول « ايتورونكال » كان منظما تنظيما فنيا ويمتد أكثر من مائة وثلاثين كيلومترا وقد انشئت عليه سدود غاطسة (Weirs) ونواظم يمكن قياس حجمها من عدد الآجر المفخور وكمية القار الذي كان يستعمل بكثرة في هذه المنشآت•

اما الفروع التي كانت تتفرع من الضفة اليمنى لمجرى الفرات فأهمها الفرع المسمى « اراهتو » (Arahtu) ، فيبدأ هذا الفرع من قرب مدينة « سيبار » ويسير جنوبا حتى يصل الى كيش ، ثم يستمر سائرا في نفس الاتجاه مارا بمدينة « مراد » (ونة السعدون) • وكان يعرف القسم الاخير من هذا الفرع باسم « مي ـ اين ـ لي ـ لا » (Me-En-li-La) ويعتقد مستر آدمز ان هذا الفرع كان يمر بمدينة « قزالو » القديمة (Kazallu) قبل ان يصل الى مدينة « مراد » • وقد أصبح فرع « اراهتو » في العهد البابلي الفرع الرئيسي المؤدي الى مدينة بابل • وهناك اثر فرع رئيسي آخر يمتد في الجانب الغربي من مجرى الفرات يسمى « ايسينيتم » (Issinitum) فالقسم الظاهر منه يبدأ من شمال مدينة « نيبور » ويمر بـ (تل بدره) و (تل دنغوز) ثم ينتهي الى بلدة « ايسن » (تل بحريات) •

يتضح مما تقدم ان الفروع الرئيسية التي كانت تتفرع من مجرى الفرات القديم في جنوب العراق كانت صدورها تقع في المنطقة الأكدية السامية ، ذلك ما يدل على ارتباط مصير المدن السومرية الجنوبية بمشيئة حكام أكد السامية الذين يسيطرون على مصدر حياة تلك المدن وازدهارها •

بقايا المدن والقرى في منطقتي أكد وسومر

وفيما يلي أسماء المدن والقرى التي تم تشخيص أسمائها الاصلية والتلول الاثرية التي لم تعرف أسماء المدن القديمة التي تمثلها حتى الآن •

١ ـ مدينة « سيبار » (ابو حبة) الجانب الايسر •

٢ ـ مدينة « كوثى » (تل ابراهيم) الجانب الايسر •

٣ ـ (تل جمدة نصر) الجانب الايسر •

٤ ـ (تل أبو صلابيخ) •

٥ ـ مدينة « نيبور » (نفر) •

٦ ـ مدينة « سيلوشداكان » (Sillushdagam) ـ (تل دريهم) •

٧ ـ (تل دليهم) •

٨ ـ بلدة « كيسورا » (Kisurra) ـ (تل أبو حطب) •

٩ ـ مدينة « شوروباك » (تل فارة) •
١٠ـ (تل الضباعيات) •
١١ـ (تل جارين) •
١٢ـ مدينة « اورك » (الوركاء) •
١٣ـ (ايشان خيبر) •
١٤ـ (تلول صخيري) •
١٥ـ دكدكه (نهاية الفرات القديم) •
١٦ـ مدينة « أور » (تل المقير) •
١٧ـ « اريدو » (ابو شهرين) ـ على فرع « اريدوك » (Eridug) •
١٨ـ (تل العبيد) •
١٩ـ « كيسيكا » (Kissiga) (تل اللحم) على فرع « ايد نون » (Id-Nun)

ب ـ المدن والتلول على الفرع الرئيسي الشرقي :

١ ـ « أدب » (بسمايا) •
٢ ـ (تل حيدر) •
٣ ـ بلدة « زبالام » (Zabalam) ـ (ابزيخ) •
٤ ـ (تل ام ربيعة) •
٥ ـ (تل حمرة) •
٦ ـ (تل المحلقبة) •
٧ ـ مدينة « لكاش » او « كيرسو » (Girsu) (تلو) •
٨ ـ مدينة « اور وكو لاكاس » (Uru-Ku-Lagas) (الهبا)(*) •
٩ ـ مدينة « نينا » (سورغول) •
١٠ـ مدينة « اوما » (تل جوخة) •
١١ـ (تل ام العقارب) •
١٢ـ (تل الفتحة) •
١٣ـ (تل الناصرية) •
١٤ـ (تل المنصورية) •
١٥ـ (تل عظام) •
١٦ـ « بادتبيرا » (تل مدينة) •
١٧ـ (تل فحل) •
١٨ـ « كوتالا » (تل صفر) •
١٩ـ (تل مدينة) •
٢٠ـ « لارسا » (سنكرة) •

(*) ابدت مؤخرا بعثة قامت بالتنقيب في موقع « الهبا » رأيا ينطوي على الاعتقاد بان تلول الهبا هي « لجش » وليس كما كان يظن من ان أطلال « تلو » تمثل « لجش » •

المدن والتلول على الفروع الغربية

١ ـ « كيش » (تل الاحيمر) ٠
٢ ـ « بابلو » (بابل) ٠
٣ ـ « بورسيبا » (برس نمرود) ٠
٤ ـ « قزالو » ٠
٥ ـ « مراد » (ونة) ٠
٦ ـ (تل بدرة) ٠
٧ ـ (تل دنغوز) ٠

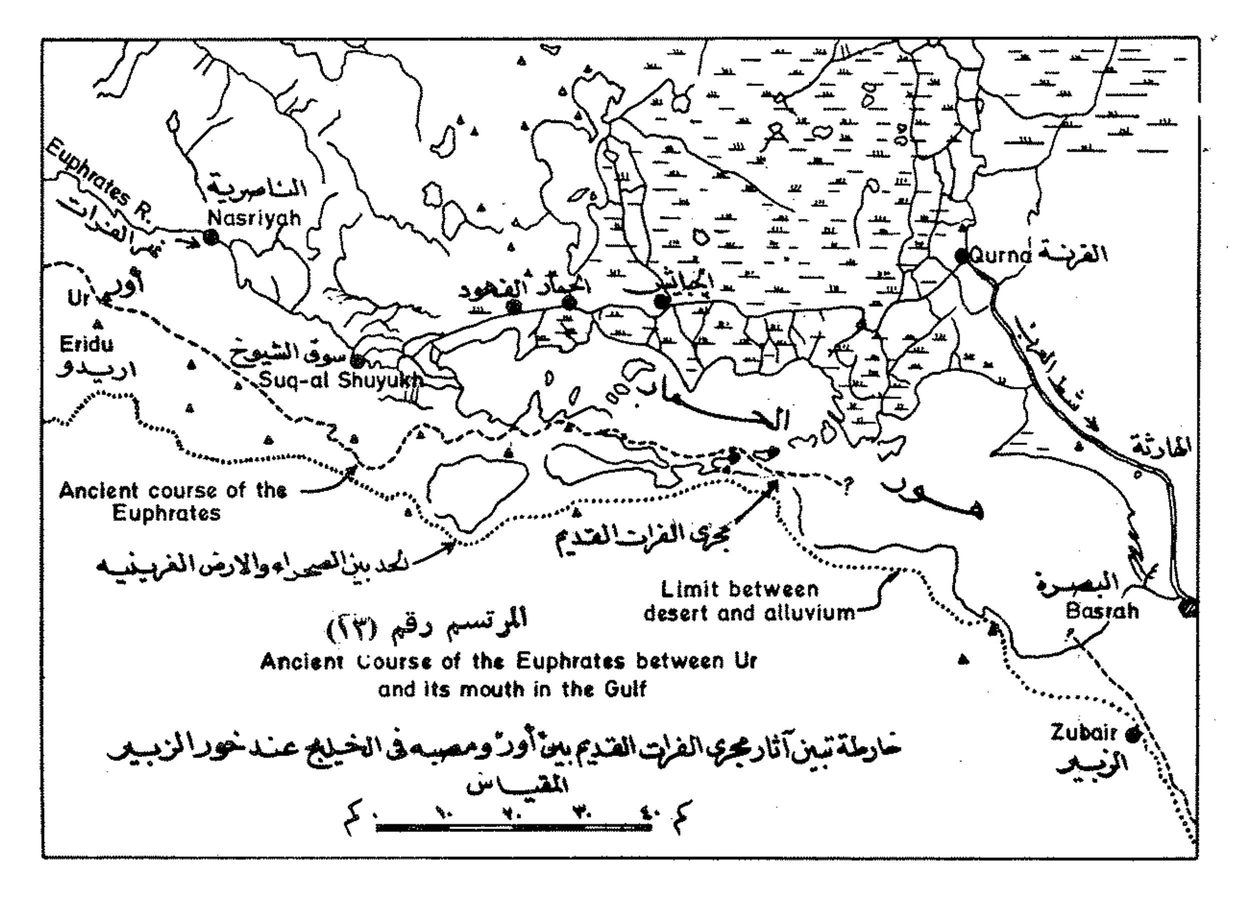
(انظر : المرتسم رقم ٢ خارطة سومر وأكدالفقرة ١ من الفصل الرابع) ٠

ومما يذكر ان بعد مرور عدة قرون أخذت ضفتا هـذا المجرى القديم الذي شيدت عليه مدائن أريدو ونيبور وأوروك تعلوان بصـورة مستمرة بسبب تراكم راسبات الغرين التي كانت تحملها المياه حتى شق النهر مجرى جديدا لـه باتجاه بابل ، وهكذا جف المجرى القديم وصار من المتعذر ارجاع المياه اليه بدون اجراء أعمال تطهيرية ، وكان على نيبور والوركاء ولارسا أن تروى من فرع آخر يستمد مياهه من مجـرى الفـرات البابلي الجـديد ، كمـا ان مدينتي « سوروباك » و « أريدو » أصبحتا مغمورتين بالمياه بالنظر لانخفاض أراضيهما فوضعت أسس جديدة لمدينـة أريدو ولمعبدها وراء ضفاف محكمة السدود في منطقة الأهوار المحصنة وقد نقل الى معبد مردوخ الواقع في بابل حيث منطقة الرخاء والازدهار تحت اسم « او ـ اي ساجيلا » معبد أريدو السومري المقدس ٠

اما نهر دجلة فكان في تلك الازمان القديمة يصب في الخليج على انفراد مقتفيا اتجاه مجرى شط العرب الحالي الذي ينتهي الى ساحل الخليج في الفاو[٤٣] (انظر المرتسم رقم ١٣) وهكذا نجد ان السومريين والساميين الأوائل قـد أسسوا مدنهم ومزارعهم على ضفاف نهر الفرات في البقعة المحصورة فيما بين النهرين دجلة والفرات ٠

٣٢ـ التحريات الاثارية في منطقة ديالى :

ومن أهم التحريات الاخرى التي أجريت حول أنظمـة الري القديمة في العراق الدراسـة الاركيولوجية التي قامت بها سنة ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨ هيئة برئاسة الخبير الآثاري الاميريكي الدكتور ثوركيلد جاكوبسون وعضوية خبراء آثاريين من المعهد الشرقي لجامعة شيكاغو الاميريكية ومديرية الآثار العامة لانظمـة الري والزراعة في حوض نهر ديالى ٠ وقد حددت مهمة هـذه الهيئة التي تبنى مجلس الاعمار تشكيلها بأن تجري تحريات اركيولوجية في حوض نهر ديالى بغية التعرف على أنظمة الري والزراعة القديمة في هذه المنطقة مع اعارة أهمية خاصة لموضوع ملوحة التربة واعمال البـزل (Drainage) وقـد استمرت الهيئة في تحرياتها سنة كاملة في الفترة من ١ حزيران ١٩٥٧ حتى ١ حزيران ١٩٥٨ ، وبعد ان أنهت أعمالها قدمت تقريرا مفصلا عن تاريخ الري والزراعة في المنطقة والاساليب التي كانت متبعة في الأزمنـة القديمة لمعالجة مشكلة الملحية (Salinity) ٠ ويقع هذا التقرير في سبعة فصول تناولت بالبحث أنظمة الري والزراعة القديمة في منطقة نهر ديالى الاسفل وأنواع المحاصيل التي كانت تزرع فيها في مختلف العصور ودراستها مع مشاكل الملحية



المرتسم رقم (٢٣)

Ancient Course of the Euphrates between Ur and its mouth in the Gulf

خارطة تبين آثار مجرى الفرات القديم بين أور ومصبه في الخليج عند خور الزبير

وتأثيرها في الطاقة الانتاجية والاساليب المتبعة في تلك الازمان لمعالجتهـا ، كمـا تناولت تاريخ المستوطنات القديمة في منطقة نهر ديالى الاسفل وتاريخ مشروع النهروان وتطوره[٤٤] • وقـد وضع أحد أعضاء الهيئة الخبير الآثاري روبرت آدمز كتابا مفصلا إضافيا عن مستوطنات منطقة ديالى القديمة للفترة من عصر العبيد (٤٠٠٠ ق•م)حتى آخر العهد الاسلامي • وقد سمى مؤلفه هذا « ارض ما وراء بغداد »[٤٥] وعززه بخمس خرائط خارطة منها تبين وضع أنهر وجداول ديالى في الفترة ما بين عصر العبيد والعصر الگوتي (٥٠٠٠ – ٢١١٦ ق•م•) وتتصل هذه الخارطة بموضوع بحثنا وقد اشر عليها مجرى نهر ديالى الحالي ثم مجـراه القديم مع فروعه ومواضع المستوطنات على ضفافه • فكان مجرى نهر ديالى في تلك الازمان يبدأ بعد عبوره جبل حمرين في نقطة تقع على مسافة قليلة الى الشمال من المجرى الحالي وموازيا له ، أي يسير باتجاه نهر الخالص الحالي ، مختـرقا منطقـة تكثر فيهـا الاهـوار والمستنقعات ثم بعد أن يخرج من هذه المنطقـة يجري جنوب غربي مدينة بعقـوبا متجها نحـو دجلة فيصب فيه جنوب مصب نهر ديالى في أربعة فروع تنتهي الى نهر دجلة • (انظـر المرتسم رقم ١٤) •

وكان يتفرع من الجانب الايسر من النهر الرئيسي في المنطقة الممتدة بين جبل حمرين ونهر دجلة فرعان رئيسان احدهما وهو الشمالي يسير باتجاه جدول مهروت الحالي ويتشعب الى عـدة شعب وأهم أطلال المستوطنات القديمة على ضفافه أطلال تل اسمر (اشنونا) وتل أجرب ، والثاني وهو الجنوبي يسير باتجـاه القسم الاسفل من مجرى جدول النهروان القديم وقد ورد ذكره في

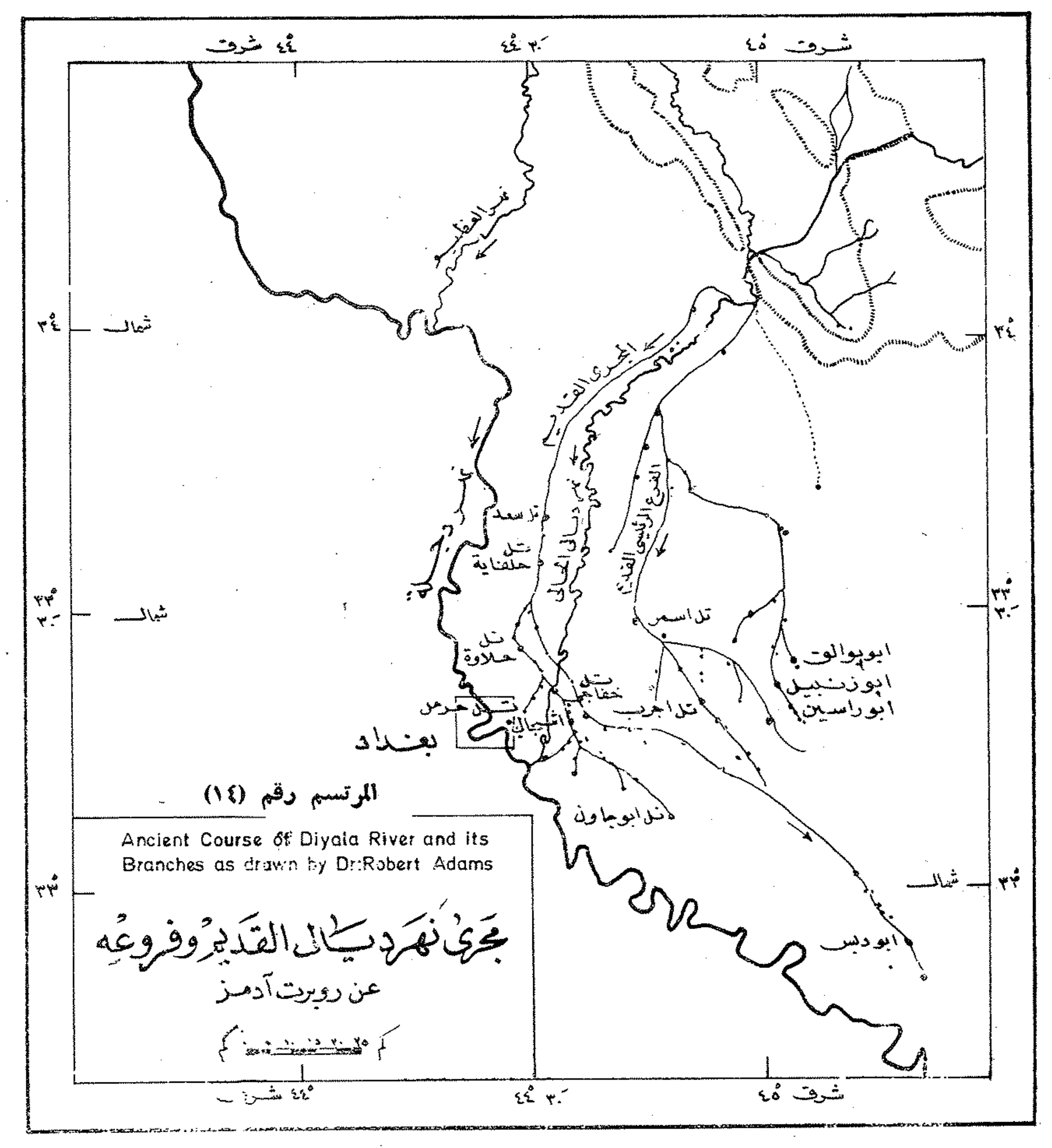
المدونات القديمة باسم « نهر دابان » ومن أهم آثار المستوطنات القديمة على هذا الفرع التل المسمى « تل اشجالي » • وكان هناك فرع ثالث يأخذ من الجانب الايسر للنهر أيضا يجري في الجهة الشرقية من الفرع الرئيسي الاول ، أي باتجاه جدول الروز الحالي ، حيث تشاهد على ضفافه مستوطنات منعزلة • ويرى مستر آدمز ان هذه الفروع كانت بالاصل مجاري طبيعية ثم مع مرور الزمن أخذ السكان الذين استوطنوا هذه المنطقة ينظمون مشروعات للري والزراعة فيها • كما انه توصل الى ان هذه المنطقة كانت بخلاف ما هي عليه اليوم تكتنفها الاهوار والمستنقعات ويرجح أن حافات هذه الاهوار والمستنقعات كانت تزرع بطريقة الري الحوضي ، أي ان زروعها كانت تنمو على رطوبة الارض بدون ارواء وذلك بعد انحسار مياه الفيضان عنها ، ومن المحاصيل التي كانت تزرع في المنطقة القمح والشعير ونخيل التمر والفواكه ، ويشير أيضا الى ان هناك دلائل على ان المنطقة كانت في العهد البابلي المتوسط معرضة لحركات تكتونية وعوامل أخرى عملت على تغيير شكل سطح المنطقة تدريجيا الى ما هو عليه مظهرها الحالي •

ويخلص مستر آدمز الى ان ممارسة الزراعة في هذه المنطقة ترجع الى الالف الثامنة قبل الميلاد بل الى ما قبل ذلك على الارجح ، ويضيف قوله ان التطور من هذه المرحلة البدائية التي تنحصر بالجهد من أجل البقاء الذاتي الى مرحلة الانتاج الجماعي هو أحد العوامل الفعالة في تقرير مصير الوجود البشري ، أي الانتاج الذي مكن قسما من الناس ان يطعم الناس الآخرين •

وقد أمكن تثبيت ٩٧ موقعا أثريا في المنطقة قدر حوالي خمسها من عصر فجر السلالات وهذه تتمثل في تل أسمر وتل أجرب وتل خفاجي • وتتكون المواقع من عشر مدن كبيرة وعشرين مدينة صغيرة وسبعة وستين قرية ريفية • وقد استخلص من نتائج الدراسة ان هذه المستوطنات القديمة كانت قائمة منذ عصر العبيد وبقيت خلال عصر الوركاء وعصر الكتابة وعصر فجر السلالات وبعض العصر الاكدي ، ثم شهد العصر الذي يلي العصر الاكدي مباشرة تقهقرا وتأخرا في المجال الزراعي حيث هجر أكثر السكان مستوطناتهم بسبب اضطراب الاحوال السياسية والحروب الداخلية مما أدى الى التسيب وفقدان الامن والنظام وسلامة المواصلات والتبادل التجاري • وكانت هذه الظروف قد حالت دون ممارسة الاعمال الزراعية وصيانة منشآت الري مما آل بالتالي الى تعرض البلاد الى انهيار اقتصادي أضعف مقاومتها للغزوات فسهل على الكوتيين الجبليين الرحل الطامعين بثروة البلاد الاستيلاء على الحكم وتأسيس السلالة الكوتية في أواخر الالف الثالثة قبل الميلاد •

وقد وضع الخبير الآثاري الاميريكي جاكوبسون دراسة عن طوبوغرافيه مجرى نهر ديالى في العصور القديمة استعرض فيها أطوار مجرى نهر ديالى القديمة فأشار الى ان نهر ديالى كان في أحد العصور القديمة يجري في اتجاه جدول الزور الحالي مخترقا منخفضات المريجة وهور الشويجة حتى ينتهي الى دجلة في جوار مدينة الكوت الحالية • وفي طور آخر كان يسلك الاتجاه الذي يسير فيه جدول الخالص الحالي(*) •

(*) T. Jacobson, "The Ancient Topography of the Diyala Region" 1958, with map (typewrittren). Available at the Library of Antiquities, Baghdad.



ومن أهم المراجع حول ري العراق القديم البحث الذي اعده مسيو ديلاتر باللغة الفرنسية بعنوان « الاعمال الهدروليكية في بلاد بابل » نشر أول مرة كمقال في مجلة « المسائل العلمية » لشهر اكتوبر (تشرين الأول) ، ١٨٨٨ ص ٤٧٦ – ٥٠٧ ، ثم طبع في نشرة مستقلة في بروكسل سنة ١٨٨٨ . ويقع المقال في ٥٩ صفحة ويشتمل على وصف لجغرافية أنهر العراق في زمن البابليين والآشوريين ولمشاريع الري القديمة التي أقيمت على تلك الأنهر في تلك الأزمان ومن جملتها مشاريع الاسكندر(٤٦) .

وفي مقال نشره الاستاذ أولبرايت في المجلة الاميريكية للغات السامية (م ٣٥ ، ١٩١٨ – ١٩١٩ ، ص ١٦١ وما بعدها) بعنوان « مصبات الأنهر » بحث قيم عن تاريخ منبع ومصب نهري

دجلـة والفرات في العصور القـديمة فيعـرض مقارنات عن الاله « ايا » اله المياه والاناء الفوار وما توحي اليه هذه المقارنات من معان وتخيلات ومعتقدات حـول منبع نهري دجلـة والفرات ومصبهما في الخليج . ومما يذكـر ان الاستاذ أولبرايت يعتقد ان كلا من نهري دجلة والفرات كان يصب في الخليج في مصب مستقل في الازمنة القديمة[٤٧] .

وقد اعد المستر فوربس دراسة مستفيضة لاعمال الري والبزل (الصرف) القديمة نشرت في الجزء الثاني من مؤلفه الضخم المتكون من تسعة أجزاء (انظر ص ١ – ٧٣) بعنوان « دراسات في التكنولوجيا القديمة » طبع في ليدن سنة ١٩٥٥[٤٨] . وفي المجلد العاشر تحت عنوان « البيبليوغرافيا القديمة » (قسم الفنون والتكنولوجيا) جمهرة من المراجـع ذات فائدة عظمى للباحث في هـذه المواضيع ، وقد طبع المجلد في ليدن أيضا سنة ١٩٥٠[٤٩] .

وفي الجـزء الاول من كتـاب « تاريخ التكنولوجيا منـذ أقدم الأزمنـة الى سقوط الامبراطوريات القديمة » الذي قام بتحـريره الاساتذة سينكر وهولميارد وهول والذي ساهم في اعداد بحوثه عدد من الاختصاصيين ثلاث مقالات ذات صلة بموضوع تاريخ الري والزراعة والبناء نشرت في الجزء الاول من الكتاب (الطبعة الثانية ، ١٩٥٥) وهي : « الموارد المائية والزراعة » بقلم ام . اس . دراورد (ص ٥٢٠ – ٥٥٧) : « زراعة النباتات » بقلم رينر (ص ٣٥٣ – ٣٧٥) : « البناء بالاجر والحجر » بقلم سيتون لويد (ص ٤٥٦ – ٤٩٤)[٥٠] .

٣٢ – الماء مصدر الحياة « وجعلنا من الماء كل شيء حي » (قرآن كريم) :

كان قدماء العراقيين من سومريين وساميين يعتبرون الماء مصدر الحياة ومنبع الخير والبركة ، لذلك كـان من أهـم آلهتهم التي يعبـدونها ويتبركون بها ويقدمون لها القرابين اله الميـاه الاله « انكي » باللغة السومرية او « ايا » باللغة السامية ، فهو الذي يسيطر على الينابيع وبيده أمر الماء العذب ان شاء أطلقه فيشرب البشـر ويرتوي وتنتعش الارض فينبت الزرع وتعيش الحيوانات ، وان شاء حبسه فيبيد المخلوقات ، كما كان سلطانه يشمل ايقاف ميـاه الفيضانات عنـد حدها . ولمـا كان الاله « انكي » اله المحيطات العذبة التي تمد الأنهار والينابيع بالمياه فقد اتخذ مكان عرشه ومقره في الغور « أبسو » في أريدو قرب منطقة الاهـوار ومعبده « اي ساكل » كان أقدس هيكل ديني في أوائل العصور السومرية . وقـد نعت سكان سـومر الاله « انكي » بشتى أوصـاف التعظيم والتقديس عبروا عنها برموز مختلفة صوروها على أختامهم وألواحهم الحجرية والتماثيل وواجهات المعابد . وقد ورد في ألواح الخليقة ان الاله « انكي » كان من بين الآلهة الكبرى الذين خلقوا كل شيء في هـذا العالم وقاموا بخلق النهرين العظيمين وألقوا فيهما الخير والبركة . وقد عثر على نقوش كثيرة تصور الاله « أنكي » في مشاهد دينية مقرونة بمجاري الميـاه بصورة عامة وبمجريي دجلة والفرات بصورة خاصة . وهكذا فقـد اعتبرت الآبار والعيون التي تنبع منها الأنهر في عقيدة قدماء العراقيين مقدسة بصورة عامة لانها تمثل رمز الاله « انكي » اله المياه الذي يمنح الخير والبركة ، لذلك كانوا يقدمون له القرابين من الماشية (انظر التصوير رقم ٧٩) .

٣٤ـ الاله انكى اله المياه :

هو الاله الثالث من مجموعة الآلهة الخالقةوهـــو اله ميـــاه الغمر التي تدعى بالسومرية « أبسو » وقـد نعت باله الحكمة واليه عزي تنظيم الأرض ومقومات حضارتها من ظواهـــر طبيعية وثقافية • (انظر التصوير رقم ٧٩) •



الصورة رقم (٧٩)

الاله أنكي إله المياه يشاهد جالساً ومجاري المياه تنبع من كتفيه .

The Water-god "Enki" with water springing from his Shoulders.

أ ـ الاله « انكى » اله المياه في مخدعه في الغـور« ابسو » :

ان أكثر النقوش التي تظهـر فيهـا صورةالاله « أنكي » دونت على الأختـــام السومرية القديمة ، ففي نقش يعود الى العهـــد الأكدي(التصوير رقم ٨٠) الاله « انكي » جالسا في



الصورة رقم (٨٠) ـ الاله « أنكي » اله المياه في مخدعه في الغور« ابسو » (انظر الفقره ٣٤ أ)

الاله « انكي » في مخدعه في الغور « أبسو » مع جلجامش بصفة بواب الاله

The water-god in his water house "Apsu" with "Gigamesh" as Attendant Porter
(Ward, op. cit., Fig. 648, p. 214

الطرف الايمن في مخدعه في الغور « ابسو » وقد أحاطت به المياه من كل جانب ومجريان من الماء يعتقد انهما نهرا دجلة والفرات ينبعان من كتفيه • وقد ظهر امام بيته في الغور معبد مدرج يصعد عليه اله ووراءه شقتا جبل يصعد على احداهما الآله « اوتو » اله الشمس وهو المسؤول عن مياه السماء (الامطار) ووراءه بواب الاله « انكي » ، ويشاهد في آخر النقش من الطرف الأيسر مجريان من الماء ينحدران من أعلى النقش الى أسفله ، والظاهر انهما يمثلان نفس المجريين المنبجسين من كتفي الاله « انكي » • ويلاحظ ان هذين المجريين ظهرا في معظم النقوش التي تمثل الاله « انكي » أو الهة أخرى وهما منبثقان اما من جسم الاله أو من كتفيه أو من « الاناء الفوار » المشهور الذي اتخذه السومريون فيما بعد شعارا لهم وسأتي البحث عن هذا الاناء فيما يلي :ـ (انظر :

"Enki" The Water-god in his Water House" "Apsu" (S.N. Kramer, "Sumerian Mythology", p. 40, H. Frankfort, "Cylinder Seals",Pl. XUII k3.)

ب ـ « انكي » على ظهر قارب في منطقة الاهوار :

ويمثل (التصوير رقم ٨١) وهو من العهد الأكدي أيضا الاله « انكي » وهو يتجول في منطقة الأهوار في قارب يشبه المشحوف العراقي الحالي المستعمل حاليا في منطقة الأهوار (انظر ما تقدم حول المشحوف على الفقرة ٢٤) •ويشاهد في هذا النقش الاله « انكي » واقفا في وسط القارب وقد نبع من كتفيه نفس المجريين اللذين ظهرا في التصاوير الاخرى ، وقد ظهر المجريان في هذا النقش وعلى ضفافهما نبات الغلة • وهناك ملاحان يجذفان وهما واقفان الى جنبي الاله وبيد كل منهما مجذاف طويل • وتظهر نباتات القصب في الأهوار والأسماك تحوم فيما بينها حول القارب •



الصورة رقم (٨١)

الاله « انكي » يتجول على ظهر قارب (مشحوف) في منطقة الأهوار في جوار اريدو

"Enki" The Water-god Travels in a boat Along the Eridu Marshland
(S. N. Kramer, op. cit., p. 60; H. Frankfort, op. cit., Pl. XV f ; Ward, op. cit., Fig 102, p. 40).

ج ـ الاله « انكي » محلق في الجو والمياه تنطلق من السماء :

ويظهر الاله « انكي » في التصوير رقم ٨٢ الذي يرجع الى عصور اقدم عهدا فيشاهد هنا الاله ممتطيا وحشا مجنحا محلقا في السماء وقف خلفه أحد المتعبدين • وفي أعلى النقش تشاهد ينابيع المياه تنبجس من السماء منطلقة في جريها نحو الارض على هيئة مجار عديدة متوازية ، وقد وقفت الهة مادة ذراعيها وهي تستقبل المياه بيديها ، ويشاهد الاله حاملا بيده سوطا لعله يريد به سوق المياه • وفي الطرف الايمن من النقش تشاهد مياه تتدفق من السماء منحدرة نحو الارض أيضا ، كما يظهر في الصور البطل الاسطوري « جلجامش » وهو يطعن ثورا وحشيا بخنجره •



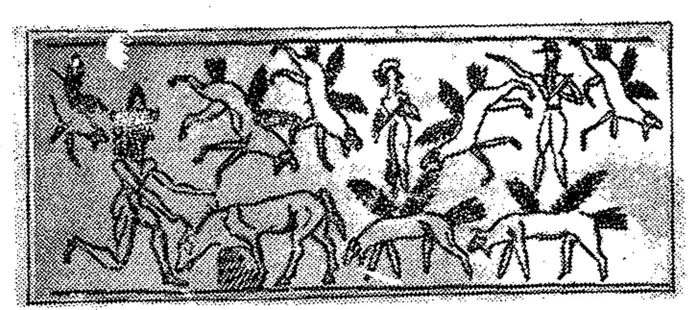
الصورة رقم (٨٢) ـ الاله « انكي » محلق في الجو والمياه تنطلق من السماء

The water - god and the Streams of water from Heavens

(*Ward, op. cit., Fig. 129, 49 ; Frankfort, op. cit., Pl. XXIIe*)

د ـ صعود الاله « انكي » الى السماء :

ويظهر في (التصوير رقم ٨٣) الاله « انكي » ونفس الالهة التي ظهرت معه في التصوير رقم ٨٠ وهما ممتطيان وحشين مجنحين يسبحان في الفضاء وبيد كل منهما عصا • وتشاهد الالهة وهي دائرة وجهها نحو الاله « انكي » ، كما تشاهد وحوش مجنحة أخرى حائمة حولهما



الصورة رقم (٨٣) ـ صعود الاله « انكي » الى السماء

" Enki " The Water-god Rising Up to Heavens
(*Ward, op. cit., Fig. 129a, p. 49*

في الفضاء . ولعل المراد بهذا التمثيل التعبير عن صعود الاله « انكي » والالهة التي معه الى السماء . ويظهر في النقش نفسه « جلجامش » وعلى رأسه قبعة وهو ماسك بثور وحشي من قرنه ضاغطا على رأسه نحو الأرض لاخضاعه .

هـ ـ الاله « انكي » في الغور ايضا:

وفي التصور رقم(٨٤) يظهر الاله « انكي »وهو في مخدعه في الغور « أبسو » وقد أحاطته المياه من كل أطرافه والمجريان الاعتياديان ينبعان من جسمه ، وتشاهد صورة جلجامش متكررة على طرفي المخدع وهو واقف وبيده الصولجان ،كما يشاهد اله آخر عدا الاله « انكي » واقفا في الطرف الايسر من النقش .



الصورة رقم (٨٤) ـ الاله « انكي » في الغور أيضا(انظر الفقرة ٣٤ هـ) .

الاله « انكي » في مخدعه في الغور « أبسو » مع جلجامش بصفة بواب الاله .

The water-god in his water house "Apsu" with "Gigamesh" as Attendant Porter
(Ward, op. cit., Fig. 648, p. 214

وفي (التصوير رقم ٨٥) يظهر الاله« انكي » بوضوح والمجريان ينبعان من كتفيه وتشاهد ثلاث سمكات تسبح في كل من المجريين صاعدة ضد تيار الماء ونعجة رابضة عند قدمي



الصورة رقم (٨٥) ـ الاله « انكي » يصعد الى الجبال حيث الاله « أوتو » اله الشمس

"Enki" the water-god with Flowing Streams of Water and Swimming Fishes
(S.N. Kramer, op. cit., p. 32; Frankfort, op. cit., Pl. XIXa; Ward, op. cit., Fig. 412, p. 156: The Babylonian Legends of the creation, The British Museum, 1931, p. 21).

الاله . ويقف خلف الاله مباشرة رسـوله ذوالوجهين « أيسيمود » الذي اقترن اسمه بالاساطير الخاصة بالاله « انكي » ومغامراته . وتظهـر سلسلة من الجبال يبدو الاله « انكي » وهـو يتسلقها صاعدا اليها حيث مقر الاله « أوتو » الهالشمس الذي يشاهد مع اشعته الحادة وسكينته المنشارية في بطن الجبال ، كما تشاهد الهة انثى فوق الجبال والى جانبها شجرة وهي تقدم الفاكهة بيدها اليسرى الى الاله « أوتو » وهناك اله فيالطرف الأيسر وبيده قوس والى جانبه أسد تظهر فوقه كتابة تصويرية قديمة لعلهـا تحمـل اسمصاحب الختم

ز ـ المعبود « انكي » والمحراث المقدس :

وفي التصوير رقم(٨٦) الذي يعـود الىالعهد الأكدي يظهر المعبود « انكي » اله المـاء جالسا والمجريان ينبعان من كتفيه وقد تقدم نحوه أربعة من الآلهة احدهم يحمل المحراث المقدس لتقديمه الى الاله (انظر التصوير رقم ٨٦) .



الصورة رقم (٨٦) ـ المعبود « انكي » والمحراث المقدس (انظر الفقرة ٣٤ ز) .

"Enki" Adored with the Sacred Plough Presented to him
Franfort op cit Pl. XXIe; Kramer op. cit. Pl. XIV, p. 60).

ح ـ « انكي » يبحر على ظهر قارب نحو السماء :

وتشاهد في (التصوير رقم ٨٧) ظاهـرةغريبة تختلف عما سبقها من نقوش للاله « انكي »



الصورة رقم (٨٧) ـ « انكي » يبحر على ظهر قاربنحو السماء (انظر الفقرة ٣٤ ح) .

"Enki" the water-god Seated within a boat and Sailing through the Heavens
(Ward, op. cit., Fig 293., p. 103).

وهي انه يشاهد هنا اله ينبع المجريان من كتفيه وهو جالس على ظهر قارب يبحر فيه نحو السماء ٠ ولما كانت هـذه الصفة مقرونة عادة باله الشمس الذي نسب اليه الابحار في القارب الى السماء فيعتقد ان اله الماء في هذا التصوير هـو الاله « اوتو » اله الشمس ٠ ويظهـر الاله في هـذا التصوير ملتحيـا وهـو يرتدي رداءا وينبجس المجريان من كتفيه ويشاهد امام الاله نجمة داخل هلال ، وهناك شخصان ملتحيان يتقدمان وهمـايقودان رجلا نصفه الأعلى انسان والنصف الاسفل طير ٠ ومع انه يعتقد ان الاله في هذا التصوير هواله الشمس الا اننا لا نرى ما يعترض فكرة كونه الاله « انكي » نفسه خاصة ظهـور الاله بدون شـعار اله الشمس المعروف به وهـو القرص الشمسي ذو الشعاع والسكينة المنشارية

ط ـ ويشاهد الاله « أنكي » في منظر آخر جالسا ومجريا الماء يتدفقان من كتفيه وينسابان الى الارض ٠ وقد وقف حاجبان عاريان على طرفي الاله يحمل كل منهما صولجـانا ، كمـا يشاهد شخص قادم وهو يتحدث الى أحـد الحـاجبين ،ويظهر في النقش نجمة عند رأس الاله (التصوير رقم ٨٨) ٠ وفي نقش آخر يظهر الاله « انكي » جالسا ومجريا الماء يتدفقان من صدره وينسابان الى الارض والاسماك تحـوم حوله ، ويشـاهدشخصان مقبلان على الاله في وضع التعبد وقـد وقف خلف الاله حاجب عار بيـده الصـولجان يرجح ان يكون جلجامش وقد ظهر نصف جسمه الاسفل على النقش (التصوير رقم ٨٩) ٠

٣٥ـ التكوين والخليقة عند السومريين والساميين ـ المـاء المصدر الاول للوجود :

لقد أجمعت المصادر القديمة من تاريخيـةودينية على ان الماء هو المصدر الاول للوجود ، فقد توصل الباحثون من دراسة الوثائق الادبيةوالنصوص السـومرية والسـامية في ما يخص التكوين الى ان الميـاه الأزليـة كانت أصـل الوجود[٥١] ولمـا كان البحـر يتصف بصفات اللاتناهي والغمـوض فاعتبروه أزليـا ومصـدرالوجود ، فاعتقد السومريون ان الالهة (نمو) التي كتب اسمها على لوح بالقطع الصوري الذي يعبر عن كلمة (البحر) وصفت بانها الأم التي ولدت السماء والارض ٠ وعليـه فيكون خلق السماء والارض هو من البحر الأول الذي ولد السماء والارض ٠ وكان من اتحـاد (آن) اله السماء (الذكر) و (كي) الأرض الانثى خلق الاله انليل اله الهواء ٠ وقام الاله انليل بفصل السماء عن الارض ، وحينما أصبحت السماء في حوزة (آن) والد انليل أصبحت الارض (كي) في حوزة انليل وبنتيجة اتحاد انليل بامه (كي) تعينت مراحل تنظيم الكون وخلق الانسان وتأسيس الحضارة ٠ وهنـاك اشـارة الى ان الارض والسماء كانتا متحدتين قبل أن يكون انليل قد خلق وذلك في ملحمة جلجامش والعالم الاسفل٠

وبذا تكون أهم النقاط فيما يخص التكوين عند قدماء العراقيين :

١ ـ خلق الالهة من البحر الاول (نمو)
٢ ـ خلق الالهة للانسان من طين
٣ ـ مهمة الانسان حمل نير الالهة وعبادتها
٤ ـ كان للاله (انكي) اله المياه دور مهم في عملية خلق الانسان ٠



الصوره رقم (٨٨) – الاله « انكي » مع حاجبين عاريين يحجبانه (انظر الفقرة ٣٤ ط) .

" Enki " the Water-god Seated with two Attendants
(Ward, op. cit., Fig. 284, p. 99)



الصورة رقم (٨٩) – الاله « انكي » يتدفق المجْريان من صدره وتحوم الاسماك حولهما (انظر الفقرة ٣٤ ط) .

A Seated god with Streams and Fish
(Ward, op. cit., Fig. 288, p. 99)

ومهمــــا يكن من امــــر فان الثابت عنـــد السومريين والاكديين (والبابليين والآشوريين) ان المياه هي المصدر الأول للوجود سواء كانت ازلية الوجود أو خرجت من العدم .

وعند البابليين بشكل خاص : فقـد كانت المياه الأولى تتكون من عنصرين أولهما مذكـــر ويسمى (ابسو) ويمثل المياه العذبة والثاني مؤنث (تيامات) وتمثل المياه المالحة ، وتتيجة لامتزاجهما ولد أول جيل من الالهة[٥٢] .

وكذلك نجد ان التوراة اعتبرت المياه المصدر الأول للوجود[٥٣] وان الانسان خلق على صورة الله ذكرا وانثى[٥٤] . وقد ورد في القرآن الكريم ما يؤيد ذلك اذ جاء في سورة النحل (١٦ : ٤) « خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين »(انظر أيضا سورة الانسان (٧٦ : ٢) وقد سبقت الاشارة الى سورة الانبياء (الآية ٣٠) والقائلة« وجعلنا من الماء كل شيء حي » (انظر ما تقدم في الفقرة ٤ من الفصل الأول) .

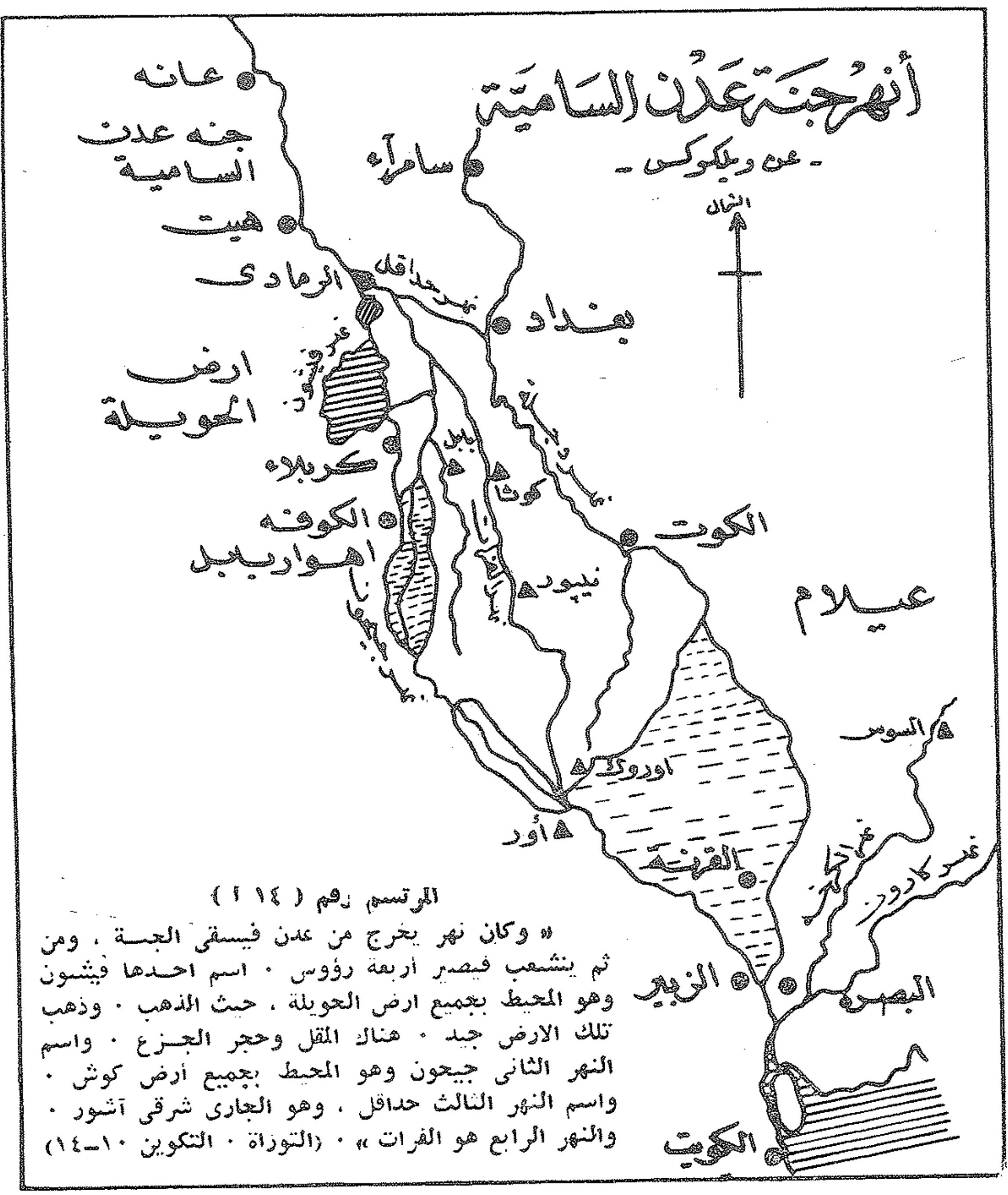
أ ـ جنة عدن السامية في منطقة عانة وهيت :

ومن المواضيع التي تفرض نفسها عند بحث موضوع الري والزراعة في العـراق القـديم موضـوع جنـة عـدن التي تناقلتها المصاحف المقدسة : فقد خلص الباحثون في ضوء الاكتشافات الاثارية الى أن فكرة الفردوس (الفردوس الالهي) ترجع الى عهود قديمة ، فكانت هناك جنتان ، جنة سـامية وجنـة سومرية ، ويخلص سير ويليام ويلكوكس الى ان المنطقة المحصورة بين عانة وهيت على نهر الفرات هي موقع جنة عدن السامية التي نقلت أخبارها التوراة حيث جاءت أوصافها مطابقة لوضع منطقـة عانة وهيت التي نزلها الساميون فحدد موقع الجنة في أعلى دلتا الفرات حيث تبدأ تفرعات نهر الفرات ، اذ وصف العهـد القديم الجنة بذكره ان نهر الفرات بعد أن يسقي الجنة يتفرع الى أربعـة فروع هي فيشون وجيحـون وحداقل والفرات ، فيمثل الأول منخفضي الحبانية وابي دبس والثاني نهر الهنـدية الحالي والثالث مجرى الصقلاوية القديم ، اما الرابع فهو نهـر الفرات ، أي المجرى القديم المعروف بنهر كوثى (انظر المرتسم رقم ١٤أ) ٠ اما الجنة السومرية ، فقد عثر على لوح نقشت عليـه قصيدة سومرية فيها اوجه الشبه بين المدونات التوراتية والقصـة السومرية ، فكان موضوع الفردوس في القصـة السومرية في أرض (دلمون) التي رجـح بعض الباحثين انها كانت في الجهة الجنوبية الغربية من بلاد فارس ، بينما يرجح البعض الآخر انها كانت في الجهة الغربية من ساحل الخليج العربي ، وقدعين هؤلاء الباحثون المحققون مكانها في البحرين ٠ وتذهب القصة السومرية الى ان بلاد (دلمون) بصفتها أرض الخلود التي لا يوجد فيها مرض أو موت كانت أرضا طاهرة نظيفة ، أرضا معدة للحياة ، الا انه كان ينقصها المـاء العذب اللازم لحياة الحيوان والنبات فامر اله المـاء السومري « انكي » « اوتو » اله الشمس ان يملأها بالمياه العـذبة النابعة من الارض ، وهكـذا تحولت (دلمون) الى حديقة الهية غنـاء مملوءة بالاثمـار والمروج والرياض ٠

ويلاحظ هنا ان قصة عدن السامية كيفهـا الساميون بحسب طبيعة البيئة التي استقروا فيها على ضفاف نهـر الفرات في أعلى الدلتا في جوار عانة وهيت ، فحددوا جنتهم هنـاك حيث تبـدأ تفرعات النهر ٠ هذا في حين ان السومريين اكتفوا بوصف الفردوس الواقع في منطقة الغمر (اپسو) التي تمثل مياه الاهوار دون التطرق الى تفرعات نهر الفرات لبعدها عنهم شمالا ٠ ومثل ذلك حدث فيما يخص قصة آدم وحواء اذ اتخـذ الساميون شجرة التفاح لتمثل شجرة الحياة بينما اتخـذ السومريون النخلة لتمثل شجرة الحياة المذكورة وذلك لوجودهـا في بيئتهم ٠ ومن المرجـح ان السومريين أخذوا فكـرة القصتين من الساميين فحوروها لتتفق مع بيئتهم ، وذلك على أعتبار ان الساميين سبقوا السومريين في استقرارهم في اعلى الدلتا وهذا يتفق والنظرية التي اخذنا بها وهي ان السومريين اقتبسوا وسائل الحضارة من الساميين الذين سبقوهم في الاستقرار على ضفاف الفرات الاوسط كما تقدم ٠

ب ـ قصة آدم وحواء واغراء الحية بهما في النقوش السومرية :

وممـا يثير الدهشة والغرابة ان ما ورد في التوراة عن قصة آدم وحواء وقصة جنة عـدن وقصة الطوفان ترتد جذورها الى عهود قديمة ، فقصة آدم وحواء التي تشير الى اغراء الحية حواء



المرتسم رقم (١٤١)

« وكان نهر يخرج من عدن فيسقى الجنة ، ومن ثم ينشعب فيصير أربعة رؤوس . اسم احدها فيشون وهو المحيط بجميع ارض الحويلة ، حيث الذهب . وذهب تلك الارض جيد . هناك المقل وحجر الجزع . واسم النهر الثانى جيحون وهو المحيط بجميع أرض كوش . واسم النهر الثالث حداقل ، وهو الجارى شرقى آشور . والنهر الرابع هو الفرات » . (التوراة . التكوين ١٠-١٤)

وأكل حواء هي وآدم من ثمر شجرة معرفة الخيروالشر برغم تحذيرهما من الاكل منه ، ان هذه القصة بذاتها نجدها متمثلة على نقش سومري وقدصور عليه الموقف نفسه ، فنشاهد على هذا النقش رجلا على رأسه قلنسية ذات قرنين وامرأةبدون لباس الرأس جالسين الواحد أمام الآخر وقد نبتت شجرة بينهما تشبه شجرة النخل تدلىعذقان من التمر من طرفيها ، ويشاهد الرجل مادا يده اليمنى نحو العذق الذي أمامه ليقطف منثمره ، كما تشاهد المرأة وهي مادة يدها اليسرى نحو العذق الذي أمامها لتقتطف من ثمره أيضا ،ثم تشاهد الحية وهي منتصبة واقفة خلف المرأة تغريها في الأكل من هذا الثمر المحرم عليها أكله .وهذا دليل على أن شجر النخل وجد على تربة جنوب العراق منذ أقدم الأزمنة وان شجرة معرفةالخير والشر الواردة في التوراة هي شجرة النخل

بالنسبة للسومريين . ومما يذكر ان هذا النقش التاريخي وضع قبل تدوين التوراة بأكثر من ألفي عام على أقل تقدير لان التوراة لم تسجل بنصها الحالي الا في عهد متأخر أي في القرن الثامن والتاسع قبل الميلاد . (انظر التصوير رقم ٨٩أ والمرتسم رقم ١٤أ) .

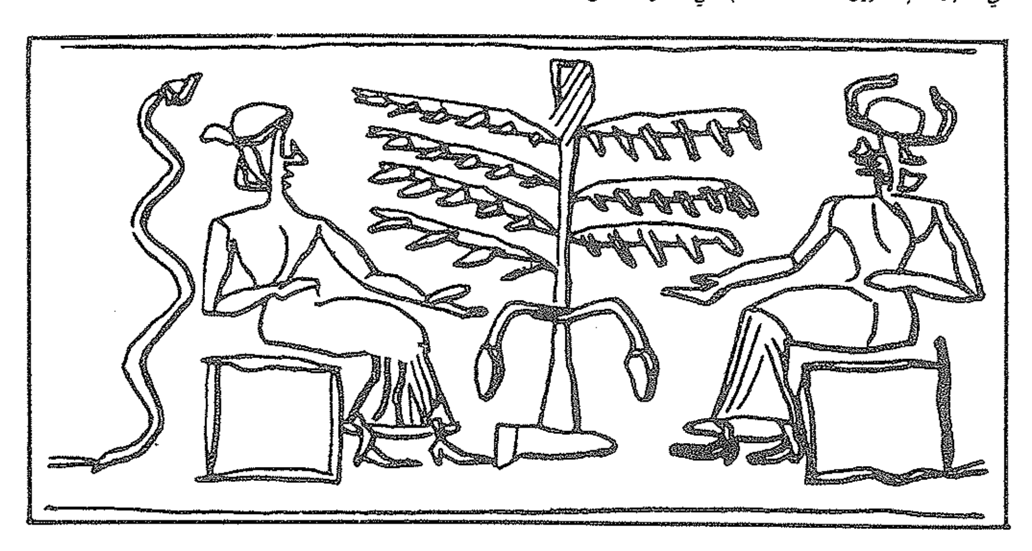
٣٦ـ قدسية نهر الفرات لدى السومريين واكديين :

وكان لنهر الفرات حرمة قدسية لدى السومريين والأكديين الذين سكنوا ضفافه وشيدوا حضارتهم القديمة عليه اذ كان مصدر حياتهم وخيراتهم ، كما كان للنيل قدسيته عند المصريين الذين سكنوا ضفافه وشيدوا عليه حضارتهم القديمة ، فالمصريون كانوا يقدمون

التصوير رقم (٨٩أ)

The Story of the Temptation of Adam and Eve by the Serpent

يمثل هذا النقش المدون على ختم اسطواني يعود الى العهد السومري القديم قصة آدم وحواء التوراتية يشاهد فيه رجل على رأسه قلنسية ذات قرنين وامرأة بدون لباس الرأس جالسين الواحد أمام الاخر وكل منهما ماد يده لاقتطاف الثمر المحرم من شجرة الحياة (شجرة معرفة الخير والشر) . وتشاهد الحية منتصبة واقفة خلف المرأة وهي تغريها في الاكل من الثمر المحرم عليها أكله . والظاهر هنا ان الشجرة التي حذر آدم وحواء من الأكل منها والتي ورد ذكرها في التوراة (تكوين ٢:١٥-١٧) هي شجرة النخل .



This scene of Sumerian origin represents the temptation of Adam and Eve by the serpent On one side of the "Tree of Life" sits a bearded personage in a two horned headdress, while facing him on the other side of the Tree is a seated female figure without the headdress. The two of them extend their hands towards the Tree and at the back of the female figure is an upright serpent with its head nearly over the woman's head (vide : W, H. Ward, op. cit., Fig. 388, p. 138). It seems very clear here that the Tree which God forbade Adam and Eve from eating from it is a palm tree.

كل عام قربانا لنهرهم احدى العذارى الجميلات برميها في تيار النهر الغاضب وسط حفلة دينية كبرى ، ومثل ذلك كان يعتقد السومريون والأكديون والبابليون ان الطوفان منبعث من غضب الالهة بسبب فساد البشر وآثام الانسان وخطاياه ولابد من ترضيتهم بتقديم القرابين

اليهم ، ولقد كان الفرات لبلاد سومر وأكد بمثابة النيل لبلاد مصر ، فكان « نهر الفرات العظيم » عند السومريين والاكديين والبابليين مصدر الرخاء والحياة « خالق كل شيء » ، فهو نهر المعابد المقدسة وقد حفرته الآلهة لتنعم البلاد بنعمة مياهه ولابد من ترضيتهم وتجنب غضبهم ، وما زالت حتى اليوم تقاليد متصلة بالمعتقد القديم المنطوي على تقديس وتاليه الماء فيقدم الناس عندنا اليوم وخاصة النساء النذر الى « خضر الياس » الذي يعتقد انه سلطان الماء وهو كائن حي موكل أبدا بالانهر فينذرون له الشموع بوضعها على لوح صغير من الخشب ورميها في النهر . والعادة ان تشعل هذه الشموع ليلة الجمعة وهي أفضل الليالي فيخوض شخص في النهر ويرميها وسط التيار . وقد اختلف العلماء المسلمون في اسم خضر الياس فقالوا انه الخضر وقيلت أساطير كثيرة عنه . وما زال تقديس وتاليه الماء جاريا عند الهندوكين حتى يومنا هذا .

وفي دعاء موجه الى نهر الفرات الذي كان يقدسه السومريون والبابليون على السواء نقش على رقيم بابلي جاء فيه ما يلي :

« ايها النهر خالق كل شيء حينما حفرتك الالهة العظام

« اقاموا أشياء طيبة على شطئانك وفي طيات غمرك

« بنى (أيا) ملك الغمر مقامه وأنعموا عليه بفيض من المياه

« لا نظير له . فيا ايها النهر العظيم ، ايها النهر المجيد يا نهر

« المعابد المقدسة مياهك تفرج الغمة فتقبلني برأفة وخذ

« ما في بدني وأرم به على شطئانك وغرقه عند ضفافك وغطه

« في اعماقك .

وفي نص بابلي آخر ورد ما يلي :-

« وكان النهر العظيم يجرى كالبحر في اتساعه

« حين انشئت أريدو وبنيت اساكيل

« تلك اساكيل قائمة في وسط الماء العذب العميق

« وحيث يقيم الاله العظيم المجد

« غرس مردوخ (اكبر الهة البابليين) القصب ليقف حائلا بوجه الماء

« واقام الضفاف الترابية ودعمها بالقصب

« ليهيء للالهة مسكنا في المحل الذي تتوق اليه قلوبها

وجاء لفظ الفرات في التوراة في سفر التكوين (تك : ١٠ - ١٤) : « وكان نهر يخرج من عدن فيسقي الجنة ، ومن ثم يتشعب فيصير اربعة رؤوس منها الفرات » . كما جاءت لفظة الفرات في القرآن الكريم منها قوله تعالى :

« وهو الذي فرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح آجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا » (سورة الفرقان) الآية - ٥٢ - .

« وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ، ومن كل تأكلون

لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها ، وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (سورة قاطر) الآية - ١١ - .

« ألم نجعل الارض كفاتا ، احياء وامواتا ،وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم ماء فراتا (سورة المرسلات) الايات : ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ .

٣٧ - اسباب استيطان السومريين والأكدين ضفاف الفرات دون دجلة :

يلاحظ مما تقدم ان المدن السومرية والأكدية القديمة كانت كلها مشيدة على ضفاف نهر الفرات في أسفل الدلتا أو على فروعه ،ويحسن بنا ان نبحث في الاسباب التي دعت الى اقامة هذه المدن على ضفاف الفرات دون دجلة :لقد سبق ان اشرنا الى ان الاراضي الزراعية الواقعة بين دجلة والفرات في جنوب الدلتا تنحدر من الفرات نحو نهر دجلة . لذلك كان طبيعيا ان تسير جداول الري في هذا الاتجاه نفسه وحصر أعمال الارواء بنهر الفرات الذي تاخذ منه الجداول . وهذا تعليل للأسباب التي حدث بالأقوام القديمة التي نزحت الى هذه الديار ان تتخذ نهر الفرات دون دجلة منطلقا لجهودها في انشاء مستعمراتها ومدنها عليه ، فقد أنشئت شبكة من جداول الري على طول ضفاف الفرات في امتداده بين « سيبار » السامية و « اور » السومرية فازدحمت عليها مدن وقرى متشابكة في الجانبين على طول المسافة البالغة حوالي ٥٠٠ كيلومتر . وهذا المجال الطبيعي للتنمية الزراعية لم يكن متوفرا على ضفاف نهر دجلة لارتفاع مستوى الاراضي عن مستواه وازدياد هذا الارتفاع كلما ابتعدت الاراضي عنه .

ومن العوامل المغرية الاخرى التي اجتذبت الأقوام الى منطقة الفرات الأسفل القديم ان نهر الفرات يجري بين ضفاف منخفضة وفي عقيق ذي انحدار قليل بخلاف ما هي عليه الحال في نهر دجلة ، الامر الذي يساعد على السيطرة عليه واستغلال مياهه في الري والزراعة بسهولة . هذا فضلا عن وفرة المياه في هذه المنطقة على طول مواسم السنة حيث تتجمع المياه من كل صوب فتنتشر في السهل المنبسط بأعماق ضئيلة مما يسهل استغلالها في الري والزراعة دون عناء كبير .

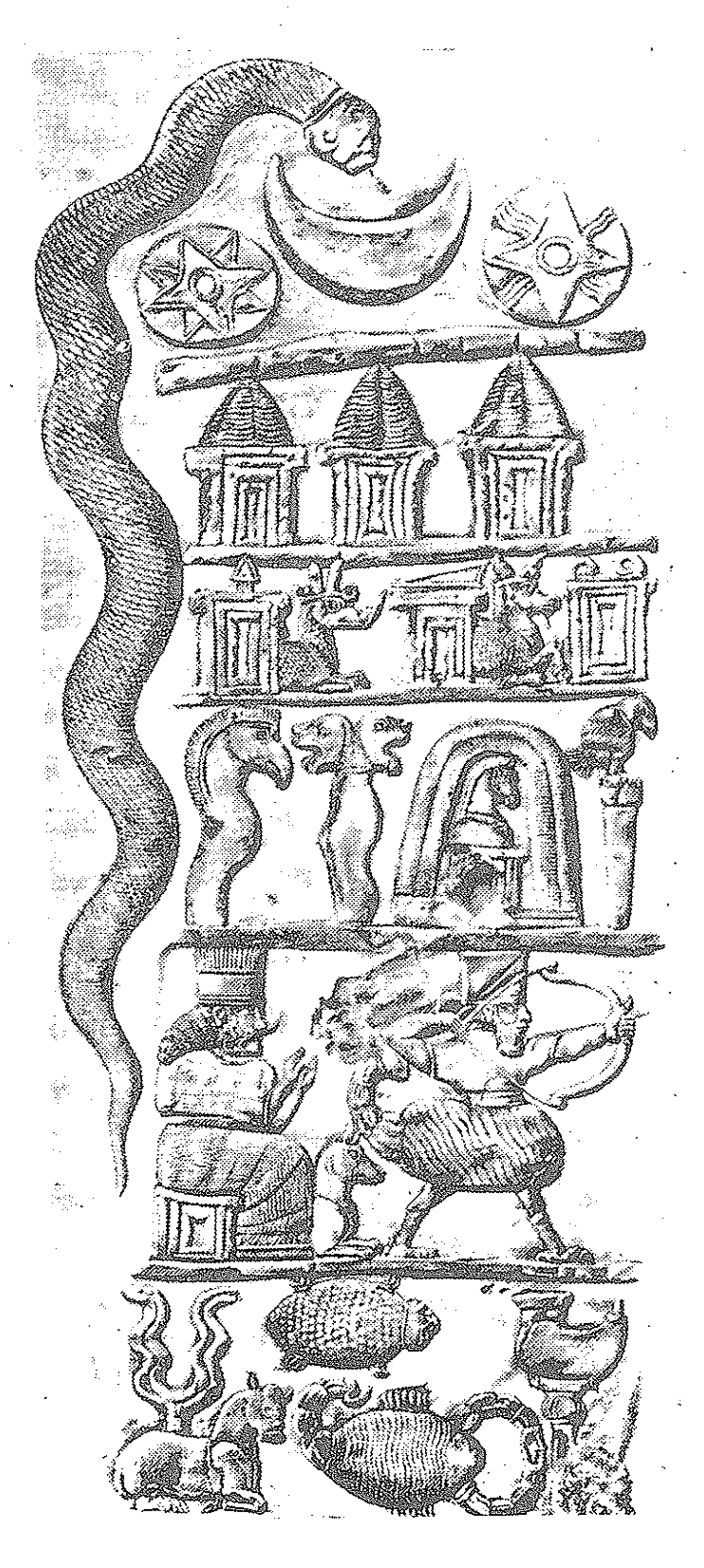
ويتميز نهر الفرات بهدوئه وبطئه في ارتفاعه وهبوطه ، وهذا ما يجعله أكثر ثباتا واستقرارا من نهر دجلة ، وتعليل ذلك ان المنطقة التي يتغذى منها نهر الفرات بالمياه أبعد منها في نهر دجلة . اما حجم الفيضان ففي الوقت الذي تزيد مياه الفرات على كمية مياه دجلة في موسم الصيهود[٥٥] في الغالب نجد ان مياه نهر الفرات لا تتجاوز نصف كمية مياه الفيضان في نهر دجلة ، أضف الى ذلك ان الطبيعة قد جهزت الفرات بمنخفضات طبيعية كبحيرة الحبانية ومنخفض أبي دبس ومنخفضات أسفل الفرات التي تساعد على تخفيف وطأة الفيضان من جهة وخزن قسم من المياه للاستفادة منها في الزراعة الصيفية من الجهة الاخرى . وفي العهد الاسلامي ورد حديث لابن الاثير يصف فيه نهر الفرات بالقياس الى نهر دجلة من حيث هدوئه وامكانياته الاعمارية وذلك بقوله : « نهران مؤمنان ونهران كافران ، اما المؤمنان فالنيل والفرات ، واما الكافران فدجلة ونهر بلخ »وقد فسر ايمان الاولين بانهما يفيضان على الارض فيسقيان الحرث بلا مؤنة وكلفة ، وفسر كفر الاخيرين بانهما لا يسقيان ولا ينتفع بهما الا بمؤنة وكلفة[٥٦] ((النهاية في غريب الحديث)) لابن الاثير ، طبعة مصر ، ج ١ ، ص ٥٤ .

وقد ذكر السير ويليــام ويلكوكس ان السبب في استيطان الأقدمين للمنطقة الجنوبية من الفرات يعود الى ان المياه التي تصل الى هذه المنطقة تكاد تكون قد فقدت المواد الغرينية التي تحملها عادة في موسم الفيضان وذلك بعد انتشارها في المسافات الشاسعة من المنخفضات والاهوار ، وبذلك كان في وسـع السكان ان يعتمدوا على المــواد الكيمياوية الموجـودة في تلك الميــاه ليستعملوها في أغراض الري • وقد اختار السكان هذه المنطقة لانهم لم يكونوا من الكثرة في العدد بحيث يستطيعون معها استعمال المياه ذات الغرين بالنظر لما تتطلبه هذه المياه من أياد عاملة لكري وتطهير الأنهر ، الا انه بعد ان كثر عدد السكان وأصبح بامكانهم القيــام بالاعمــال التطهيرية اللازمة اتجهوا الى الاقسام العليــا من النهــر واستخدموا المياه الغرينية وأسسوا هنــاك مدنا جديدة ، ويعني ويلكوكس في وصفه هنا التطور الذي اجتازه السومريون في انتقالهم من حياة الاهوار الى حياة السهل ذات الامكانيات الزراعية التي تعتمد على الري " (انظر تقرير ويلكوكس عن ري العراق ترجمته مديرية الري العامة وطبعته سنة ١٩٣٧ ، ص ٦ ـ ٨) •

٣٨ ـ الأراضي في المجتمع السومري الأكدي :

وكان نظام الاقطاع وسـيلة لحفظ النظــام الاجتماعي في بلاد سومر وأكد ، ففي أعقاب كل حرب يقطع الزعماء مساحات واسعة من الاراضي وتعفى من الضــرائب ، وكان من واجب هؤلاء الزعمــاء ان يحافظوا على النظــام في اقطاعاتهم ويقدموا للملك حاجاتـه من الجند والعتاد • وكانت تسمى هذه الاراضي « ايلكو » ، وكانت موارد الحكومة تتكون من الضرائب التي تجبى عينا فتخزن هذه الذخائر في المخازن الملكيــة وتؤدى منها مرتبات موظفي الدولة وعمالها • وكانت اكثر الاراضي الزراعية ملكا لمعابـد الآلهة والملك أو الحاكم ، وكانت هناك اراض تدار باشتراك جماعات من الزراع وفق النظام المعروف بالعائدية الجماعية (Collective Ownership) ولكن الملكية الفردية كانت هي السائدة ، وكان أغلب المزارعين يملكون قطعا صغيرة ، كما كان تملك الاراضي وتحويل ملكيتها يثبتان بموجب سندات رسمية مشفوعة بتواقيع الشهود ، وكانت المساحة المملوكة للفرد أو الجماعة توضع لهــا حدود ثابتــة تعين مساحاتها ، وكانت علامات الحدود « كودورو » عبارة عن ألواح حجرية عليها علامات ونقوش تبين اسم المالك وحدود الاراضي ثم تحفظ في المعــابد ، ففي التصوير رقم ٩٠ نمــوذج من ألواح علامات الحــدود « كودورو » تشاهد فيه شعارات الآلهة عشتار وهلال الاله القمر « سين » وقرص الشمس رمز الاله « شماش » اله الشمس • وفي النقــوش تحتها شعارات لمجموعة من الآلهة منهم « انو » و « انليل » و « ايا » و « نابو » ونينهرشاك (انظر التصوير رقم ٩٠) •

اما ملكية الجداول فمنحصرة بجمــاعة المزارعين والملاكين الذين يستفيدون منها ، وتقع واجبات صيانتها وتطهيرها على جميع هؤلاء •واما توزيع المياه بين المزارعين فقد كان يخضع الى نظــام يراعيــه الجميع ، ومع ذلك فكانت النزاعات حول تقسيم الميــاه بين الزراع غــير منقطعة • وكان بعض المزارعين أصحاب الاراضي يقومون بفلاحة أرضهم بنفسهم بينما كان البعض الآخر يستأجر عمالا طيلة الموسم ويدفع اجورهم بالشعير أو الصــوف أو بالحيوانات واحيــانا بالفضة • واذا كان المزارع فقيرا لا يملك البذور والأدوات فقــد كان يرهن مزرعته حتى وقت



الصورة رقم (٩٠) – نموذج من الواح علامات الحدود « اودورو » (المتحف البريطاني اللوح رقم ٩٠٨٥٨) (انظر الفقرة ٣٨) .

الحصاد الا ان القانون كان يحميه من المرابين الجشعين ، وفي حالة انعدام الانتاج الزراعي لاسباب خارجة عن نطاق ارادته يعفى من الفائدة عندئذ .

٣٩ ـ اتقان السومريين لعلم المساحة ورسم الخارطات:

وكانت الحاجة الملحة التي يقتضيها مسك السجلات باملاك المعابد والقصور الملكية والاقطاعيات التي كان يوزعها الملوك على أتباعهم، ثم تحديد مساحات الاراضي لغرض تقدير الضرائب وتعيين القياسات ، حافزا لاتقان السومريين والأكديين علم المساحة ورسم الخارطات . لذلك يصح القول ان العالم مدين لهم بما قدموه من مبتكرات في هذا الميدان ، تلك المبتكرات التي ظل العالم يجهلها حتى تم اكتشاف البعض القليل منها في خرائب المدن القديمة بطريق الصدفة . ويرى البعض ان الهندسة في أولها كانت عبارة عن قياس مساحة الارض المزروعة .

أ ـ أقدم خارطة من العصر السومري الأكدي توضح نمط الحياة الريفيه من خلال مشاريع الري والجداول والقرى الزراعية (انظر المرتسم رقم ١٥)

ومن أهم ما وصل الينا من الآثار التي تلقي ضوءا على طراز الحياة الريفية التي عاشها السومريون والاكديون في حقولهم الزراعية الخارطة التي عثر عليها في خرائب مدينة « نيبور » (نفر) وهي تعود الى منتصف الألف الثانية قبل الميلاد . وتوضح هذه الخارطة باجلى بيان تفاصيل طراز حياة المجتمع الريفي القديم في منطقة « نيبور » وكيفية تنظيم شبكة جداول الري وتقسيمات المياه وتثبيت مواقع وملكيات الحقول الزراعية والقرى مع ذكر اسمائها ، ولم تهمل الخارطة تحديد المواقع العامة المشاع استعمالها من مجموع سكان المنطقة كالطرق والمراعي والأهوار التي ينبت فيها القصب والبردي . وتعد هذه الخارطة أقدم خارطة من نوعها معروفة في تاريخ العالم ، وهي وان كانت تعود الى عهد متأخر الا ان هناك دلالة قاطعة على ان السومريين والأكديين اتقنوا فن صنع الخرائط في أوج ازدهار حضارتهم وقد أخذ البابليون والكاشيون هذا الفن عنهم .

والظاهر ان الغاية الاساسية من وضع هذه الخارطة هي تحديد موقع الحقل الملكي في منطقة « نيبور » بدليل انها وجدت بين السجلات الملكية التي عثر عليها في « نيبور » . ويشاهد موضع هذا الحقل في وسط الخارطة وقد كتب عنده :

« حقل بين الجداول مساحته ثمانية كولات ـ حقل القصر » . ويدور حول الحقل جدول يبدأ في الزاوية الشرقية للخارطة فيسير نحو الجنوب الغربي ثم يعود فينحرف الى الشمال الغربي مشكلا شبه دائرة مخروطية الشكل حتى ينتهي في الزاوية الشمالية الغربية من الخارطة . وقد سمي هذا الجدول باسم « نار ـ بيلتي » ،أي نهر الحمل أو النقل ، ويستدل من هذه التسمية انه الجدول الرئيسي الذي تنقل بطريقه المواد الزراعية باعتداده صالحا للملاحة ولا شك ان هذا الجدول كان يتمون من نهر الفرات .

ويلاحظ ان الجداول والفروع رسمت في الخارطة على شكل خطين متوازيين على النحو المتبع في الوقت الحاضر في رسم الجداول للدلالة على مجرى الماء وحدود الماء ، كما ان القرى رسمت على شكل دوائر كما هو متبع في رسم خارطاتنا الحديثة ، مع الفارق ان الدائرة التي

رســمها الأقدمون كانت دائرة كبيرة كتب فيوسطها اسم القرية في حين ان الطريقة الحديثة هي جعل الدوائر صغيرة وكتابة اسم القــريةخارجها •

ويلاحظ أيضا ان الحقـول المنتشرة فيالمنطقة كان معظمها يسمى باسم القرية التي تقع فيه ، مما يدل على انه كان في كل حقل قرية خاصة بمزارعي ذلك الحقل ، ومن أمثال ذلك ان الحقل المجاور لقرية « بيت ـ كارنوسكو » كان يحمل اسم القرية نفسها وكذلك حقل معبد مردوخ يحمل اسم القرية الواقعة على ضفافه ، واللوح الذي رسمت عليه هذه الخارطة محفوظ في متحف جامعة بينسيلفانية في الولايات المتحدةالامريكية[٥٧] (انظر المرتسم رقم ١٥) •

ب ـ أقدم خارطة من خارطات الكادسترو عثر عليهـابين اطلال مدينة « اوما » :

وقــد وصـل الينـا من آثار السومريين والأكديين اقدم نماذج من خارطات الكادسترو عرفها العالم حتى الآن • وقد نقشت على ألواح من الطين ثبتت فيها حدود الحقول الزراعيـة ومساحاتها وذلك بنتيجـة عملية مســح حقلي وحساب رياضي لا يختلفان في شيء بدقتهما عن الاساليب الحديثة المتبعة حاليا في هذا الميدان •ومن هذه الخارطات خارطة عثر عليها في أطلال مدينة « اومة » (تل جوخة) وهي تشتمل على حقل زراعي يدعى « ايكوروا » تعود ملكيته الى معبد الالهة « نينورا » زوجة الاله « شارا » الاله الرئيس لمدينة « اوما » وقد تم مسحه بامر الملك (امرسن) ثالث ملوك سلالة اور الثالثة(٢٠٤٧ ـ ٢٠٣٩ ق٠م٠) في السنة الثانيـة من حكمه • وتبلغ مساحة هذا الحقل حوالي ١٠٠مشارة عراقية تم مسحه وتعيين مساحته بطريقة تقسيمها الى قطع من مستطيلات ومثلثات وأشكال هندسية أخرى ، وقد دونت مساحة كل من هذه القطع على انفراد عدا القطعة المستطيلة في اقصى الشمال التي لم تدون مساحتها وقد ذكر عندها انها متنازع عليهـا ، اذ ادعى احد الاشخاص بعائديتها له ، وقد ذرعت المسافات الطوليـة لحدود القطــع التي يتألف منها الحقل ودونت بأحد المقاييس الطولية التي استعملها السومريون والاكديون وهو « الكار » الذي يساوي زهاء عشرين قدما (٦ أمتار) • اما المساحات فقــد دونت مساحة كل قطعــة على انفراد بالمقاييس السطحية المعمول بها آنذاك وذلك بعد احتسابها وفق الأصول والقواعد الهندسية المتبعة حاليا •والمقاييس السطحية الشائعة في تلك الازمان هي : « السار » ويساوي « كارا » مربعا أي حوالي٤٠٠ قدم مربعة أو ٣٦ مترا مربعا ، و « الايكو » ويساوي مائة « سار » و « الاوبو » ويساوي خمسين « سارا » و « الديس » ويساوي ٢٥ « سارا » ، و « الايز » ويساوي ستمائة سارو « البور » ويساوي الفا وثمانيمائة « سار » • وقد دونت مساحة كل من القطع الهندسية التي يتألف منها الحقـل وعددهـا خمس بالمقاييس السطحية المذكورة ، وكان مجموع مساحة الحقل في ضوء هذه الحسابات ٧٤٠٠ « سار » ، أو ٤ « بور و ٢ أيكو » أو حوالي مائة مشارة عراقية والمشارة العراقية تساوي ٢٥٠٠ متر مربع •

وقد دونت مساحة كل من القطع الهندسية التي يتألف منها الحقل وعددها خمس بالمقاييس السطحية المذكورة على الوجه الآتي :

١ ـ القطعة ك ج ف ي : ٢ بور ، أيكو ، ١ أوبو = ٣٦٧٥ سار
٢ ـ القطعة ي م س هـ ، ١ بور ، أيكو ، ١ أوبو = ١٩٥٠ سار

٤ ـ الحديقة المركزية لمدينـة « نيبور »المسـماة باسـم « كيرى شا اورو » الذي يعنى حرفيا « بستان » أو « حديقة قلب المدينة » •

٥ ـ بنـاء المعبـد المسمى « اشماخ » في ضواحي المدينة •

٦ ـ نهر الفرات ، وهو يؤلف الحـدالغربي للمدينة وقـد سمي بالصيغة السـومرية القديمة « بوراتن » •

٧ ـ الجدول المسمى « نتبردو » ، وهويحد المدينة في الجهة الشمالية الغربية •

٨ ـ النهـر المسـمى « ادشا اورو » ،ويجرى في وسط المدينة ويعني اسمه حرفيا « نهر قلب المدينة » •

٩ ـ سور الجانب الغربي للمدينة وابوابه الثلاثة (الارقام ١٠ و١١ و١٢) •

١٣ـ السـور الجنـوبي الشـرقي وأبوابه الثلاثة أيضا (الارقام ١٤ و١٥ و١٦) •

١٧ـ السور الشمالي الغربي وبابه (رقم١٨) •

١٩ـ الخندق الموازي للسور الشمالي الغربي ، وقد سمي « خريتم » وهي كلمـة أكدية تعني الخندق •

٢٠ـ الخندق الموازي للســور الجنـوبي الشرقي ، وقد سمي « خريتم » أيضا • (انظر المرتسم رقم ١٨) •

هـ ـ اقدم خارطة طوبوغرافية من العصر السومري الاكدي

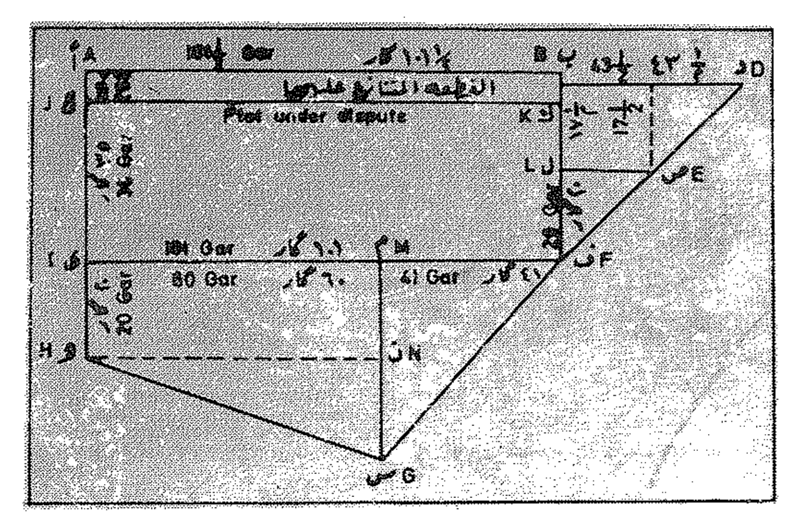
وقد وصلت الينا خارطة أخرى من تلـك العصور السومرية الاكدية هي خارطة طوبوغرافية لمنطقة واسعة فيها الجبال والانهر والقرى الخ •••وتعد هذه الخارطة اقدم خارطة معروفة من هذا النوع في العالم ، يرجع تاريخها الى منتصف الالف الثانية قبل الميلاد عثر عليها في التلول المعروفـة باسم « ويران شهر » او « يورغان تبه » الواقعة على بعد حوالي ثمانية أميـال من جنوب شرقي كركوك • وقد توصل علماء الآثار الى ان هـذه التلول من بقايا مدينة « نوزى » التي ازدهرت في العهد الاكدي وكانت تعرف آنذاك باسـم « كاسور » ، ثم استولى عليها الحوريون وهـم أقوام موطنهم الأصلي «أورارتو» (ارمينية) فأسسوا مركزا مهما في شمالي العراق وفي منطقة البليخ والخابور في سورية ، وقـد اندمجوا بالشعب الاكدي السامي وغيروا اسم بلدهم كاسور الى « نوزى » •

والخارطة مكتوبة بلهجة اكدية خاصة غـيرانها تستعمل الفاظا حورية • وقد اشرت المقاطعة المراد تثبيتها على الخارطة باشارة دائرة في الوسط وكتب عندها : « ١٨٠ + ١٨٠ − ٦ = ٣٥٤ كار او ايكو من الاراضي الزراعية » • وهـذه تساوي حوالي ٤٦٠ مشارة عراقية ، كما ثبتت في اليمين دائرة اخرى كتب عندها « تعود الى ازالا » • وتوجد في الخارطة ثلاث دوائر اخرى يشير كل منها الى اسم قرية الا ان كتابة اسمائها قد مسحت عدا الكتابة عند الدائرة الواقعة في الركن الايسر من أسفل الخارطة التي هي واضحة وتشير الى اسم « ماس ـ كم ـ باد ـ ايب ـ لا » • والبارز في هذه الخارطة انها تشير الى الغرب والشرق والشمال ، اما الجنوب فقد ثلم القسم الذي عليه الكتابة ، وقد دونت كلمة « ايم مار ـتو » (اي غرب) في اسفل الخارطة ، وكلمـة

المرتسم رقم (١٦)

أقدم خارطة كادسترو سومرية

Sumerian Cadastal Mapping



ان أقدم خارطة كادسترو وصلت الينا من العهود السومرية الخارطة المدونة على هذا اللوح عثر عليها في أطلال مدينة « اوما » (تل جوخة) . ويرجع تاريخ هذه الخارطة الى آواخر الألف الثالث قبل الميلاد وتشتمل على قطعة أرض زراعية مساحتها حوالي ١٠٠ مشاره عراقية تعود ملكيتها الى معبد الالاهة « نينورا » . وقد تم مسحها وتعيين مساحتها بطريقة تقسيمها الى قطع هندسية ثم دونت مساحة كل من هذه القطع على انفراد ، وهذه نفس الطريقة المتبعة في الوقت الحاضر .

The measurement of landed property commenced early since it was the social needs of early civilized man that resulted in its invention and development. The earliest form of surveying of which civilized man had need was certainly that by which he measured the cultivated piece of land by means of which he supported his family, and which he could leave to his heir in land charters known as "Boundary Stones".

This Sumerian cadastral map is an example of the earlie-t cadastral map known to us from ancient sources drawn on clay tablets. The text on the map reads : "4 bur 2 iku of land belonging to the goddess "Ninurra", the field "Egurea", the king by his authority caused to be surveyed". The Sumerian square measure "bur" is equivalent to 1800 "sar" and the "iku" to 100 "sar", the "sar" measuring about 36 square metres Thus the total area of the field is estimated at about 100 Iraqi Masharas of 2500 square metres each. The goddess "Ninurra" to whom this tract of land belonged was the consort of the god "Shara", the principal god of the city of "Umma" The main dieties of each city had lands assigned to them, the income of which supported their temples. It is certain, then, that the field "Egurea" mentioned in the text and shown on the map was located in the territory of the city of "Umma". It is concluded from the text which furnishes the well known date formula that the date of the map is the second year of King Omar-Sin, the third king of the Third Ur Dynasty (2047-2039 B. C.). The purpose of the survey seems not to have been to determine the boundary lines which are taken for granted but to calculate the area within the accepted boundaries. The method used in computing the area was by dividing up the property into a number of sections consisting of right angled triangles, rectangles and trapezoids, and by measuring the dimensions the area of each geometric figure is calculated separately, then the total area of these figures form the actual area of the tract. In this case the tract is sub-divided into six separate but contiguous figures one of which, the upper one, was not included in the survey in spite of giving its dimensions. This was described as "inin-galla", a Sumerian term which means someone has legal claim on this piece of land..

The area of each of the 5 figures is given in Sumerian square measures as folows :

1 -	The rectangle JKFI :	2 bur, 1 ubu, 1 dis	=	3675 sar.
2 -	The trapezoid IMGH :	1 bur, 1 iku, 1 ubu	=	1950 sar.
3 -	The triangle MFG :	1 ese, 3 iku, 1 dis	=	925 sar.
5 -	The triangle LEF :	2 iku, 1 ubu	=	250 sar.
5 -	The trapezoid BDED :	1 ese	=	600 sar.
				7400 sar = 4 bur, 2 iku

The Sumerian square measure "ubu" is equivalent to 50 sar the "dis" to 25 sar and the "ese" to 600 sar. The linear measure "gar" is equivalent to about 20 feet [6 metres].

[See : F. Stephens, "A Surveyor's Map of a Field". Journal of Cuneiform Studies, Vol. VII, No. 1, 1953, pp. 1-4.]

It is to be noted, in this connection, that the method adopted in computing the areas, the alphabet of map making, the conventional signs are all the same as those used by us to-day. It is only the finer finish lent by modern mechanism to our Cartography that makes the ancient maps look so crude and primitive by comparison.

« ايم ــ كور » (اي شرق) في أعلى الخارطة ،وكلمة « ايم ــ مير » (اي شمال) داخل المستطيل الذي في الجانب الايسر من الخارطة •

ومن الواضح ان هناك سلسلة من الجبال في الحدود الشرقية وسلسلة في الحدود الغربية من الخارطة ، والراجح في نظرنا ان الخطوط المتقطعة في المستطيل الذي يمتد في الجانب الايسر من الخارطة على طول الجهة الشمالية يمثل مجرى نهر رئيس يحتمل كونه نهر الزاب الصغير الذي يجري من الشرق الى الغرب كما هو عليه في الحال الحاضر ، ومن المحتمل ايضا ان الجدول الذي يخترق الخارطة ويمتد من الزاوية اليسرى في أسفل الخارطة الى الزاوية اليمنى في أعلى الخارطة هو النهر القديم الذي كان يجري في هذه المنطقة وقد سمي في العصر العباسي النهر العباسي ويجري في اتجاهه اليوم جدول الحويجة الحالي •وقد سمي هذا الجدول « را ــ هي ــ اوم » اي المثمر او المخصب ، ويلاحظ ان هناك ثلاثة صدور للجدول تأخذ كلها من النهر الرئيسي وهذا يتفق والطريقة القديمة التي كان يعمل بها عند انشاء جداول الري ، وهي ان يفتح اكثر من صدر واحد للجدول وذلك لاستعمال كل من هذه الصدور في موسم معين وما زالت آثار الصدور العديدة لنهر العباسي ظاهرة منها النهر المعروف بنهر الفيل • اما الفرع الذي يأخذ من الجدول وهو الفرع الذي يمتد من الزاوية اليمنى في أعلى الخارطة الى أسفلها فمن المحتمل انه يتشعب من الجدول لارواء الاراضي الواقعة في أسفل الخارطة ما وراء سلسلة الجبال الغربية فيرى البعض احتمالات اخرى غير واردة اصلا كاحتمال كون النهر الرئيسي ذي الخطوط المتقطعة نهر الفرات[٥٦] (انظر المرتسم رقم ١٩) •

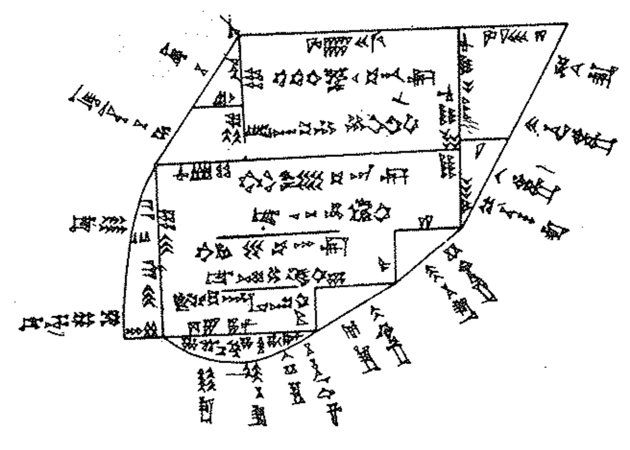
و ــ أقدم خارطة للعالم كما رسمها اهل الرافدين القدامى :

كانت معرفة سكان وادي الرافدين القدامى بجغرافية العالم محدودة اذ كان الرأي السائد في تلك العصور ان الاراضي سهل فسيح على شكل دائرة (على هيئة القرص) او جزيرة متسعة يحيط بها بحر لا نهاية له (البحر المحيط السماوي) على أطرافه بلاد تسكنها الالهة وغيرهم من الاشباح الوهمية وغلب على الناس زعم ان الارض طافية على المياه • وأقدم خارطة للعالم معروفة حتى الآن هي الخارطة التي وصلت الينا من العهد البابلي تعود الى القرن السادس قبل الميلاد ، وقد رسمت على لوح من الطين لتمثل حملة سركون الاكدي على بلاد آسيا (القرن الرابع والعشرين ق•م•) ، وهي تصور الارض على هيئة دائرة يحيط بها الاوقيانوس السماوي فيدور في دائرة اخرى حول الارض وقد سمي « النهر الحاد » • كما وردت الاشارة الى هذا الاوقيانوس السماوي ومعه منطقة البروج في المتن المدون على اللوح نفسه •ويشاهد في الخارطة نهر الفرات وهو يخترق وسط الدائرة من الشمال الى الجنوب وقد رسم على شكل خطين متوازيين ورسمت عليه بابل على شكل مستطيل تقطع نهر الفرات بصورة عمودية في نقطة تقع فوق وسط الدائرة بقليل باعتدادها مركز العالم • وتشاهد في اليمين داخل دائرة الارض دائرة صغيرة كتب داخلها « بلاد آشور » ، وقد رسمت دوائر لمدائن اخرى في يمين الفرات ويساره وكتبت اسماء بعضها داخل الدوائر ، ومن هذه المدائن « ديره » في الجنوب الشرقي من الفرات و « بيت ياقين » في الجنوب عند مصب الفرات • كما رسمت الجبال في الشمال حيث ينبع منها نهر الفرات وكذلك الاهوار في

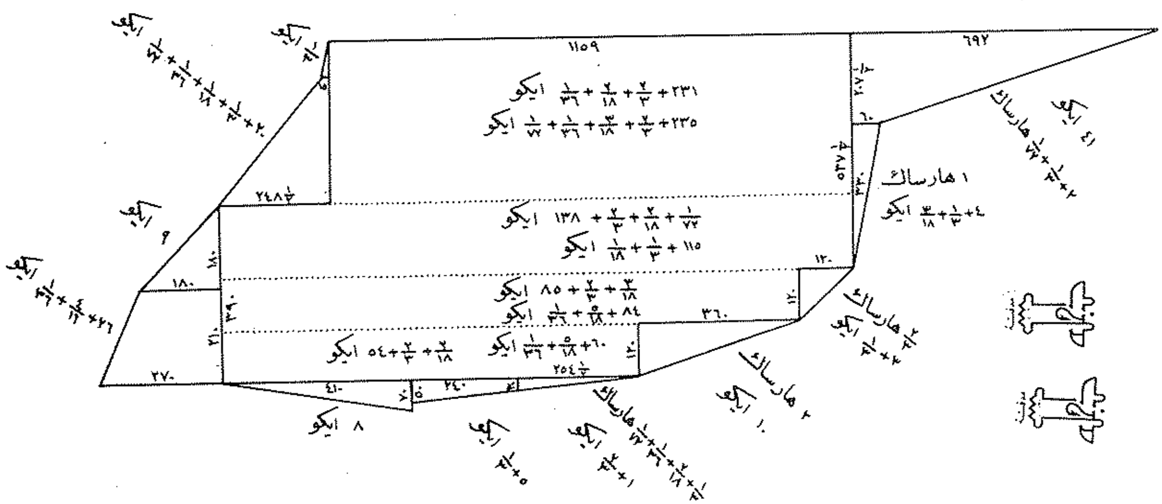
المرتسم رقم (١٧)

نموذج ثـان لخارطة كادسترو من العصور السومرية القديمة

ANOTHER EXAMPLE OF A SUMERIAN CADASTRAL MAP



فى هذا اللوح السومري نموذج لخارطة كادسترو ثانية مماثلة لخارطة « اومـا » التي بحثت فى اللوح ١٥ عثر عليها فى خرائب « لـكاش » (تلو) وهي مرسومة على لوح من الطين طوله ١٢ر٧ سنتمتراً وعرضه ١٠ر٨ سنتمتراً ، وقد دون تاريخ رسم الخارطة على ظهر اللوح وهو يعـــود الى سلالة أور الثالثة أيضاً الملك أبي ــ سن (٢٠٢٩ ــ ٢٠٠٦ ق.م.) ، وتشتمل هذه الخارطة على قطعة أرض زراعية تبلغ مساحتها ٦٤٠ «ايـكر» أي حوالي ٩٢٠ مشارة . وقد تم احتساب مساحة هذه القطعة على النحو الذي أشرنا إليه فى البحث عن حقل أوما المتقدم ، فقسمت المنطقة الى قطع بأشكال هندسية ذات أضلاع مستقيمة ودونت مساحة كل منها برقمين متقاربين مما يدل على أن هذه القطع مسحت من قبل مساحين اثنين ودونت نتائج ذرعاتهما عليها للتأكد من صحتها . وفى المرتسم الأعلى تشاهد أولاً الخارطة الأصلية ثم تحتها مخطط حسب الأبعاد المدونة على الخارطة الأصلية مع ترجمة الأرقام .



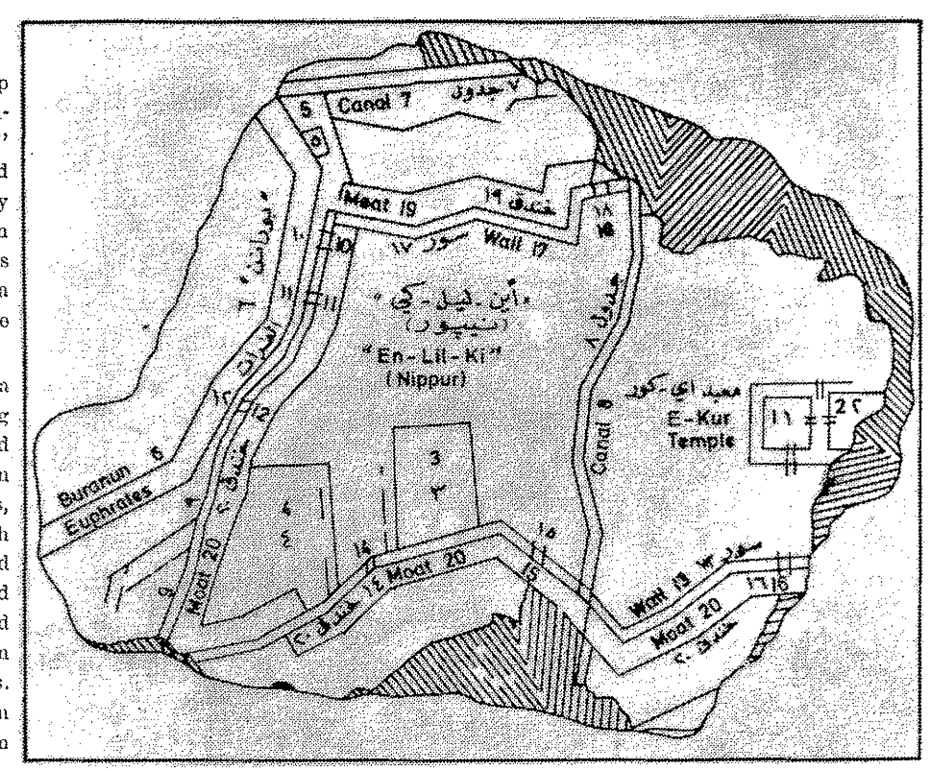
المرتسم رقم (١٨)

أقدم خارطة من خرائط المدن — خارطة مدينة نيبور السومرية

Plan of the Sumerian City of " Nippur "

This is the earliest city map known from ancient times containing the plan of "Nippur" and its enclosure. It was found among the ruins of the city of "Nippur" by excavators in one of the earliest expeditions and was used by them as a guide for conducting the excavations.

It is a large fragment of a clay tablet (18X21cms) dating from the first half of the 2nd millenium B. C. In the plan the positions of the temples, the buildings, the walls with their gates, the canals and rivers are marked and mentioned by names scribed in a mixture of Sumerian and Akkadian languages. Some names are written in the old Sumerian cuneiform signs.



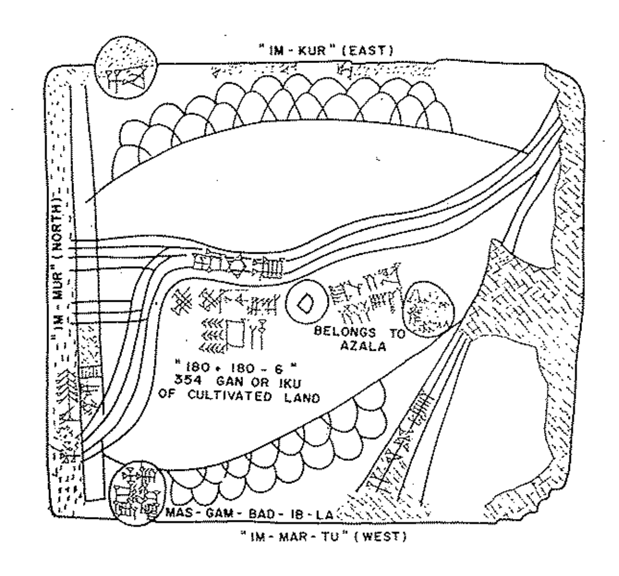
The name of the city of " Nippur " is written in the old Sumerian signs " En - Lil - ki ", i. e., the seat of the god " Enlil ", the head of the Sumerian Pantheon. The enclosures of the city are represented on the map with numbers as follows :-

1. " E-Kur ", which means (the Mountain House) and is the most renowned Sumerian temple of Enlil.
2. "Ke-Ur", a temple near the temple " E Kur " belonging to the gods of the Nether World.
3. A mansion named " Ani-gi-na" surrounded by a wall.
4. The public park of the city named "Kirishauru", which means: "The Garden in the heart of the City".
5. The building of the temple " Ashmakh " in the vicinity of the city.
6. The Euphrates River which constitutes the western edge of the city. It is called in the old Sumerian language (Buranun).
7. The canal " Nin-bir-du " forming the north western edge of the city.
8. The canal " Edsha-Uru " crossing the centre of the city.
9. The western city wall with its 3 gates (Nos. 10, 11 & 12).
13. The southern eastern wall with its 3 gates (Nos. 14, 15 & 16).
17. The north western wall with its one gate (No. 18).
19. The moat adjoining the north western wall. It was called " Khreitem " which means (moat) in the Akkadian language. It is believed that the map was drawn to scale, even though this was not clearly stated, most probably the Sumerian linear measure " Gar " which is equivalent to 12 cubits (about 20 feet) was used. So the number 30 given for the width of the mansion " Ani-gi-na " means 600 feet and the number 4 given for the width of the canal Edsha-Uru means 80 feet. (See : H. V. Hilprecht, " Explorations in Bible Lands ", 1903, p. 519; C. S. Fisher, " Excavations at Nippur ", 1903, p. 12, Plate I : S. N. Kramer, " From the Tablets of Sumer "; E. Chiera, " They Wrote on Clay).

المرتسم رقم (١٩)

أقدم خارطة طوبوغرافية من العصور القديمة

Earliest Topographical Map Known From the Ancients



هذه أقدم خارطة طوبوغرافية معروفة من العصور القديمة وضعت على لوح من الطين لتعيين موضع مقاطعة معينة في جوار كركوك بالنسبة الى المناطق المجاورة ، عثر عليها في التلول المعروفة باسم « يورغان تبه » (مدينة نوزي القديمة) الواقعة على بعد حوالي ثمانية أميال من جنوب شرقي كركوك . ومدينة (نوزي) هذه ازدهرت في العهد الأكدي وكانت تعرف آنذاك باسم « كاسور » ثم استولى عليها الحوريون وهم أقوام موطنهم الاصلي « اورارتو » (ارمينية) فأسسوا مركزا مهما في منتصف الالف الثاني قبل الميلاد في شمال العراق وفي منطقة البليخ والخابور في سورية وقد اندمجوا بالشعب الأكدي السامي وغيروا اسم بلدة « كاسور » الى (نوزي) .

The earliest topographical map known to us from the ancients is that found in the ruins of the ancient city of "Nuzi", the name of the Hurrian provincial centre, wich dates back to the second millenium B. C. The mound of "Nuzi" is situated at a distance of about 13 kilometres southwest of Kirkuk, and the map was found among business documents, having been apparently prepared to indicate the location of some estate. In the centre of the map is a circle, to the left of which is inscribed: "180 + 180 – 6 (354) Gan or Iku of cultivated land" (slightly more than 300 acres). To the right of the circle is another inscription reading as follows : "belongs to Azala". Other circles on the map indicate cities and they are written within the circles. Only one of them in the lower left corner of the tablet is preserved, viz, "mas-gam-bad-ib-la".

A striking feature of this map is that it indicates the west at the lower side of the map bearing the signs "im-mar-tu". The opposite side is inscribed "im-kur" (east) and on the left side the legend "im-mur" is written, viz. (north). Two mountain ranges are very clear, one in the west and the other in the east. The southern edge of the map has lost its upper surface, so no inscription is preserved here Running through the centre of the map from north to south, is a canal inscribed "ra-hi-um", viz, "the fructifier" taking off by three heads from a main river marked with broken lines showing the source of water supply which in my opinion could not be other than the Lesser Zab River. Some distance al ng the course of the canal a branch takes off running from east to west, this being an irrigation channel leading to the agricultural lands. Providing three heads for the canal was a very familiar practice by the ancients due to the lack of regulating structure of masonry, this being a necessary measure for avoiding the silting of the canal head. Each of these heads is used in one season. The upper one is usually used in the low water season while the lower one is used in flood season. Another spare head is usually dug to be used during the periods in which the silt is being removed from the bed of the canal head The opinion held by some archaelogists that the canal empties into the large river by three channels can hardly be admitted by any irrigation expert. The suggestion advocated by some authors that the river on the map is the Euphrates River is certainly out of the question. The tablet on which the map is scribed is preserved in the Semitic Museum of Harvard University. (Bulletin of the American Schools of Oriental Research No. 42, pp 7 ff. and No. 48, 2 ff. ; Harvard Semitic Series, "Excavations at Nuzi". By T. J. Meek, p XVII).

الجنوب حيث مصب نهر الفرات • وكان للجبال مغزى ديني في معتقدات سكان وادي الرافدين القدامى فهي باعتقادهم توازن الارض وتمسكها عن الميلان وفيها تكمن وسائل الحياة التي تبعث الخضرة وتحمل الماء في الاودية وترسل الامطار • وقد رسمت سبعة مثلثات خارج المحيط السماوي على أطراف الاوقيانوس دونت عليها مسافات تشير الى بعد بعضها عن بعض • والراجح ان هذه المثلثات كانت في عقيدة أهل بابل القدماء الجزائر الكونية المحيطة بالعالم وهي مقر الالهة • والمهم في هذه المثلثات انه كتب عند المثلث الشمالي « لا ترى الشمس هنا » ، وهذا يدل دلالة واضحة على ان البابليين كانوا على معرفة بطبيعة القطب الشمالي والظلام الذي يسوده • واللوح الذي رسمت عليه هذه الخارطة محفوظ في خزانة المتحف البريطاني (انظر المرتسم رقم ٢٠)[٦٢] •

٤٠ ـ أقدم تقويم زراعي من العصر السومري البابلي :

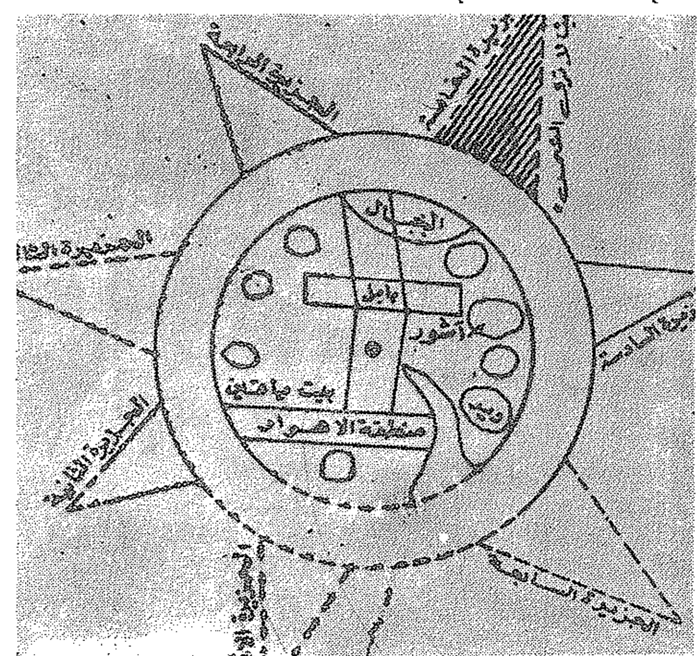
وأقدم المعلومات عن طرق الزراعة والارواء التي كان يمارسها سكان العراق القدامى وصلت الينا موضحة في تقويم سومري عثر عليه في خرائب مدينة نيبور • ومن الغريب المدهش ان الاوصاف التي ينطوي عليها هذا التقويم تدل على ان طرق الري والزراعة التي كانت تمارس في تلك الازمان لا تختلف في شيء عن طرق الري والزراعة التي يطبقها الفلاح العراقي في الوقت الحاضر • ويشتمل هذا التقويم على نصائح وارشادات يوجهها احد المزارعين الى ولده حول طريقة ادارة شؤون مزرعته وطريقة اعداد الارض وانجاز عملية الحرث وتنظيم الري في حقله كي يحصل على أجود منتوج وأوفر محصول • وقد دونت هذه الوثيقة التي يرقى تاريخها الى ما قبل أكثر من اربعة الاف عام على رقيم من الطين يتكون من ١٠٨ أسطر بالخط المسماري باللغة السومرية ، وهي تعد أقدم تقويم معروف في تاريخ الحضارة عن الاساليب للري والزراعة المتبعة في تلك الازمنة القديمة • ومما لا شك فيه ان هذه القواعد في تنظيم الري والزراعة في الحقول كانت معروفة لدى السومريين الاوائل قبل ذلك العهد وظلت معروفة لدى البابليين في العصور التي تلت حيث عثر على قطع من نفس هذه الموسوعة نقلها البابليون عن النص السومري ، ومن المرجح ان الساميين الاوائل قد سبقوا السومريين في معرفة هذه القواعد وقد طبقوها في زراعة حقولهم في منطقة أكد (انظر التصوير رقم ٩١) •

وتبدأ هذه الوثيقة بالمقدمة في السطر الاول منها القائل : « في قديم الزمان زود فلاح ابنه بهذه الارشادات وتنتهي بالقول ان المبادىء الزراعية الواردة فيها ليست من عند الفلاح وانما هي مبادىء الاله « ننورتا » الاله الحقيقي وابن كبير الالهة السومرية « انليل » • وتتناول السطور الستة التي تلي المقدمة التمهيد للسقية الصيفية الاولى واعداد الارض بترطيبها ليسهل العمل فيها وهذه على ما يظهر من النص تقع في حزيران وتموز ، من هذا يستدل على ان المقصود هنا المزروعات الشتوية المتكونة من القمح والشعير وان الارض كانت بائرة خلال السنة السابقة عملا بنظام التبوير ، أي زراعة النير والنير المعمول بها في الوقت الحاضر •

وتبدأ الارشادات بالنصائح المتعلقة بطريقة السقي كبذل العناية لئلا يرتفع الماء ارتفاعا كبيرا فوق الحقل والمحافظة على الارض المسقية من دوس البقر وغير ذلك بعد ان يفيض الماء وكذلك مراقبة

المرتسم رقم (٢٠) — اقدم خارطة للعالم كما رسمها اهل الرافدين القدامى (انظر الفقرة ٣٩ و) .

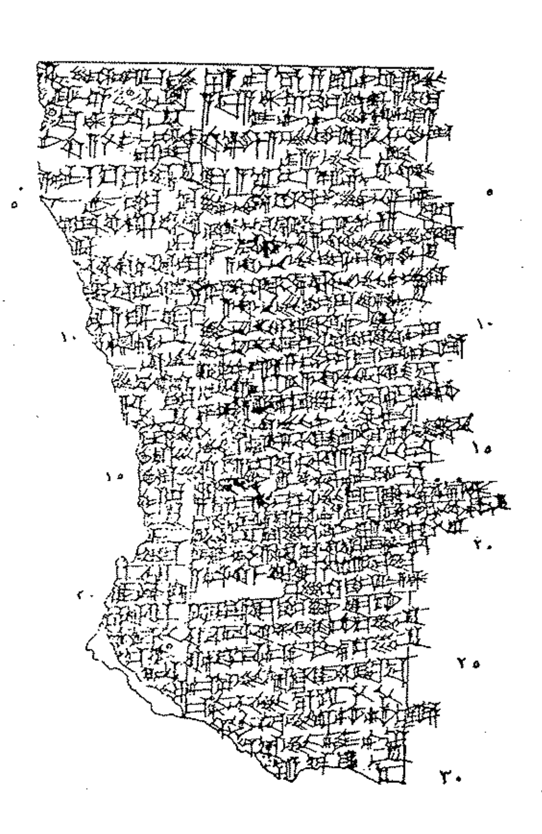
كان الرأي السائد في تلك العصور السحيقة ان الأرض سهل فسيح على شكل دائرة أو جزيرة متسعة يحيط بها بحر سماوي وان على اطرافه بلاداً تسكنها الآلهة ، وغلب على الناس زعم أن الارض طافية على المياه . وهذه أقدم خارطة معروفة للعالم تعود الى القرن السادس قبل الميلاد رسمت على هذا الشكل تمثل حملة سركون الاكدي (٢٣٥٠ ق . م .) على بلاد آسيا الصغرى . ويشاهد في الخارطة نهر الفرات وقد رسمت عليه مدينة بابل في الوسط والجبال في الشمال والاهوار في الجنوب كما اشر على الخارطة موقع آشور وغيره من المواقع .



The early conception of the universe figured a disk-shaped earth floating in a limitless heavenly sea, on the edges of which lived the human race and imaginary phantoms, with the vault of Heaven arching above it, and the firmament over all. It was universally held that the earth floated on water. This notion was accepted by the Greeks and Romans, and through the Scriptures it was carried over to the Christian Europe of the Middle Ages.

The earliest world map now existing is that which has survived from the early Babylonian period. It delineates the world in the form mentioned above. It was drawn on a clay tablet dating from the Persian period and believed to be a copy of an older original. The written text relates to the exploits of Sargon of Akkad (24th Cent. B C.) and the map is intended to illustrate the scenes of his campaigns. The world as pictured on the map was a flat round disk encircled by the early ocean called "the Bitter River" and the "Heavenly Ocean". The River Euphrates flows lengthwise through the midst of the earth and the city of Babylon "Babilu" is indicated by a ractangle placed across the river just above the middle of the map. On the right side of the map is marked "Assur" [Assyria] within a circle. The positions of other cities and districts mostly with names written on them are indicated by circles. Of these "Deri" [the present Arabic name for convent] located below 'Assur" is labelled by name. "Bit-la kinu", the southern district of Babylonia, is depicted by a rectangular projection near the Arabian Gulf on the edge of a region labelled as full of canals and marshes. In the northern side of the circular plain is marked a district, labelled as mountainous.

Beyond the circular ocean, labelled as "marratum", the Gulf, are drawn a series of seven triangles with their bases resting on the outer edge of the ocean. Each of these is labelled "nagu" [region] or district. The Babylonians vaguely imagined of other lands beyond the "Heavenly Ocean" where the Pantheon lived. The fifth region bears the significant note : "where the sun is not seen". It lies in the north which denotes that the Babylonians knew of the polar night. In the fourth region semi-obscurity reigns; in the sixth dwells a hostile horned bull. In the seventh region the sun rises. For a long time this cosmos was the accepted idea of the world, but every nation saw it with a different centre. [Cuneiform Texts from Babylonian Tablets in the British Museum, part XXII, Pl. 48, p. 12; "Babylon die Heilige Stadt, Berlin und Leipzig, 1931, pp. 20 24; "Yale Oriental Series - Researches, Vol. XVI, 1930, pp. 273-276].



الصورة رقم (٩١)

اقـــدم تقويم زراعي في تاريخ الحضارة دون على رقيم من الطين بالخط المسماري وباللغة السومرية ويحتوي على تعليمات عن اصـــول الزراعة والري خطوة خطوة منذ بداية البذر الى زمن الحصاد (نسخة يدوية عن صموئيل كريمر « من الواح سومر ») .

This Sumerian clay tablet represents the earliest known account of agricultural & irrigation techniques written in cuneiform script. (from " The Tablets of Sumer ", by S.N. Kramer, 1956).

اخاديد السواقي لئلا يفيض الماء من خلالها ، ثم يلي ذلك عملية تطهير الحقل من الحشائش وجذور النباتات المتروكة من موسم الحصاد السابق • وقد نصح الفلاح بان يقوم بها خلال شهري تموز وآب بعد ان تكون الارض قد لانت بالسقية الاولى على أن يتم ذلك بفؤوس حادة • ويتحتم قلع أعقاب النباتات القديمة باليد وحزمها حزماً كما يتحتم ازالة الحفر والثقوب الضيقة بالمسلفة وتسوية الارض وتقسيمها الى اجزاء متساوية ، كما يلزم احاطـــة الحقل بالسياج من جوانبه الاربعة •

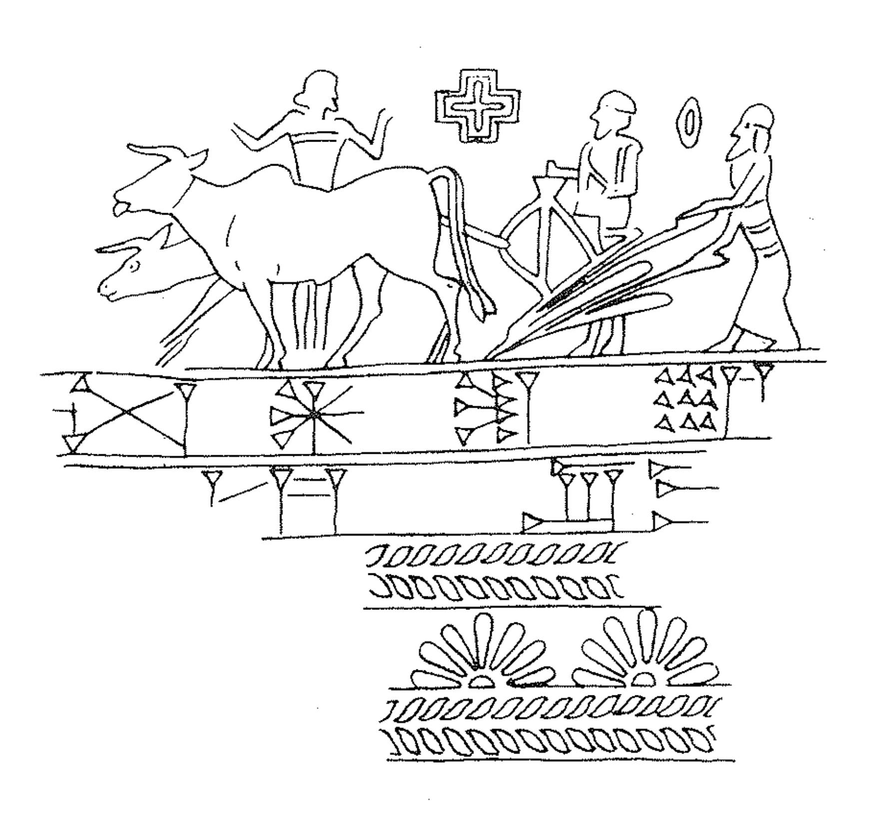
ثم يأتي ارشاد الفلاح بان يتهيأ للاعداد الى عمليـــة الحرث فيجعل أفراد أسرته والمساعدين الاجراء يهيئون مقدما الالات والادوات الضرورية والسلال والاوعية الى غير ذلك • ونصح ان يكون لديه ثور اضافي للمحراث ثم قبل ان يبدأ بالحرث يجب عليه ان يغرق الارض ويكسرها بالفأس مرة وبالرص مرة ثانية ، ويجب استعمال المدق اذا اقتضى الامر لسحق كسر المدر ، كما أرشد ايضا بان يشرف على عماله الاجراء ليضمن عدم تهاونهم في انجاز عملهم •

أ ـ آلة للحرث والبذر في آن واحد :

وكانت عمليتا الحرث والبذر تجريان معاً في آن واحد بمحراث خاص اخترعه السومريون تشاهد صورته منقوشة على ختم اسطواني عثر عليه في خرائب (نيبور) ويرجع تاريخه الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد • والمحراث ، هو عبارة عن آلة حارثة تشبه المحراث المستعمل في الوقت الحاضر يجرهـــا ثـوران يمشي سـائقها الى جوارهما ، ووراء الآلة رجل اخر يمسكها بمقبضين

بكلتا يديه • وفي الألة رأس دقيق جدا عند طرفهاهو أشبه بالسن المدبب تحفر بواسطته الاخاديد التي يحدثها المحراث • وفوق سن المحراث ثبتتانبوبة عمودية مسندة من الجانبين ينتهي اعلاهـا بقمع ، وكانت مهمة رجل ثالث يسير الى جانبالرجل الذي يقود الآلة القاء الحبوب بالقمع من غرارة للحبوب معلقة في كتفيه فتنزل الحبوب منالقمع الى الانبوبة ومنها الى الاخاديد التي يحدثها المحراث (انظر التصوير رقم ٩٢) •

وقد ارشد الفلاح بان يحرث ثمانية خطوطاو أخاديد في كل شقة مقدارها عشرون قدمـا تقريبا ، كمـا نصح بان يجعل البذور تنزل فيخطوط الحرث الى أعماق متساوية وان يراقب من ينثر البذور بحيث يجعلها تتخلل الحرث بعمقأصبعين بصورة منتظمة • واذا لم يتغلغل البذور في الارض على الوجه الصحيح فعليه ان يبـدلسكة المحراث أو كمـا ورد في النص (لسـان المحراث) ، ثم عليـه ان يحرث بعد الخطوطالمستقيمة خطوطا مائلة ثم خطوطا مستقيمة • وبعد نثر البذور ينبغي ازالـة المدر (حجارة الطينالصلبة) من خطوط الحرث لئلا يعوق وجودها انبات الحبوب • ويستمر الخبير في ارشاداتهبقوله : في اليوم الذي تنثر فيه البذور على الارض يلزم الفلاح ان يقدم الصلاة الى الالهه« نن كلم »الخاصة بجرذان الحقل وحشراته وديدانه ، لئلا تضر هذه الحشرات الغلة النامية ، كما ينبغي عليهان يطرد الطيور •



الصورة رقم (٩٢)

مشهد للحراثة تظهر فيه آلة حارثة باذرة نقشت على ختم اسطواني يرجع الى ماقبل حوالي أربعة آلاف سنة عثر عليه في مدينة « نيبور » السومرية

Reconstruction of Ploughing Scene from Cylinder Seal Impression on " Nippur " Tablet showing Seeder Plough dating back to about 4000 years ago (" The Story of Man. ,, By C. S. Coon, 1954)

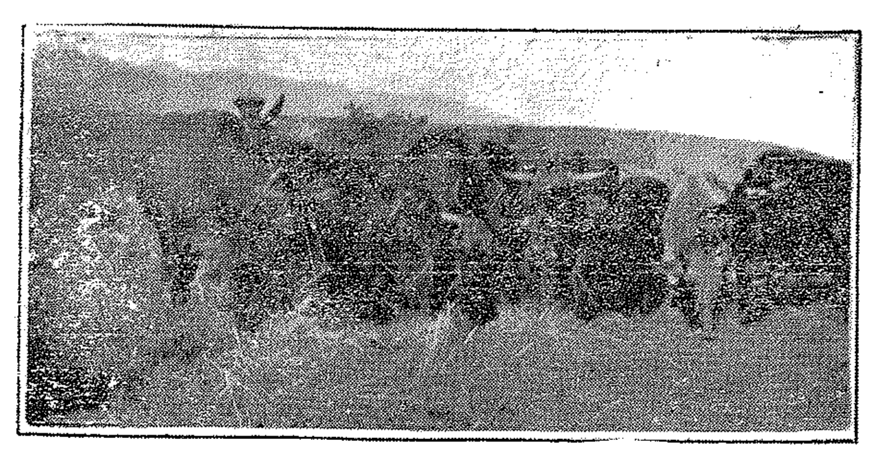
ب ـ طريقة الارواء ومواقيتها :

ومتى نما الشعير نموا كافيا بحيث يملأخطوط الحرث فعلى الفلاح ان يرويه واذا تكاثف الزرع في نموه وملأ الحقل وصار بهيئة (الحصيرفي وسط السفينة) فعليه ان يسقيه مرة اخرى ، ومرة ثالثة يجب ان يسقي الغلة واذا لوحظ احمرار في الزرع المسقيفان ذلك دلالة على وجود الآفة الزراعية المخيفة التي تسمى (سمانو) المهلكة للزرع والغلة . واذا تحسن حال الزرع فعليه ان يرويه مرة رابعة وبذلك يضمن الحصول على زيادةفي الانتاج بمقدار عشرة بالمائة .

جـ ـ الحصاد والدراسة :

اما عملية دراســـة الاكداس التي تعقبالحصاد فورافكانت تنجز بواسطة مزلج او زحافة تجر فوق حزم سيقان الغلة المكدسة ثم تفتح الغلة بمفتاح تجره الثيران . وعندما تنسخ الحبوب من جراء تلامسها بالتراب يجب عندئذ ، وبعد القيامبنوع خاص من الصلاة ، ان تذرى بالمذاري ، ثم توضع على عيدان مسقوفة فتصبح عندئذ نقيهمن الاوساخ والتراب (انظر التصوير رقم ٩٥) .

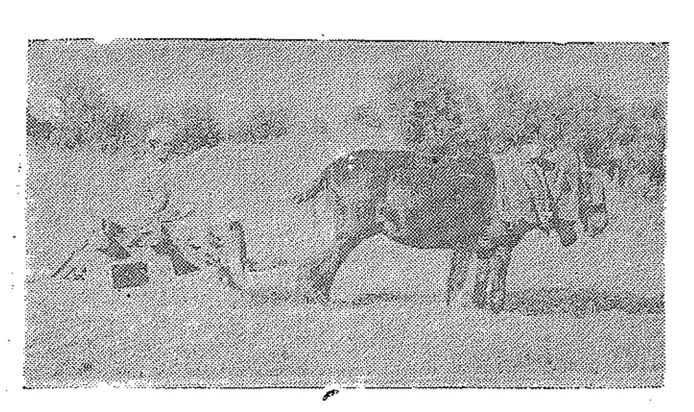
ولا شك فيان الطريقة البدائية التي لم يزليمارسها الزراع اليوم في حصد الغلة ودراستها وتذريتها كانت هي نفسها مستعملة في الازمنـةالقديمة وهي من ابتكار وتفكير تلك الاقـوام السالفة ، فطريقة الدراسة المستعملة اليوم بربطعدد من الحيوانات بعضها ببعض وجعلها تـدور فوق سيقان الغلة (التصوير رقم ٩٣) او طريقةاستعمال النورج الذي يسميه الاهلون (الجرجر) وهـــو مصنوع من الخشب وتجره الحيوانات(التصوير رقم ٩٤) هما طريقتان موروثتان عن سكان العراق القدامى بدون اي شك في ذلك ، كما ان طريقة ذرو الغلة بالمذراة الشوكية التي تستعمل اليوم في تذرية الغلة في الهواء لفصل الحبعن التبن هي من دون شك الطريقة نفسها التي كان يستعملها السومريون قبل اكثر من اربعة الافعام (انظر التصاوير ٩٣ و٩٤ و٩٥) .



الصورة رقم (٩٣)

دراسة اكداس الغلة باســـتخدام الحيوانات وذلك بربطها بعضها ببعض وجعلها تدور فوق سيقان الغلة وهذه الطريقة البدائية القديمة مازالت مستعملة حتى يومنا هذا

The Old Threshing System with Animals Treading on the Corn still in Use to-day



الصورة رقم (٩٤)

النورج ويسميه الاهلون « الجرجر » آلة بدائية مازالت تستعمل حتى يومنا هذا في دراسة اكداس الغلة وهي موروثة عن سكان العراق القدامى

This Apparatus called "Jarjar" used to-day for Threshing Corn is inherited from the Ancient Dwellers of Iraq

٤١ ـ اثر اختراع المحراث في التنمية الزراعية في وادي الرافدين :

وقد كان لاختراع المحراث اثر بـارز في التقدم الزراعي في تلـك الازمان فقد اتخذه السومريون شعارا من شعاراتهم المقدسة المقرونة بالالهة ، اما عملية الحراثة فقد مورست ، أول ما مورست ، باستخدام الانسان القديم ساق الشجرة لحرث الارض ، ثم تطورت العملية باستعمال الشفرات المنجلية وقد عثر على مثل هذه الشفرات في (كريم شاهر) في منطقة جمجمال وهي تعود الى سنة ٩٠٠٠ الى ٧٠٠٠ ق.م. كما وجدت مثل هذه الشفرات في (جرمو) يعود تاريخها الى سنة ٦٠٠٠ الى ٥٠٠٠ ق.م. وفي طبقـات (تـل حسونة)[٦٥] ظهرت المعازق المصنوعة من حجر الصوان . وفي عصر العبيد استخدمت المناجل المصنوعة من الطين المشوي في حصد المحصولات الزراعية وقطعها ، وقد أعقب هذه المرحلة استعمال أناس عصر العبيـد للصفر (النحاس الاحمر) والفؤوس والقدم (جمع القدوم) . ثـم ظهر المحراث مقرونا بالالهة التي أوحت باختراعه لمنفعة البشر واستعمل لاول مرة في العراق في أواخر العصـر الحجري ، ويرى بعضهم ان استعمال المحراث يرجع الى الالف الخامسة قبل الميلاد وقد يرجع الى اقدم من ذلك . كما انه رافق ذلـك أهتداء الانسان القـديم الى تدجـين الحيوان والاستعانة به في سحبه وفي جر العربات ، كالثور والبقرة والحمار . وقد اعتبر المؤرخون حادثـة تدجين الحيوان واستخدام طاقته في الانتـاج الزراعي حدثا تاريخيا له أهميته في تقدم الحضارة يعادل اختراع العجلة . وقد تميز المحراث بكونه أحد الشعارات الدينية التي ترمز الى قدسيتها عند الساميين والسومريين والاقوام الذين جاؤا في أعقابهم . وكانت تجري في بدايـة موسـم الحراثة من كل سنة مراسيم دينية تقليدية يقـوم بها كهنة المعابد والحكام ، وقد كانت هذه العادة متبعة حتى قبل مائة سنة في بعض البلدان الشرقية ومنها الصين وذلك التماسا من الالهة بان يجعلوا الموسم الزراعي الجديد مقرونا بالخير والبركة .

أعمال ذرو الغلة ـ قديماً وحديثاً

Winnowing - Past and Present

الصورة رقم (٩٥) ـ اعمال ذرو الغلة ـ قديما وحديثا (انظر الفقرة ٤٠ج).



فلاحة سومرية تحمل بيدها مذراة شوكية نقشت على لوح رخامي يرجع الى ما قبل ٤٥٠٠ سنة عثر عليه بين اطلال مدينة « نبپور » (نفر) .

A Sumerian Women-peasant holding a winnowing pitch - fork as being depicted on a marble slab dating from the middle of the third millenium B, C. discovered at " Nippur ".



فلاح عراقي عصري يحمل بيده نفس المذراة السومرية وهو يقوم بذرو الغلة بنفس الطريقة القديمة المستعملة في العهد السومري .

A present Iraqi peasant using the same Sumerian winnowing pitchfork and applying the same Sumerian method in separating the seeds from the straw.

وقد أرجع سكان العراق الفضل في اختراع المحراث الى اله الزرع « أبو » او « تموز » (انظر التصوير رقم ٢٥ من الفصل الثالث) وارجع المصريون القدماء الفضل في اختراعه الى احد الهتهم « زيوس » أبي الالهة والرومان الى « دانبوس » .

وكان اول نقش يشير الى استعمال السومريين الاوائل للمحراث هو الاثر الذي عثر عليه في مقبرة أور الملكية والذي يرقى الى العصور السومرية القديمة . وقد ظهر شعار المحراث ومعه سنابل الحنطة او الشعير في عدة مشاهد دينية نقشت على الاختام السومرية والاكدية . ففي التصوير رقم (٩٦) نقش يظهر فيه اله ملتح جالسا بيده سنبلتين من الغلة ونبع من كتفيه سنابل



الصورة رقم (٩٦)

منظر لاله ملتح تنبع من كتفيه سنابل الحنطة والشعير وبيده سنبلتان اخريان وثلاثة من الكهنة يجرون الطقوس الدينية الخاصة بتقديم المحراث والسنابل الى الاله .

A scene of a seated god with three bearded figures presenting a plough and ears of wheat to him (Ward, op. cit., Fig. 374, p. 133).

أخرى ، ويشاهد ثلاثة اشخاص ملتحين يتوجهون صوب الاله أولهم ولعله الكاهن يضع يديه في يد الاله ويقف وراءه الشخص الثاني حاملا المحراث المقدس لتقديمه الى الاله . اما الشخص الثالث فيقف وراء حامل المحراث وهو يحمل بكلتا يديه سنابل الحنطة كما ينبع من لباسه من كل الجوانب سنابل أخرى ، وتشاهد في هذه الصورة بكل وضوح يدتا المحراث والمان (سكة المحراث) مربوطة بالنير . وفي (التصوير ٩٧) نقش اخر يشاهد فيه اله ملتح أيضا جالسا وقد مسك المحراث بيده ، وهناك شخصان ملتحيان يتوجهان صوب الاله ، الاول يقود الثاني الذي يحمل معه ماعزا ليقدمه قربانا للاله وتشاهد بين الشخصين نجمة تحتها خنجر وصولجان وفأس ، كما تشاهد خلف الاله اشارة الجبال والى جانبها ماعز جبلي فوقه كتابة تصويرية هي اقدم كتابة تصويرية معروفة من تلك الازمان القديمة . وفي نقش اخر يشاهد الاله جالسا وبيده الصولجان واحد الكهنة يحمل المحراث ليقدمه الى الاله . وهناك كاهن اخر يقود متعبدا معه ماعز ليقدمه قربانا للاله (انظر التصوير رقم ٩٨) وعلى ختم جميل من حجر اللازورد نقشت صورة الاله « شماش » (اله الشمس) معبود مدينتي « لارسا » و « سيبار » وهو يحمل بيده اليمنى المحراث وامامه احد المتعبدين يصب السكيبة المقدسة في اناء ويقف خلفه احد الكهنة والى جانبه كتابة تصويرية قديمة (انظر التصوير رقم ٩٩) .



الصورة رقم (٩٧)

منظر لاله ملتح يمسك بيده المحراث واحد المتعبدين يقدم ماعزاً كقربان للاله

A scene of a bearded god holding a plough with two personages the first leading the second who brings a goat as an offering (Ward, op. cit., Fig 377, p. 134; Frankfort, op. cit., Pl. XXd).



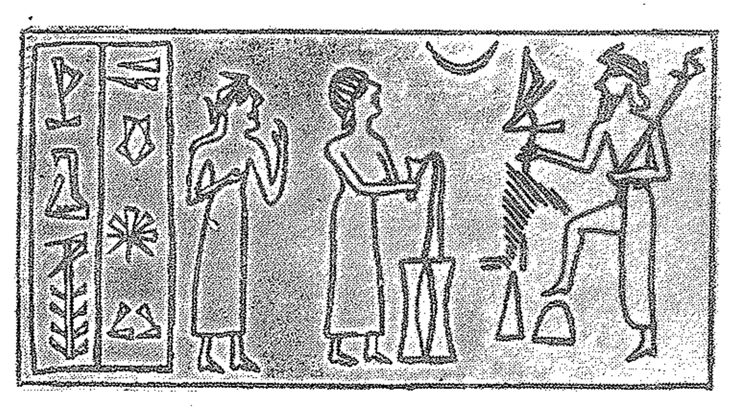
الصورة رقم (٩٨)

منظر لاحد الالهة قد جلس وبيد الصولجان واحد الكهنة يحمل المحراث ليقدمه الى الاله . وهناك كاهن آخر يقود متعبداً حاملاً معه ماعزاً ليقدمه قرباناً للاله

This is a scene of a divine attendant presenting the plough to the seated god who holds a scepter while a second attendant leads a worshipper with a goat for Sacrifice (Ward, op. cit., Fig 375, p. 133).

ومن النقوش التي ترمز الى قدسية المحراث نقش تشاهد فيه الهة انثى جالسة تحمل بيدها ثلاث سنابل من الحنطة وامامها مذبح او محراب من النوع القديم ، وهناك شخص يقود المحراث وكأنه قائم بعملية الحراثة عائدا الى عمله بعد ان ترك على المحراب الذي امام الالهة دجاجة وبعض الطعام وخلف الالهة كتابة تصويرية قديمة ايضا (انظر التصوير رقم ١٠٠) .

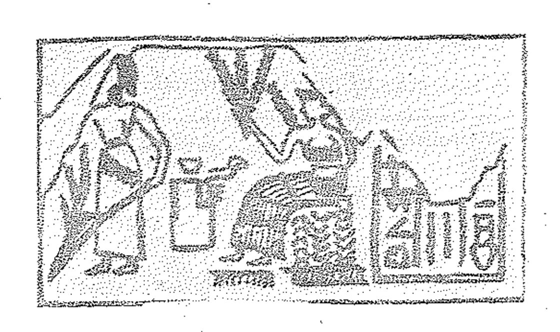
وهناك نقوش اخرى رسمت عليها عملية الحراثة باستخدام الحيوان في سحب المحراث ، ومن أقدم هذه النقوش منظر لطريقة الحراثة يقوم بها ثلاثة أشخاص وثور واحد يجر المحراث ، ويشاهد في النقش احد الاشخاص يمسك يدتي المحراث بيديه وخلفه كتابة تصويرية قديمة ، في حين ان الثاني يدوس بعصاه على المان (سكة المحراث) لتثبيتها في الاخاديد (خطوط الحراثة)



الصورة رقم (٩٩)

ختم جميل من حجر اللازورد نقشت عليه صورة الاله شماش (اله الشمس) وهو يحمل بيده اليمنى المحراث وامامه أحد المتعبدين يصب السكيبة المقدسة في إناءين ويقف خلفه أحد الكهنة .

This scene represents the sun-god " Shamash " holding a plough and a worshipper with an attendant behind him pouring a libation on two altars (Ward, op. cit., Fig. 379, p. 134).

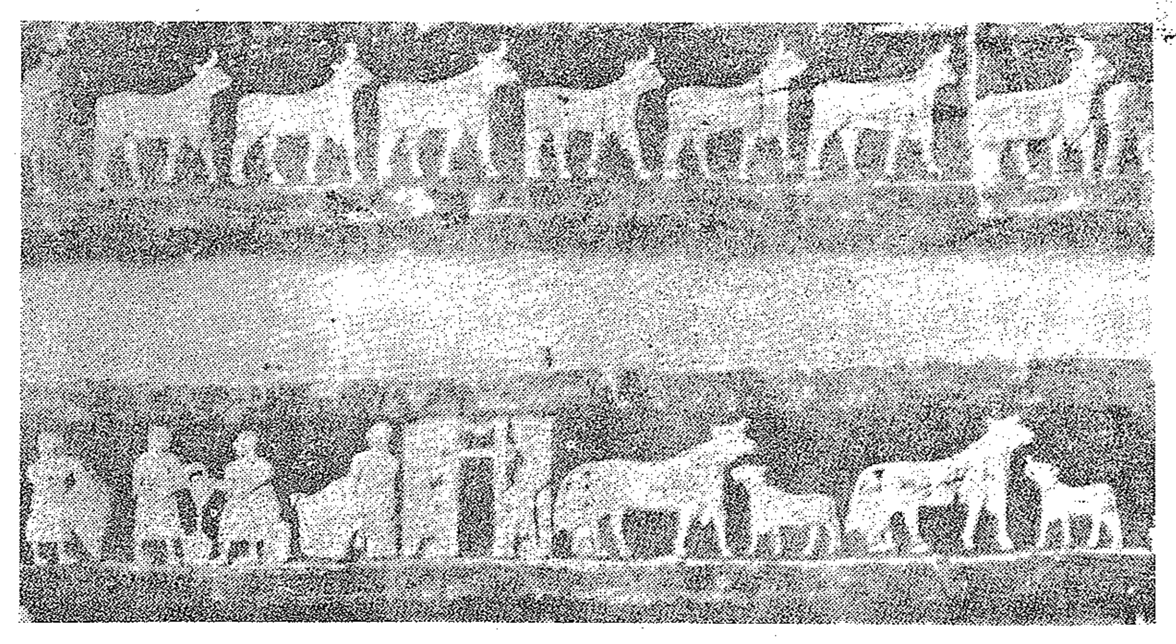


الصورة رقم (١٠٠)

منظر لالهة أنثى جالسه وهي تحمل بيدها ثلاث سنابل من الحنطة وامامها شخص يقود المحراث

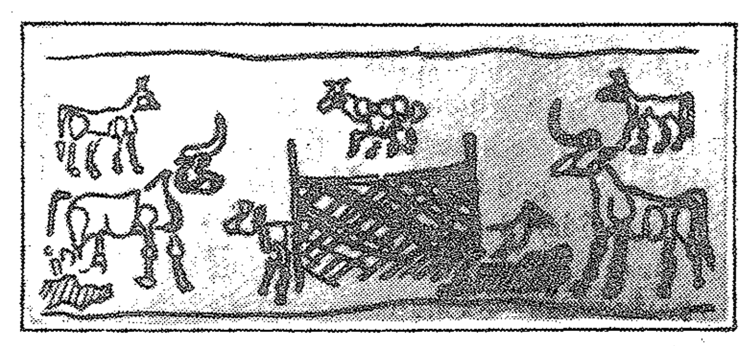
The deity in this scene is a goddess holding 3 stalks of wheat in her hand, and an attendant holding the plough downward as if ploughing (Ward, op. cit., Fig. 376, p. 133)

اما الثالث فبيده سوط يحث به الحيوان لمواصلةسحبه المحراث دو ن توقف ٠ ويشاهد فوق هذا المنظر بعض الطيور يحومون حسول الحارثين ليلقطوا بعض الحبوب المبذورة (انظر التصوير رقم ١٠١) ، ومن النقوش لعملية الحراثة نقش يشاهد فيه زوجان من الثيران يسيران الواحد خلف الاخر في سحب المحراث ، ويقوم بهذه العملية اربعة اشخاص احدهم يمسك بيديه يدتي المحراث والثاني يدوس على سكة المحراث في حين ان الثالث والرابع يحثان الثيران بالسوط على السير (انظر التصوير رقم ١٠٢) ٠ وفي نقش اخر يشاهد شخص واحد يقوم بعملية الحراثة باستخدام حيوان واحد وقد مسك الشخص بالمحراث بيد واحدة ويسوق الحيوان باليد الثانية ٠ وفي النقش شعار للقمر والنجوم (انظر التصوير رقم ١٠٣) ٠



التصوير رقم (١٠٥)

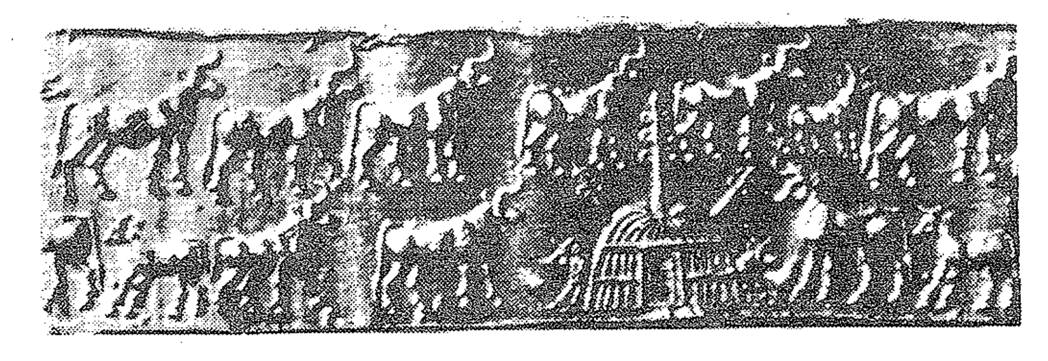
نقش يمثل أقدم معمل للالبان من العهد السومري عثر عليه في تل العبيد



التصوير رقم (١٠٦)

اقدم نقش لحظيرة أبقار من العصور السومرية الخالية

Oldest imprint representing a byre dating from the Uruk and Jemdat Nasr periods (3800- 3000 B. C.) (Ward, op. cit., Fig. 373, p. 133).



التصوير رقم (١٠٧)

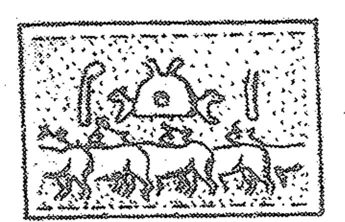
منظر لاسراب البقر المقدسة الى جانب الزريبه يعود الى منتصف الالف الرابعة قبل الميلاد

A representation of the Sacred Temple herd with a doomed byre dating back to the earlier half of the Jamdat Nasir period about the middle of the 4th millenium B.C. (Frankfort, op. cit., Pl VIa)

من شبك الاغصان ايضا وتشاهد في أعلى سقف الزريبة رموز لا يعرف ما كان يراد بها من معنى (انظر التصوير رقم ١٠٧) ٠

وقد ظهرت على نقوش اخرى من تلك العصور الواغلة في القدم قطعان من الغنم المقدسة التي تعود الى المعابد وهي مقرونة بشعار الآلهة الام الذي يظهر في اكثر الاحيان فوق سقف الحظيرة ٠ ففي نقش صغير يعود الى اوائل الالف الرابعة قبل الميلاد (عصر الوركاء في ما قبل التاريخ) منظر للقطيع المقدس والحظيرة التي يشاهد فيها حملان صغيران يخرجان منها (انظر التصوير رقم ١٠٨) وفي التصوير رقم (١٠٩) نقش جميل يعود الى عصر الوركاء في ما قبل التاريخ

التصوير رقم (١٠٨)



منظر لقطيع الغنم المقدسة الذي يعود الى المعابد ظهر على نقش سومري قديم يرجع الى اوائل الالف الرابعة قبل الميلاد

An im:ression of the Sacred Temple Herd represented with the pen or byre dating back to near the beginning of the 4th Millenium B.C. (Frankfort, op. cit., Text-fig 5, pp. 20-21).



Fig. 109 — التصوير رقم ١٠٩

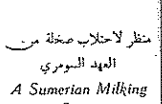
منظر لاله ملتح يمسك بيده المحراث واحد المتعبدين يقدم ماعزاً كقربان للاله

A scene of a bearded god holding a plough with two personages the first leading the second who brings a goat as an offering (Ward, op. cit., Fig 377, p. 134; Frankfort, op. cit., Pl. XXd).

التصوير رقم (١١٠)

احتلاب الماشية - قديماً وحديثاً

Milking Cattle - Past and Present



منظر لاحتلاب صخلة من العهد السومري

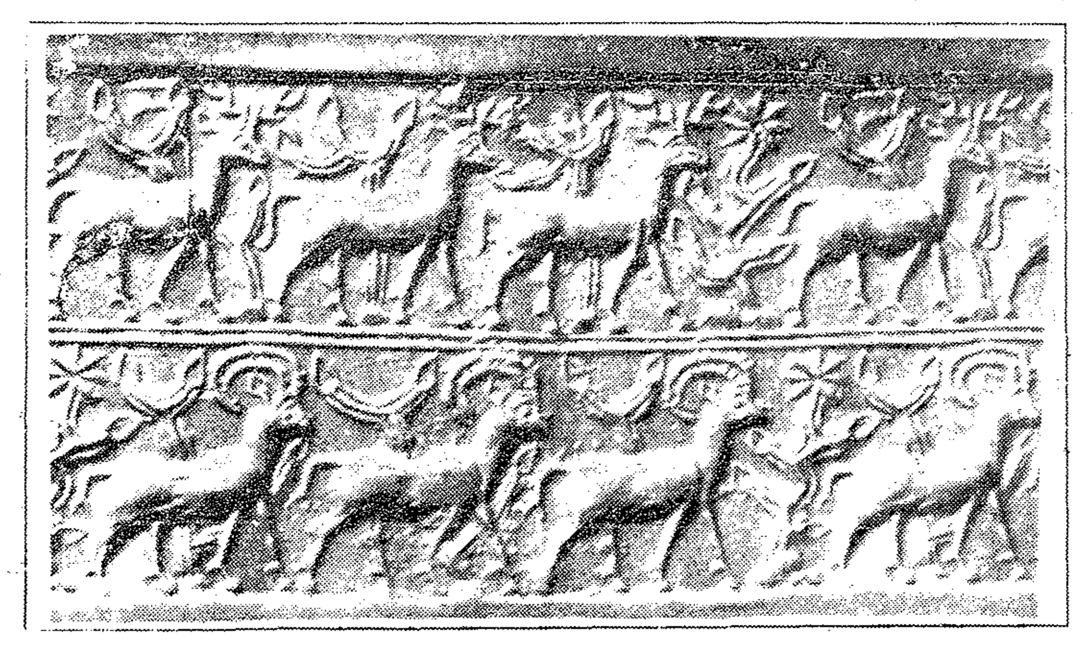
A Sumerian Milking Scene



يشاهد في هذا النقش الذي يعود الى عهد فجر السلالات (الالف الثالث قبل الميلاد) شخصان أحدهما ماسك برأس صخلة والآخر قائم يحلبها وصاحب المزرعة جالس قرب شجرة وهو يشرب الحليب من كوب بيده . ويشاهد كلب الى جانبه وهو يتسلق عليه ويلحس يديه . ويظهر نبات القصب على جانبي النقش وصف من الاغنام في أعلاه .

This is a Sumerian milking scene belonging to the Early Dynastic Period, one man holds a goat while another milks it, and the master, sitting near a tree, drinks the milk from a cup. A dog is seen jumping against the master and licks his hand lying on his knee. Plants of reed appear on both sides of the impression while a row of sheep are depicted on the top (vide : H. Frankfort, " Cylinder Seals ", Plate XVd, pp. 59, 79).

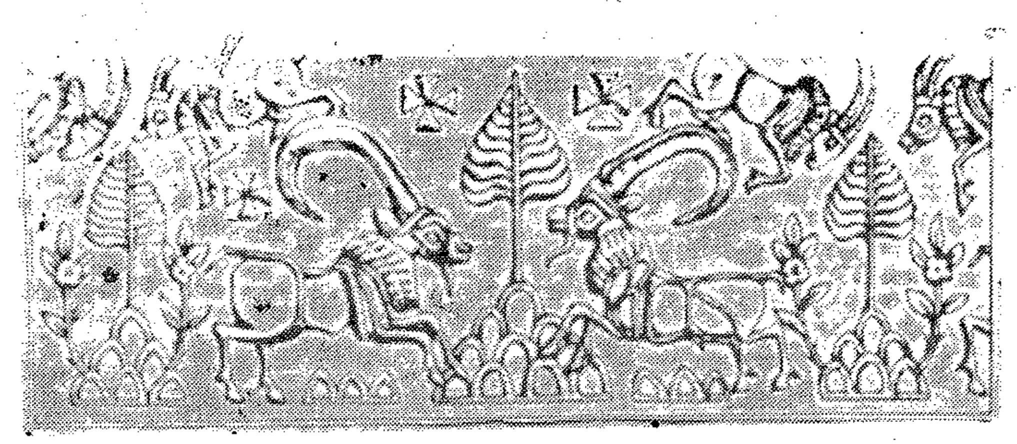
ايضا يمثل قطيعين من الغنم في صفين متناسقين يسوق كلا منهما راعيان احدهما في رأس القطيع والاخر في اخره وكل من الراعيين يحمل عصا بيده • ويتجسم في هذا النقش المستوى الفني الراقي حتى ليفوق ما تظهره عدسة التصوير الحديث • (وفي التصوير رقم ١١٠) نقش يعود الى فجر السلالات (الالف الثالثة قبل الميلاد) وفيه منظر لحلب الماشية بحيث يشاهد فيه شخصان احدهما يمسك برأس صخلة والاخر يقوم بحلبها وصاحب المزرعة جالس قرب شجرة يشرب الحليب من كوب بيده ، ويشاهد كلبه الى جانبه متسلقا اياه ولاحسا يديه • ويظهر نبات



التصوير رقم (١١١)

نقش من فجر السلالات أيضاً (الالف الثالثة قبل الميلاد) لصفين من الماعز مع بعض النباتات خلالهما

This composition of animals and plants is a double frieze of goats depicted in two files dating back to the Early Dynastic Period (Frankfort, op. cit., Pl. XIIIe).



التصوير رقم (١١٢)

نقش من عصر الوركاء (اوائل الالف الرابعة قبل الميلاد) لقطيع من الماعز في المناطق الجبلية ذات الغابات الكثيفة .

Imprint dating back to the Uruk Period (4th Millenium B.C.) represents a flock of wild goats in the mountainous forests of Iraq. (Frankfort, op. cit., Pl IVj).

القصب على جانبي النقش وصف من الاغنام في اعلاه ٠ وفي التصوير رقم ١١١ نقش جميل في غاية التناسق والابداع الفني لقطيعين من الماعز في صفين يتخللهما بعض النبات وهو تصميم يجمع بين الحيوان والنبات يرجع الى عصر فجر السلالات ايضا ٠ ويمثل التصوير رقم ١١٢ نقشا أقدم عهدا يعود الى عصر الوركاء في ما قبل التاريخ (أوائل الالف الرابعة قبل الميلاد) ظهر فيه قطيع من الماعز الوحشي يسرح في المناطق الجبلية ذات الغابات الكثيفة ، ومن عصر الوركاء ايضا نقش دقيق يشاهد فيه ثوران يسرحان في حقل من نبـات الذرة او الدخن (انظر التصوير رقم ١١٣) ٠

٤٣ ـ تقديس الساميين والسومريين للزراعة :

وكما كان الساميون والسومريون يقدسون مصدر الميـاه والماشية كذلك كانوا يقدسون الزراعة باعتبارها مصدر ازدهار البلاد وخصبها وهي من وحي الآلهة التي تهدف من خلق الزراعة بعث الحياة الطيبة للبشر ٠ لذلك كانت الهـة الخصب والزراعة « كولا » او « باو » مثل اله الماء « انكي » او « ايا » من اهم آلهة السومريين والساميين فكانت تنعت بالام العظمى وهي أم الاله « ايا » اله المياه العـذبة ، وهي التي زودت البشرية بقطعان الماشية وزروع الحقول فكانت توسم بالعجلة (بكسر العين) أي صغرى البقر باعتبارها حامية قطعان الماشـية ٠ لذلك كانت



التصوير رقم (١١٣)

نقش من عصر الوركاء أيضاً يشاهـد فيه ثوران يسرحان في حقل من نبات الذرة أو الدخن

Scene of a pasture where two oxen are Standing in the grain of maize or millet dating back to the archaic period (Ward, op cit., Fig.370, p. 132; Frankfort, op. cit. Pl. Vb).

القرابين من انواع ثمر اشجار الفاكهة والحيوانات تقدم الى الالهة « باو » بصفتها الهة الخصب ٠ وكان عيد رأس السنة الذي يحتفل به في كل عام والمسمى « زامكو » يكرس لتقديم الهدايا الى الالهة « باو » والى زوجها الاله « نينكيرسو » اكبر آلهة مدينة « لجش » ، وكانت تعرف هذه الهدايا بـ « هدايا الزواج » ٠ وكان من جملة آلهة السومريين الاله « دجان » اله الحبوب وهو الذي يحميها من الآفات الزراعية ٠ وفكرة تقديس الزراعة فكرة قديمة جدا ففي العالم القديم كانت تقدم أضحية انسانية كلما حان أول البذار على النحو الذي كان المصريون القدماء يقدمون فيه ضحيتهم الانسانية في موسم فيضان النيل ، فيقول ويلز نقـلا عن فريزر ان اضحية انسانية كانت تقدم في عالم العصر الحجري الحديث قبل عشرات الالاف من السنين كلما حان أوان البذار، ولم يكن الامر التضحية بشخص وضيع او منبوذ بل كما جرى العرف التضحية بشاب مختار او فتاة مختارة (معالم تاريخ الانسانية الترجمة العربية ج١ ،ص ١٠٨) ٠

أ ـ الالهة « باو » الهه الزراعية في مشاهد مراسيم وطقوس دينية :

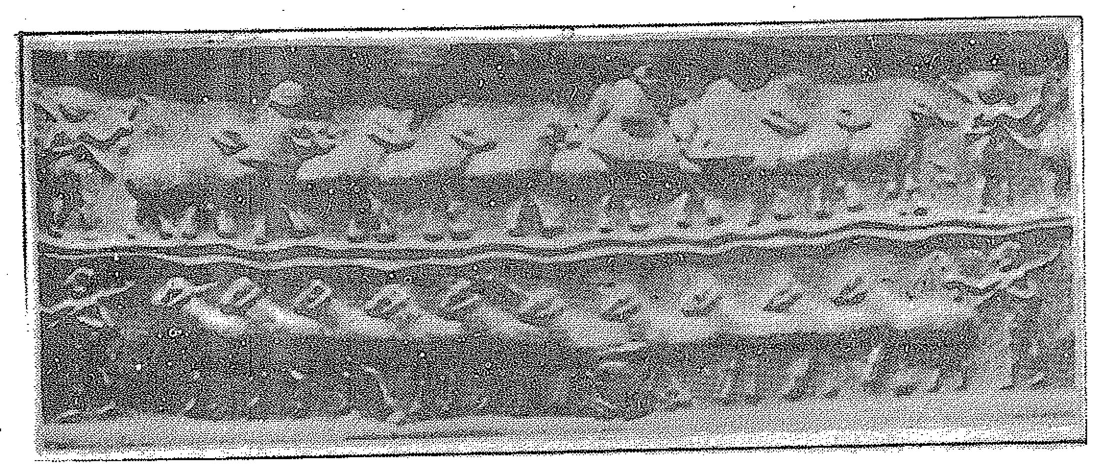
وقد ظهرت الالهه « باو » الهه الزراعة في عدة مشاهد خاصة بالطقوس الدينية نقشت على الأختام السومرية والاكدية وهي محاطة بسنابل من الحنطة والشعير (انظر التصوير رقم ١١٦) ،

ومن هذه النقوش نقش تشاهد فيه الهه الزراعة جالسة وهي تحمل سنبلتين من الحنطة والشعير ترفعهما في أعلى يدها اليمنى وسنبلة أخسرى تحملها بيدها اليسرى . وهناك ثلاثة أشخاص

التصوير رقم (١١٤)

قطيع الغنم ـ قديماً وحديثاً

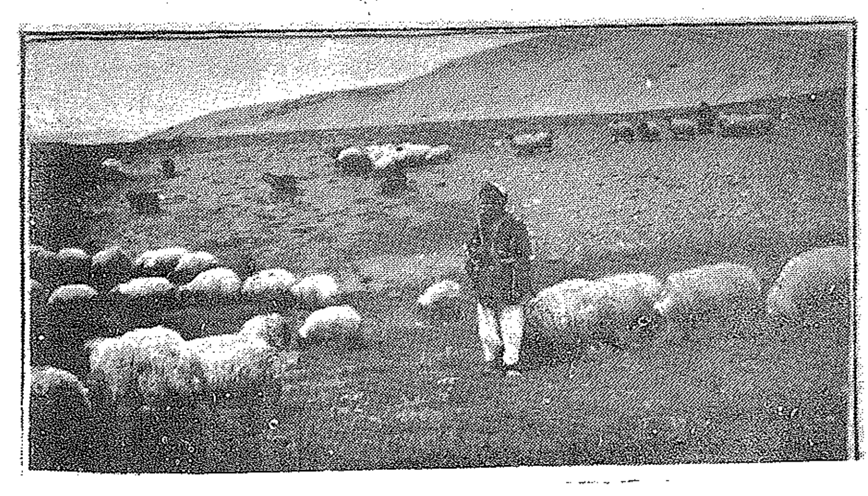
The Flock of Sheep - Past and Present



قطيعان من الغنم من العهد السومري القديم

يمثل هذا النقش الجميل الذي يعود الى عصر الوركاء (أوائل الألف الرابع قبل الميلاد) قطيعين من الغنم في صفين متناسقين يسوق كلا منهما راعيان أحدهما في راس القطيع والآخر في آخره ، وكل من الراعيين يحمل بيده العصاء التي هي أهم ادوات كل راع . ويتجسم في هذا النقش المستوى الفني الراقي حتى ليفوق ماتظهره عدسة التصوير الحديث .

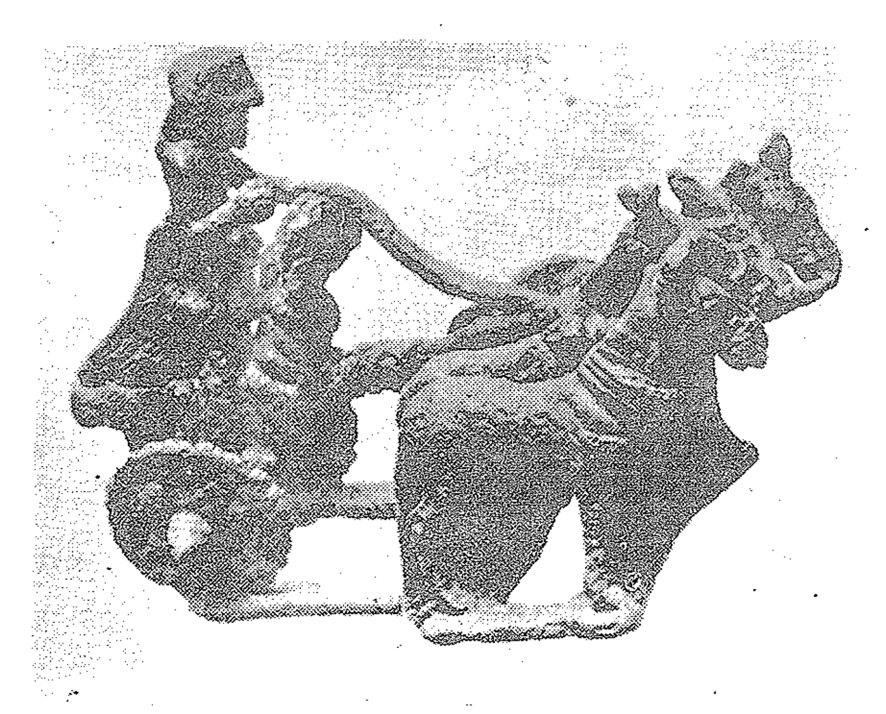
This artistic exhibit represents a double frieze of two flocks of sheep depicted in two files dating back to the Uruk period (the beginning of the fourth Millenium B.C.). In each flock we see two shepherds one at the head and the other at the end. Each of the four shepherds holds the usual shepherd stick in his hand. This is a vivid example of the ability of the early artists in sculpture and engraving. The pronounced directions of the figures in the top and bottom rows balance each other while the rippling movement of the advancing flocks is summarized by the wavy line. (H. Frankfort, op. cit., Plate Ve, pp. 21. 28, 29, 34).



منظر حديث من مناظر العـراق الشمـالية ــ مرعى طبيعي تسـرح فيه الاغنام التي تربى فيه بكثرة .

من تصوير المؤلف

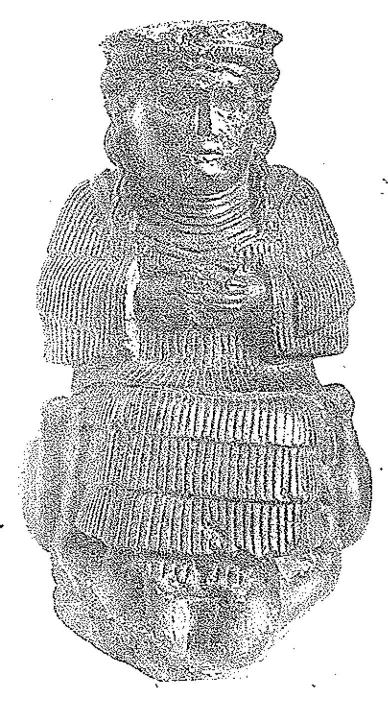
A recent scene of Northern Iraq's mountainous region - A flock of sheep pasturing in that area.



التصوير رقم (١١٥)

عربة سومرية من النحاس تجرها اربعة حمير وهي تمثل أقدم صورة للعجلة اكتشفت في تل اجرب في منطقة ديالى ويرتقي زمنها الى عصر فجر السلالات واوائل الالف الثالثة قبل الميلاد) . وقد عثر على عجلات في اطلال «كيش» يعتقد انها أقدم نماذج للعجلة (ديوارنت، ج ٢ ، ص ٢٥)

A miniature chariot in copper c. 3000 B C. the earliest representation of the wheel, discovered at Tel Ajrab in Diyalah District. Other wheeled vehicles believed to be the oldest known were unearthed at "Kish" (Durant, vol. 2).



التصوير رقم (١١٦) .

– تمثال الآلهة « باو » مشيدة الحقول والبساتين ، وهو من حجر جيري أسود ، تشاهد فيه وهي جالسة على عرش يسنده زوج من الوز ، وهذا الطائر هو رمزها ، وجد في أور يقدر زمنه من نهاية الالف الثالثة قبل الميلاد (كنوز المتحف العراقي ، رقم ٦٤ ص ٢٠٧) (انظر الفقرة ١٤٣) .

يتقدمون بتواضع واحترام نحو الالهه ، أولهم من الامــام الكاهن وهو يحمل سنبله في يده اليمنى وقد نبتت أغصان من كتفيه يشاهد وهو يقدم متعبدا الى الالهة كما يشاهد خادم خلف المتعبد حاملا ســخله لتقديمها قربانا للالهــه ٠ويشاهد على يمين الصورة منظر لأحد الالهــه يقاتل عدوا في منطقة الجبال (انظــر التصويررقم ١١٧) ٠

ب ـ وفي نقش آخر تشاهد الالهه « باو »جالسة وقد نبتت من كتفيها أغصان هي اشبه بسيقان الذره وقد حملت بيدها غصنا آخر ٠وهناك أربعة أشخاص يتقدمون الواحد خلف الآخر نحو الالهــه باحترام وتواضع والشخص الاخير امرأة تحمل بيدها جرة من النبيذ أو العســل أو الدهن لتقدمها الى الالهه (انظــرالتصوير رقم ١١٨) ٠

ج ـ ومن أهم النقوش التي ظهرت فيهــاالهه الزراعة « باو » النقش الذي يمثلها وهي جالسة وسنابل القمح أو الشعير تنبع من أكتافهاوخلفها تمثال للالهه نفسها قائم على قاعدة وقد أحاطت بها وبتمثالها السنابل ٠ والمهم في هــذاالنقش وجود كتابة في الطرف الايمن من النقش تحمل اسم الملك « نرام ســن » الأكدي ابن الملك سرجون مؤسس الامبراطورية الأكــدية (٢٣٧١ ـ ٢٣١٦ ق٠م٠) (انظر التصوير رقم ١١٩) ٠



التصوير رقم (١١٧)

الالهة « باو » الهة الزراعة في مشهد ديني وفي وسط سنابل الحنطة والشعير

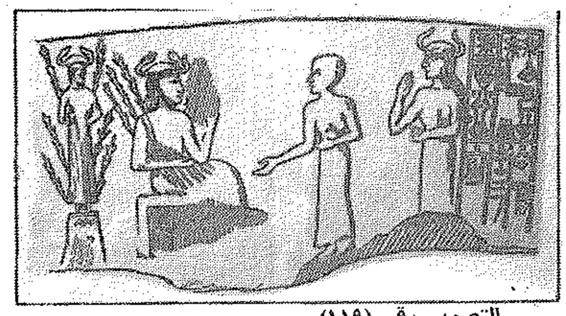
The Goddess of Agriculture " Boa " in a Religious Scene with Ears of Wheat and Barley (Ward, op. cit., Fig. 382, p. 135)

التصوير رقم (١١٨)

الالهة « باو » الهة الزراعة مع سيقان الذرة

The Goddess " Boa " with Maize or Millet Stalks (Ward, op. cit. Fig. 383, p. 135).

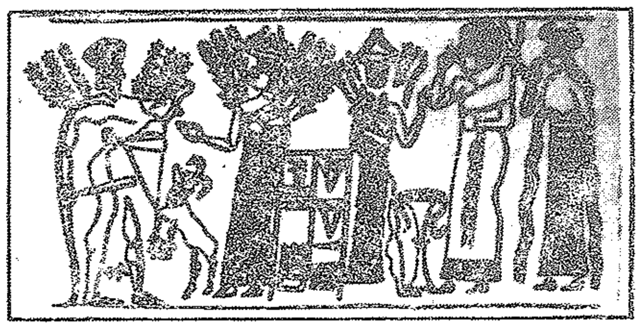
د ـ وفي التصوير رقم (١٢٠) نقش تظهــرفيه الهه الزراعة « باو » واقفة واحد الالهه يقف أمامها وكلاهما محاطان بسنابل القمح ، ويشاهدماعز بينهما يرتمي باذيال الاله ، وصلة هذا الاله بالماعز يوحي باحتمال كونه الاله « لهار » الهاالقطعــان والحظيرة ٠ وفي النصف الايمن من النقش تظهر الالهة عشتار امــام المذبح وعلى كتفيها آلات القتــال باعتبارها الهــه الحرب ٠ ويشاهد أحد المتعبدين يتقدم نحوها حاملا بيديه ماعزا ليقدمه قربانا لها ٠ وتقف خلف المتعبــد كاهنة او الهه انثى تحمل اناءا ينسكب فيه السائل المقدس ٠ وتوجد كتابة بين الهه الزراعة والالهه عشتار تحمل اسم « ايلي ـ اوكوم » لعله اسم صاحب الختم أو ناقشه ٠ (انظر التصوير رقم ١٢٠) ٠



التصوير رقم (١١٩)

الالهة « باو » إلهة الزراعة تحيط بها سنابل القمح مع اسم الملك « نرام — سين » على النقش

The Goddess " Boa " with Ears of wheat or Barley and an Inscription bearing the name of Naram - Sin (Ward, op cit., Fig. 386 p. 136).



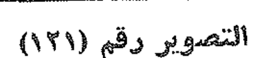
التصوير رقم (١٢٠)

الالهة « باو » مع الاله « لهار » اله القطعان والالهة عشتار إلهة الحرب

The Goddess " Boa " with a male God Embowered in Wheat and the Goddess " Ishtar ". (Ward, op. cit. Fig. 387, p. 136 .

هـ ـ وفي نقش جميل تظهر الالهه « باو »جالسة وبيدها سنبلتان من القمح مع ثلاثة كهنة ملتحين يتقدمون نحوها بخشوع واحترام آخرهمحاط من جميع أطرافه بسنابل القمح (انظر التصوير رقم ١٢١) .

و ـ وفي التصوير رقم(١٢٢)نقش تظهر الههالزراعة فيه وهي ماسكة بيدها غصنا من نبات أشبه بنبات الذرة ويشاهد ماعز جبلي منتصبايتعلق بأذيال الالهه ، كما يشاهد شخصان متعبدان يحمل كل منهما ماعــزا لتقديمه قربانا للالهه .ويظهر نبت من القمح وفوقه نجمه ما بين الالهه والمتعبدين .



التصوير رقم (١٢١)

الالهة « باو » وبيدها سنبلتان من القمح مع ثلاثة كهنة آخرهم محاط من كل جوانبه بالسنابل

The Goddess " Boa " Holding two Stalks of Wheat with three Bearded Attendants the last of them enveloped in Stalks of Wheat (Ward, op. cit., Fig 378, p. 134).



التصوير رقم (١٢٢)

الالهة « باو » وبيدها غصن من نبات الذرة مع شخصين متعبدين يحمل كل منهما ماعزاً لتقديمه قرباناً للالهة

The Goddess " Boa " Holding a Branch of Maize with two Worshippers bringing goats as Offerings (Ward, op. eit., Fig. 380 p. 135).

ز ـ وفي نقش آخر تظهر الالهه فيه جالسةوهي تحمل بيدها غصنا أشبه بنبات الذرة أيضا وقد نبت غصنان من نفس النبات في كتفيهـا •ويشاهد ثلاثة كهنة ملتحين يتقدمون نحو الالهه أولهم محاط من جميع أطرافه بسنابل القمـــح(انظر التصوير رقم ١٢٣) •

٤٤ ـ اتقان السومريين والساميين والساميين لفن البستنة

وقد اتقن السومريون والساميون عـــدأساليب زراعة الحبوب فن البستنة منها أصول غرس النخيل وتنميتها حيث كان يتخذ ظــلالالحماية الخضروات والنباتات الاخرى من الشمس ومن الرياح والبرد على النحـــو الذي يمارســهالفلاحون اليوم • والعراق أقدم موطن وجدت فيه النخيل ان لم يكن موطنـه الاصلي حيث غرس في القسم الجنوبي منذ أولى أدوار السكن والاستيطان البشري في المنطقة •



التصوير رقم (١٢٣)

الالهة « باو » وبيدها غصن من نبات الذرة أيضاً مع ثلاثة كهنة أولهم محاط من كل جوانبه بسنابل القمح .

The Goddess " Boa " with three Divine Attendants the first of whom is enveloped in Wheat (Ward, op. cit., Fig. 381, p. 135.)

كان السومريون والســاميون يقدســـونالنخلة وقـــد اتقنوا الطرق الناجحة في زراعـة النخيل وكانوا أول من مارس تلقيحها ، ولا شكفي انه كان لاشجار النخيل دور اقتصادي مهم في ضمان استمرار حياة المستوطنين الاوائل في هذهالمنطقة لعديد فوائدها واستعمالاتها •

ومما يؤيد قدم وجود أشجار النخيل فيهذه المنطقة من العراق ان العلامة المسمارية التي يكتب فيها النخل قد جاءت في كتابات عصر فجر السلالات (٣٠٠٠ ـ ٢٤٠٠ ق•م•) (انظر التصوير رقم ١٢٤) ، ثم كثرت الاشـــارات فيالكتابات المسمارية من العهود الاخرى في جميع أنواع الكتابات • ففي وثيقة ترجع الى عهـــدالملك شوسن من ســـلالة أور الثالثة ١٩٧٨ ـ ١٩٧٠ ق•م اشارة الى حقل من نخيـــل التمـــر« معنى بَرِّيه كل العناية » ، ويقع هذا الحقل في المنطقة الممتدة بين « اوما » و «لجش » ويعود الى معبداله بلدة « اوما » • وقد قسم هذا الحقل الى ثماني مجموعات من النخيل وصنف كل منها بحسب عمر النخيـــل والمثمرة وغير المثمرة ، وتشير الوثيقة الى كميات التمر التي ينتجها الحقل بالحجم لا بالوزن كما هي العادة المتبعـــة في وقتنا الحاضر •

وفي نقش يرجع زمنه الى العهد السومري البابلي (التصوير رقم ١٢٤) تشاهدأقدم صورة للنخلة المقدسة وعذقان من التمر يتدليان منهـاوفي كل من جانبيها تقف امرأة مادة احدى يديها الى عذق التمر في حين انها تحمل في يدها اليمنىعذقا آخر • والراجح ان هذا المنظر يمثل الهه بساتين النخيل •

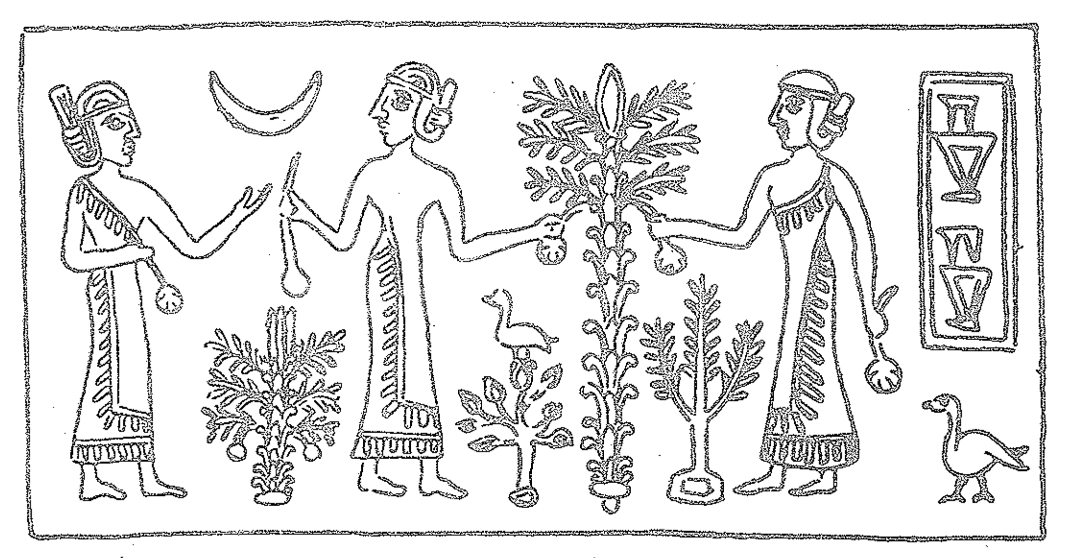
التصوير رقم (١٢٤)

النخلة قديماً ـ وحديثاً

The Palm Tree - Past and Present

أقدم صورة للنخلة المقدسة من ازمنة العهد السومري البابلي

Oldest Representation of the Holy Palm Tree on a Cylinder Belonging to the Sumerian - Babylonian Period



تشاهد في هذا النقش الذي يرجع زمنه الى العهد السومري البابلي صورة للنخلة المقدسة وعثقان من التمر يتدلان منها وفي كل من جانبيها تقف امرأة مادة احدى يديها الى عثق التمر في حين أنها تحمل عثقاً آخر بيدها الاخرى وتشاهد احدى الامرأتين تقدم العثق الذي في يديها الى أمرأة ثالثة ، وهذه الاخيرة تمد يدها اليسرى لتسلم العثق في حين أنها تحمل في يدها اليمنى عثقاً آخر . كما تشاهد نخلة أخرى صغيرة تحمل ثمرها مع شجرتين الى جانبي النخلة الكبيرة . ويشاهد أيضاً طيران هما اشبه بالبط وكذلك هلال وكتابة تصويرية لاسم ناقش الصورة . والظاهر ان هذا المنظر يمثل الاهة بساتين النخيل او الاهة الزراعة وهي تقدم الثمر المتمثل بالامرأة التي تسلم عثق التمر .

وكانت النخلة أحد الشعارات الدينية الأربعة التي يقدسها الاشوريون اما الثلاثة الأخرى فهي المحراث والثور والشجرة المقدسة . وقد عثر على هذا الشعار منقوشاً على تاج وضع فوق محراب يعود الى عصر اسرحدون (٦٨٠ـ٦٦٩ ق م) .

Here ,we have the palm tree with its hanging bunch of dates. On each side stands a female figure with one hand on the hanging bunch of dates while she holds another bunch in her other hand. One of the two figures is handing the bunch she holds to a third female figure which is reaching forward her hand to receive it, while still holding another bunch in her other hand. There is in the field a second short palm tree with dates, and two other trees or shrubs, and also two birds like geese or ducks, also a crescent and a brief inscription with the seal owner's name. This seems to represent a goddess of the garden, or the goddess of agriculture, who is presenting its fruits to humanity represented by the woman receiving the bunches of dates (see : W. H. Ward, " The Seal Cylinders of Western Asia, 1910, Fig. 389, p. 139).

The date palm was one of the four divine emblems of the Assyrians, i. e., the date palm, the plough, the bull and the "sacred tree" This is represented on a divine tiara upon an altar used by Esarhadon, King of Assyria (680 - 669 B. C.) . (See : Theo. G. Pinches, " The Old Testament in the Light of the Historical and Legends of Assyria and Babylonia ", N. Y, 1902, Plate facing p. 388).

النخلة ـ حديثاً

The Palm Tree at Present

وخلاصة القول ان تدجين الحبوب والحيوان واختراع المحـراث وتحسين وسـائل الانتاج الزراعي قد مكنت الانسان القديم من ان ينتقل من سكنى الكهوف الى سكنى القرى الزراعية ثم المدائن، اي ان ينتقل من مرحلة بذل نشاطه في سبيل الحصول على قوته اليومي وهي طور جمع القوت (Food Gathering Phase) الى مرحلـة ترمي الى العمل على الانتاج الزراعي (Food Production Phase) واختزان المـواد المعاشية الفائضة كثروة مادية تمتلكها جماعات من البشر وهي ترمز الى القوة والسيطرة .

٤٥ـ اتقان السومريين والساميين لعملية سد الثغرات التي يحدثها الفيضان في السدود :

ومن أدق وأنجح الطرق التي كان يستعملها السومريون والبابليون في جنوبي العراق لسد الثغرات التي يحدثها فيضان نهـر الفرات في السدود المقامة لوقاية مزارعهم من الغرق والتي لا يزال يستعملها الفراتيون في الجنـوب حتى يومنا هذا لتحقيق نفس الغرض طريقـة سـد الثغرات بالبطخه . والبطخه هي عبارة عن لفة ضخمة طويلة مكونة من عـدة طبقات محشاة بالشوك والبردي والقصب فتلف كـل طبقـة بصفوف عديدة من الحبال من القصب وسعف النخل ، وتربط البطخة بحبال من نفس المواد من الارض قرب الثغـرة للحيلولة دون انجرافها في التيار . وتصنع عدة بطخات فتوضع في الثغـرة الواحدة بجانب الاخـرى وتربط بعضها ببعض (انظر التصويرين رقم ١٢٥ و١٢٦) . وليس من شك في ان هذه الطريقة من ابتكار سكان هذه المنطقة القـدامى ومن المؤكـد ان السومريين والساميين كانوا أول من مارسـها على نهـر الفرات .

وطريقة سد الثغرات باستخدام المـرادي (الهواليش) وحصائر القصب (البواري جمع بارية) والاتربة المستعملة اليوم أيضـا لسد الثغرات التي يحدثها الفيضان في السداد المقامة على ضفاف النهر هي الاخرى من ابتكار سكان هذه المنطقة ولاشك في انهـم كانوا أول من مارسها (انظر التصوير رقم ١٢٧) . وهنـاك سدود يقـوم بانشائها سكان الاهوار اليـوم تسمى « الحمول » مفردها « حمل » وهي سدود تنشأ من القصب والبردي والطين يقيمها الفلاحون في الاهوار وفي القنوات لصد التيارات المائيـة والاحتفاظ بالماء لسقي مزارع الأرز ، ولاشك في ان هذه الطريقة موروثة عن السومريين سكان الاهوار الاصليين .

٤٦ـ ممارسة الري بالواسطه :

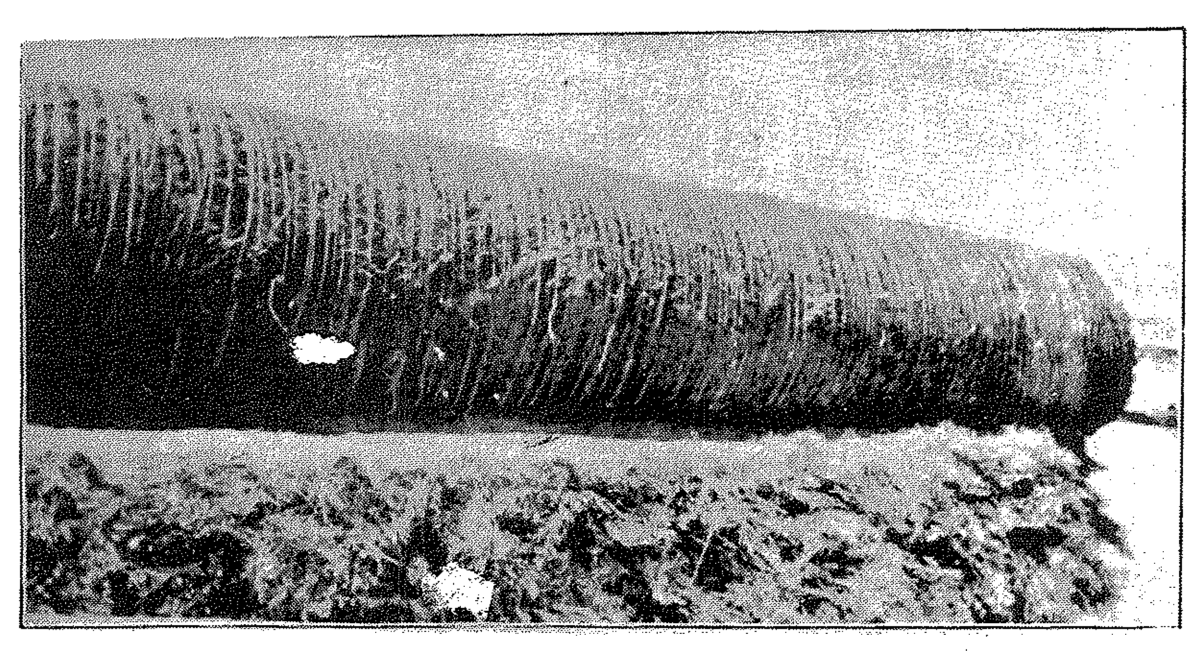
أ ـ الداليه والشادوف :

والظاهر ان السومريين والساميين كانوا قد استخدموا طريقة الري بالرفـع وذلـك لارواء الاراضي الزراعية المرتفعة عن سطح الماء عـلاوة عـلى طريقـة الري السيحي وقـد سـبقهم في ذلـك السـاميون باختراعهم النـاعور الذي يدار بقوة التيار (انظر ما يلي حول هذا الناعور) . فقد استعمل السومريون في البداية واسطة رفع يدوية بسيطة ما زالت مستعملة حتى يومنا هذا في منطقة البصرة وتسمى « الدالية » . وهذه هي أشبه بالشادوف المصري الذي شـاع

التصوير رقم (١٢٥)

اقدم عملية لسد الثغرات في ضفاف النهر بالبطخة

The Closure of Breaches in the Banks by Means of What is Known as The "Batkha" System

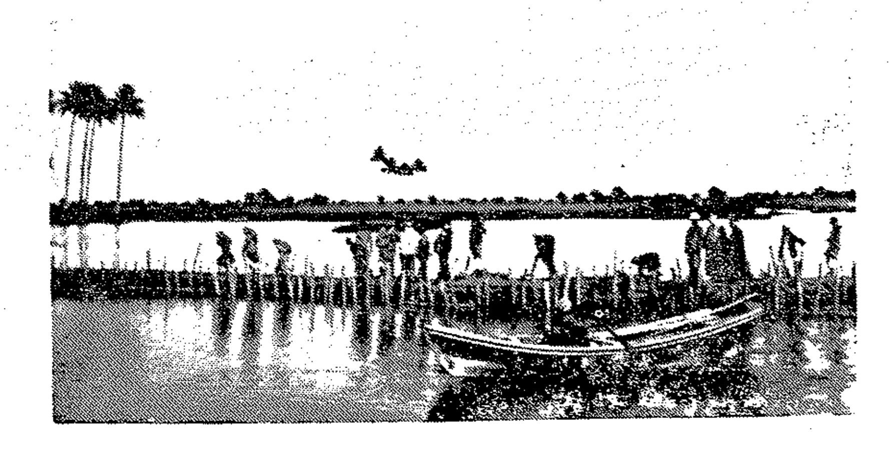


البطخة واستعمالها في سد الثغرات

ان طريقة سد الثغرات في السداد على ضفاف الأنهر في موسم الفيضان باستعمال (البطخة) واغلة في القدم اكتشفها وطبقها السومريون قبل حوالي خمسة الآف عام واستعملها من بعدهم البابليون وهي مازالت تستعمل حتى يومنا هذا في سد الثغرات على ضفاف نهر الفرات اليوم . والبطخة هي عبارة عن لفة طويلة ضخمة مكونة من عدة طبقات محشاة بالشوك والبردي والقصب فتلف كل طبقة بصفوف عديدة من الحبال من القصب ومن سعف النخل وتربط البطخة بحبال من نفس المواد في الارض قرب الثغرة للحيلولة دون انجرافها في التيار . وتصنع عادة عدة بطخات فتوضع في الثغرة الواحـــدة بجانب الأخرى وتربط بعضها مع بعض .

The Application of the " Batkha " System for Closing Breaches

This system used to day especially on the lower Euphrates in closing breaches in the banks during flood must have been first discovered and used some five thousand years ago by the Sumerians then used by the Babylonions. The " Batkha " used in closing breaches consists of a long sausage of brushwood and reeds bound together by ropes made out of the fronds of the date palm. It is made in the following manner : A large rope called " the Sharoof " made out of reeds is first stretched out on the ground. Every ten centimetres around the " Sharoof " thin ropes made out of date palm fronds are attached and stretched out at right angles to the " Sharoof ". Across these thin ropes a layer of reeds or " Bardi " is spread and on top of the " Bardi " a layer of thorn " Shok " is spread. The " Sharoof " is then seized by a large number of men and rolled up on to the layers of " Shok " and " Bardi " into a huge sausage shaped mass, the ends of the palm leaf ropes are brought over and securely attached making the whole into a compact roll The "Batkha" is then tied to the bank by a heavy anchor rope made af reed called " Saba ", i. e. lion, and to the end of the " Batkha " another rope called " Wawi " (Jackal) is also attached and anchored back to lhe bank. Then the " Batkha is rolled into the stream of the breach. Layers of branches and "Shok" are laid and on top earth is loaded until the "Batkha" sinks to the bottom. After the first sausage has been driven to the bottom a second " Batkha " is rolled and sunk in front of the first. This process is continued from both banks until the breach is closed.

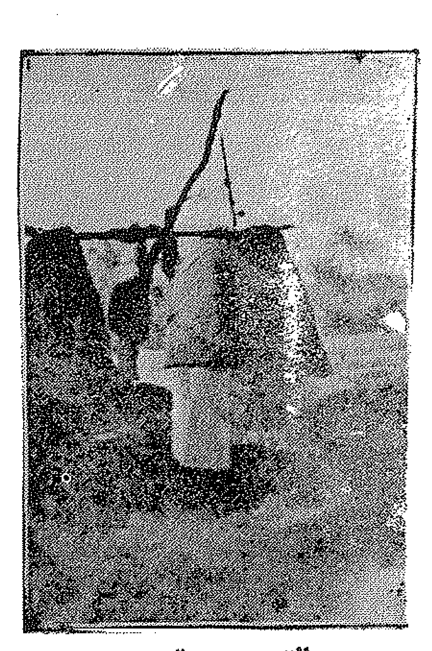


التصوير رقم (١٣٧) -

تشاهد في هذا التصوير عملية سد ثغرة في ضفاف النهر باستخدام (المرادي) وحصائر القصب والتراب

This is an illustration of the closure of breaches on the Euphrates banks in flood by using poles (mardi), reed mats (Baria) and earth. The system must have been first invented and used by the Sumerians and Semites on the Euphrates.

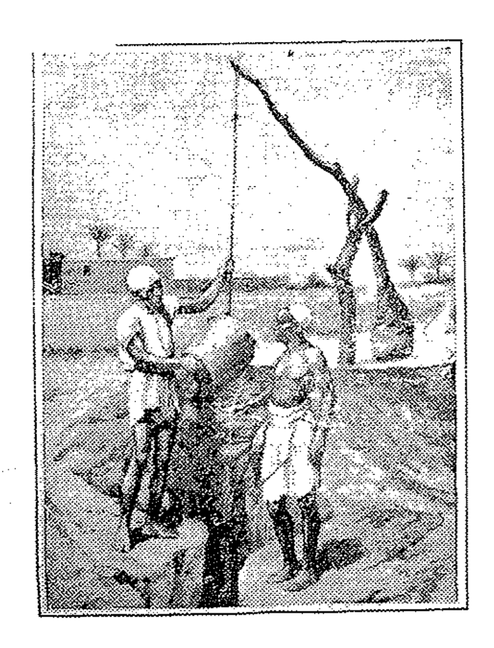
استعماله في مصر القديمة وما زال مستعملا في الحقول الزراعية المصرية حاليا (انظر التصويرين رقم ١٢٨و ١٢٩)[٦٧] . والآلة بسيطة عبارة عن عمود خشبي متحرك يستند الى ركيزة أفقية يتأرجح فوقها العمود على محور ، فاذا ارتفع أحد رأسي العمود هبط الرأس الثاني نحو الأرض ، وقد شدت في الجانب القصير من العمود ثقالة معاكسة وفي الجانب الآخر المواجه لمصدر الماء ربط حبل ينتهي الى وعاء من الجلد او من اية مادة اخرى ، فيقوم الشخص الذي يدير عملية رفع الماء بانزال الوعاء الى وسط الماء ثم يضع ثقل جسمه على الجانب الذي فيه الثقالة فيرفع الوعاء الممتلىء بالماء الى الساقية حيث يجري بعد ذلك الى الحقل . وقلما تستعمل الدالية لدفع المياه الى ارتفاع اكثر من ستة اقدام (انظر التصوير رقم ١٢٩) . وقد عثر على نقش للدالية من العهد السومري القديم يشاهد فيه العمود والوعاء في أحد رأسيه والثقالة في الرأس الآخر ويشاهد



التصوير رقم (١٢٩)

الدالية المستعملة حالياً في منطقة البصرة

The "Dalia" presently used at Basra District.



التصوير رقم (١٢٨)

الشادوف المصري

The Egyptian Shaduf.

شخص عاري الجسم يدير الآلة (انظر التصوير رقم ١٣٠) . كما عثر على نقش آخر للدالية من العهد الآشوري في قصر سنحاريب في نينوى وهو اكثر اتقاناً حيث يستند العمود هنا على دعامة بنائية بدلا من الركيزة الافقية الخشبية ثم نجد تحسينات في التصميم الآشوري حيث صنع رأس الثقالة على شكل يدة منحرفة . وتشاهد في هذا النقش داليتان احداهما ترفع الماء من المجرى الى ساقية مرتفعة والثانية وهي مزدوجة ترفع الماء من هذه الساقية الى ساقية

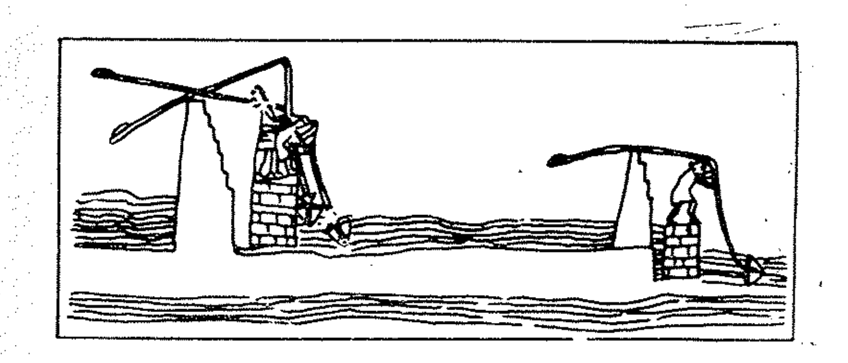
ثانية أعلى منهــا (انظر التصوير رقم ١٣١) •وهذه الطريقة متبعة حتى يومنا هـذا فاذا كان مستوى الأرض المراد رفع المياه اليها عاليا بالنسبةلمستوى مصدر المياه تنصب مضختان احداهمـا ترفع الماء الى قسم من الارتفاع المطلوب ثم تنصبمضخة ثانية لرفع الماء مرة أخرى الى الساقيــة العليا ، وكانت الداليه تستعمل في زمن العربحيث وصفها الكتاب العرب في مجموعة آلات الاستقاء فجاء في المخصص لابن سيده في وصفهاما نصه :ــ

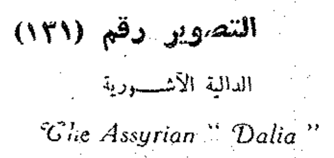


التصوير رقم (١٣٠)

الدالية الســومرية

The Sumerian " Dalia "





التصوير رقم (١٣١)

الدالية الآشــورية

The Assyrian " Dalia "

« الداليه ــ جذع طويل يركب تركيب مداق الأرز وفي رأسه مغرفة عظيمة مقيرة من خوص أو بواري تأخذ ماءا كثيرا ويجعل ما يلي المغرفةمن الجذع أقصر وهو هاديه ومقدمه بقدر ما يبلغ الماء اذا انحط ويجعل مؤخره أطول فيركبه الرجال مشيا عليه فاذا صاروا الى مؤخر الجذع ارتفع مقدمه فاذا أزي بالازاء وهو مهراق المغرفةكفأها رجل قائم على الازاء فمضى الماء في الجدول الى المزرعة ونزل الرجال عن الجذع فانحط هاديهالى الماء لانه أثقل من مؤخره ثم يعود الرجال الى ركوب الجذع فهذا دأبهم » • (انظر الســـفرالتاسع ص ١٦٣ ــ ١٦٤) •

ب ــ الكرد او البكره :

ثم تطورت وسائط الرفع باستخدام الطاقةالحيوانية الامر الذي فسح المجال لرفع الماء من مصادر أعمق ورفع كمية أكبر من الماء بتوسيعحجم الوعاء ، ومن الأجهزة التي ابتكرها سكان العراق القدامى والتي لم تزل مستعملة في الوقتالحاضر « الكرد » أو « البكره » • والجهاز هو عبارة عن بكــرة كبيرة مسندة من طرفيها الىعمودين ضخمين من جذع النخل وأحيــانا الى

دعامتين من البناء ووعاء كبير من الجلد جعل في آخره ذنب على هيئة أنبوب تفرغ بواسطته مياه الوعاء بعد ان يكون الوعاء قد رفع الى الساقية التي يراد رفع الماء اليها . ويتم تنزيل الماء الى مصدر الماء وتصعيده الى الساقية بحبلين يربط أحدهما في أعلى الوعاء والثاني في ذنبه الانبوبي فيتحرك الأول على البكرة في تصعيد الوعاء وتنزيله ويقوم الثاني برفع الذيل الانبوبي عند الصعود فيحول دون تدفق المياه من الوعاء حتى اذا ما وصل الوعاء الى الساقية أفرغ الماء فيها بصورة تلقائية بتوجيه فتحة الانبوب نحو الساقية . ويقوم شخص بتسيير عملية تصعيد الوعاء وتنزيله فيمشي خلف الحيوان عند صعوده على الممشى المنحدر لانزال الوعاء الى سطح الماء وعند نزوله عند رفع الوعاء الى الساقية . ولا شك ان هذا الجهاز من ابتكار سكان العراق القدامى وقد بقي يستعمل حتى يومنا هذا . (انظر التصوير رقم ١٣٢ ، انظر ايضاً التصاوير ٤١ و٤٢ و٤٣ الفقرتين ٨ و٩ من الفصل الخامس) .

ج ـ الناعور الحيواني :

ومن الآلات القديمة لرفع المياه باستخدام الحيوان ، الناعور الحيواني وهو غير الناعور الذي يدار بتيار المياه والمستعمل في هيت وعانه على نهر الفرات . والناعور الحيواني هذا هو عبارة عن دولاب قائم عمودياً يحمل سلسلة من السطول المعدنية يدور على محور في مستواه الرأسي ويتم تدوير هذا الدولاب بالطاقة الحيوانية عن طريق دولاب افقي مسنن يديره الحيوان . والحيوان يدور في دائرة حول الدولاب الافقي وهو يجر وراءه قضيبا من الخشب مربوطا بدواليب افقية مسننة وهذه مربوطة بدورها بالدولاب العمودي الذي يحمل سلسلة السطول . وعندما يدور الدولاب العمودي تدور السطول مع الدولاب فتنزل السطول الى ما تحت الماء فتمتليء وتصعد لتصب ماءها في الحوض العالي المعد لاستيعاب المياه وتحويلها الى ساقية للري . ويرفع هذا الناعور المياه عادة الى ارتفاع عشرين قدما (انظر التصوير رقم ١٣٣) . وقد استعمل العرب الناعور المذكور حيث وصفه الكتاب العرب باسم الدولاب بين مجموعة آلات الاستقاء . وتعرف هذه الآلة في مصر بالساقية (انظر مجلة العربي الكويتية العدد ١٣٣ «العجلة في خدمة الانسان» بقلم الدكتور أحمد زكي ، ص ٢٨ ـ ٣٨) .

د ـ الناعور المائي الفراتي من اختراع الساميين :

تتألف هذه الآلة الرافعة العجيبة التي تعمل بصورة طبيعية تلقائية بقوة تيار مياه النهر من طوق خشبي كبير قد يربو قطره على عشرة أمتار في بعض الأحيان ، وقد أوصل بينه وبين المركز بقطع شجرية ضخمة ربطت ربطاً محكماً حول محور من جذع شجرة التوت ، ويستند هذا الدولاب الضخم الى دعامتين من بناء الحجر مبنيتين على زاوية قائمة مواجهة لمجرى النهر . وهناك سلسلة من جرار صغيرة من الخزف مصفوفة بانتظام ومربوطة بحبال صنعت من ألياف النخيل على طول دائرة الطوق الخشبي الخارجية ، فاذا ما تحرك الدولاب بقوة المجرى المتجهة نحوه واخذ بدورانه نحو محوره تصعد الجرار السفلى أعلى الدولاب ، فتصب حمولتها الواحدة بعد الأخرى تباعاً في ساقية ترتفع عن مستوى النهر بما يقرب من اثني عشر مترا حيث يجري الماء بعد ذلك الى الحقول . ويتم ذلك حين تبدأ الجرار بنزولها في الجانب الآخر من

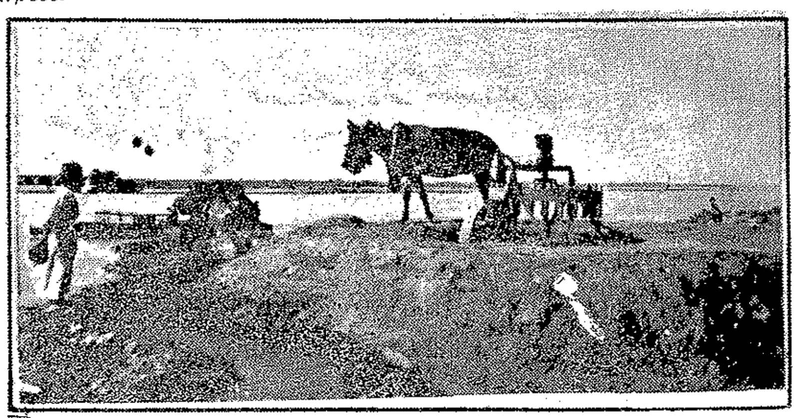


التصوير رقم (١٣٢)

The Kard or bakra.

« الكرد » او « البكرة » ـــ احدى وسائط رفع المياه القديمة تعمل باستخدام الطاقة الحيوانية وهي ما زالت تستعمل في الوقت الحاضر

This old animal power hoist, invented by the ancients and still in use at present, consists of a huge leather bag ending in a funnel, through which, when raised to the top, the water is discharged into a trough connected with the irrigation channel. While the bag is being hauled up the tip of the funnel is kept high by a cord attached to the main haulage rope thus preventing the water from over flowing, The cord on which the leather bag is suspended works over a cylinder (large wooden pulley) supported on two projecting palm tree stocks. The animal which raises and lowers the bag is provided with a steeply inclined ramp on which it walks up and down. The rotation of the cylinder produces a resounding noise to which the attendant adapts his own song. On the Euphrates the whole apparatus is known as "bakra" and two pullies are usually worked side by side using two animals for that purpose.



التصوير رقم (١٣٣)

ناعور يديره حيوان

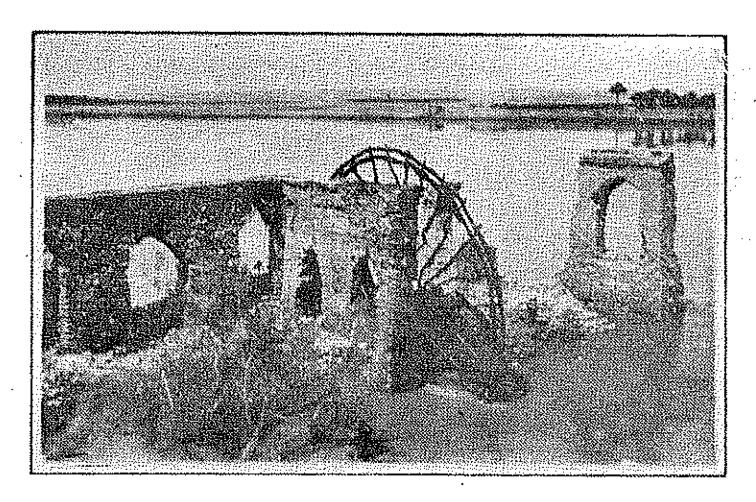
احدى الوسائل القديمة لرفع المياه تعمل باستخدام الطاقة الحيوانية وهي مازالت تستعمل في الوقت الحاضر .

Animal Power Water Wheel

This is another old animal power water hoist still in use at present. It consists essentially of an endless chain provided with zinc buckets carried by a wheel which is made to revolve by power provided by animal draft. The blindfolded animal walks in a circle pulling behind it one end of a pole, the other end of which is attached to bevelled cog-wheels. These are connected with the main wheel carrying the endless chain. As the chain revolves the buckets in turn dip under the surface of the water in the well, fill up, and are carried upwards over the supporting and revolving wheel, when they empty their contents into a trough fixed above the axis of the wheel. The water from the trough is led away to an irrigation channel. Water seldom is lifted more than twenty feet by this apparatus.

الدولاب ، وبذلك تكون كل جرة قد امتلأت ثم أفرغت حمولتها مرة في كل دورة من دورات الدولاب . وتحدث هذه النواعير في دورانها أنغاما موسيقية شجية تمتزج بأغاني الفلاحين (العتابا) وكلها تعبر في نغماتها برغم ما يرنو صفوها من أكدار عن حركة الحياة الدائمة التي ما زالت منذ الأزل كهذا الناعور . ومثيل هذا النواعير تشاهد في (حما) على ضفاف نهر العاصي في سورية . (انظر التصاوير المرقمة ١٣٤ و١٣٥ و١٣٦) .

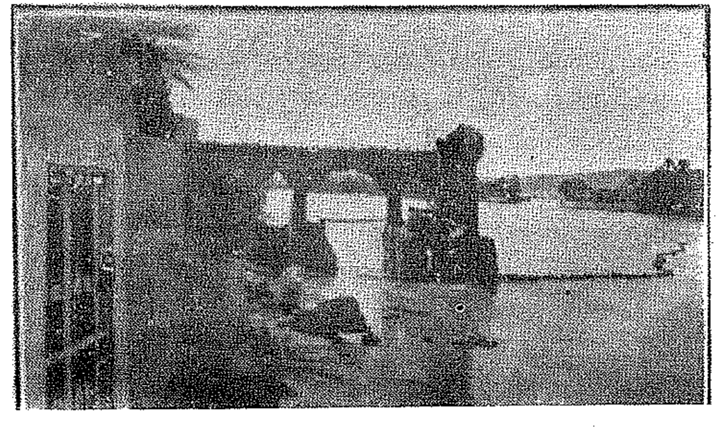
واذا تأملنا في تركيب هذه الآلة الرافعة القديمة نجد انها صممت بطريقة هندسية متينة لم يستطع العقل الحديث أن يضيف اليها شيئا جديدا ، لذلك بقيت كذلك حتى يومنا هذا برغم ان هناك محاولات جرت لابدال الطوق الخشبي بطوق من حديد والاستعاضة عن الجرار الصغيرة بجرار كبيرة ، الا أن هذه المحاولة لم يكتب لها النجاح لان جميع المواد الداخلة في صناعة الناعور تتألف من الخشب وأغصان الاشجار الطرية وسعف النخيل وجرار خزفية صغيرة ، ويعود ذلك الى تيسرها في المنطقة واكتسابها القوة والمتانة كلما طال أمد بقائها في المياه .



التصوير رقم (١٣٤)

الناعور المائي الفراتي ـ منظر جانبي

The Water wheel on the Euphrates Side View



التصوير رقم (١٣٥)

لاحظ السد الذي أنشيء أمام الناعور في النهر لتحويل المجرى نحو الناعور واحداث تيار قوي لتدويره

Note the long low dam in the river the purpose of which is to divert the current toward the waterwheel in order to cause it to revolve

وقد يحسن تقديم عرض موجز لشكل هذه الآلة الرافعة البدائية العجيبة التي تعمل بصورة تلقائية بقوة تيار مياه النهر والتي حافظت على شكلها القديم دون أي تغيير فيها رغم مرور أكثر من خمسة آلاف عام عليها :

التصوير رقم (١٣٦)

الناعور المائي في اعالي نهر الفرات

The Water Wheel of the Upper Euphrates



تصوير وزارة الثقافة والارشاد

Courtesy - Ministry of Culture and Guidance

ان هذه الآلة الرافعة البدائية العجيبة المستعملة اليوم في منطقة هيت وعانه وراوة في اعالي الفرات داخل الحدود العراقية والتي كانت على وجـــه التاكيد مستعملة منذ أقدم العصور بعد تأسيس الساميين النازحين من أرض الجزيرة العربية مستوطناتهم الزراعية على ضفاف الفرات كانت وما زالت تصنع حتى اليوم من مواد محلية متوفرة كالخشب والحبال والخزف وهي من ابتكار العقل الهندسي القديم ، والآلة هي عبارة عن طوق خشب كبير قد يربى قطره على عشرة امتار في بعض الاحيان وقد وصل بينه وبين المركز باقطار شجرية ضخمة ربطت ربطا محكما حول محور من جذع شجرة التوت ، ويستند هذا الدولاب الضخم الى دعامتين من بناء الحجر مبنيتين على زاوية قائمة مواجهة لمجرى النهر. وهناك سلسلة من اباريق فخارية مصفوفة بانتظام على طول دائرة الطوق الخشبي الخارجية فاذا ما تحرك الدولاب بقوة المجرى المتجهة نحوه وأخذ بدورانه نحو محوره تصعد الأباريق السفلى وهي ممتلئة بالماء الى أعلى الدولاب فتصب حمولتها الواحد بعد الآخر تباعاً في ساقية ترتفع على مستوى النهر بما يقرب من اثنى عشر متراً حيث يجري الماء بعد ذلك الى الحقول . ويتم ذلك حين تبدأ الاباريق بنزولها في الجانب الآخر من الدولاب. وبذلك يكون كل ابريق قد امتلأ ثم فرغ حمولته مرة في كل دورة من دورات الدولاب . وتحدث هذه النواعير في دورانها انغاماً موسيقية شجية تمتزج مع أغاني الفلاحين (العتابا) وكأنها تعبر في نغماتها رغم مايرنق صفوها من اكدار عن حركة الحياة التي مازالت تدور منذ الازل كهذا الناعور. ومثيل هذه النواعير تشاهد في حما على ضفاف نهر العاصي .

This apparatus used for raising water in the District of Hit, Anah and Rawa to-day must have been used from the earliest periods of Semitic settlements in this same district. It is constructed of entirely indigenous materials, wood, ropes, earthenware, etc. It consists of a big water wheel supported on two stone abutments set at right angles to the direction of flow of the river, and with a series of gourd - shaped earthenware gugglets tied to its circumference. The force of the rapidly flowtng water in the river beats on the water wheel causing the latter to revolve, in doing so, water is lifted in the gugglets. When each gugglet begins to descend its water is emptied into the channel whieh runs along the top af the abutment which supports the wheel leading to the agricultural field.

تتألف هذه الآلة الرافعة البدائية العجيبة التي تعمل بصورة طبيعية تلقائيا بقوة تيار مياه النهر من طوق خشبي كبير قد يربو قطره على عشرة أمتار في بعض الاحيان ، وقد أوصل بينه وبين المركز بقطع شجرية ضخمة ربطت ربطا محكما حول محور من جذع شجرة التوت ويستند هذا الدولاب الضخم الى دعامتين من بناء الحجر مبنيتين على زاوية قائمة مواجهة لمجرى النهر • وهناك سلسلة من جرار صغيرة من الخزف مصفوفة بانتظام ومربوطة بحبال صنعت من ألياف النخيل على طول دائرة الطوق الخشبي الخارجية يسمونها « قواقة » مفردها « قوق » • ويتوقف عددها على حجم الناعور لذلك يتراوح عددها في الناعور الواحد من الاربعين الى المئة • فاذا ما تحرك الدولاب بقوة المجرى المتجهة نحوه وأخذ بالدوران نحو محوره تصعد الجرار السفلى وهي ممتلئة بالماء الى أعلى الدولاب ، فتصب حمولتها الواحدة بعد الاخرى تباعا في ساقية ترتفع عن مستوى النهر بما يقرب من اثني عشر مترا حيث يجري الماء بعد ذلك الى الحقول • ويتم ذلك حين تأخذ الجرار بنزولها في الجانب الاخر من الدولاب ، وبذلك تكون كل جرة قد امتلأت ثم أفرغت حمولتها مرة في كل دورة من دورات الدولاب • ويربط الناعور عادة برباط وثيق عندما تكون الحقول الزراعية مستغنية عن مياه الري •

وقد جرت محاولات لابدال الطوق الخشبي بطوق من حديد والاستعاضة عن الجرار الصغيرة بجرار كبيرة الا ان هذه المحاولات لم يكتب لها النجاح لان جميع المواد الداخلة في صناعة الناعور تتألف من الخشب وأغصان الاشجار الطرية وسعف النخيل وجرار خزفية صغيرة • ويعود ذلك الى تيسرها في المنطقة واكتسابها القوة والمتانة كلما طال أمد بقائها في الماء • وخلاصة القول ان هذه النواعير مهما بدت بدائية الصنع والتركيب فانها تعكس لنا صورة ناطقة تمثل لنا الجهود الجبارة التي بذلها هؤلاء الاقوام في العصور الخالية في كفاحهم العنيف للتغلب على الصعاب من أجل البقاء والتطور(٦٨) •

وكان الناعور الفراتي مصدر وحي الشعراء العرب كظاهرة حية يتسم بها شاطيء الفرات الاوسط ، فمن أبيات كثيرة نظمت في هذه النواعير أبيات للشاعرة علية بنت المهدي اخت الرشيد أنشدتها وهي في طريقها الى الرقة للقاء الرشيد الذي بعث بطلبها الى خالها يزيد بن منصور اشتياقا اليها قالت :ـ

اشرب وغن على صوت النواعير ... ما كنت اعرفها لولا ابن منصور
لولا الرجاء لمن املت رؤيته ... ما جزت بغداد من خوف وتغرير

٤٧ـ الملاحة على نهر الفرات وعلى جداول الري :

وكانت الأنهر وجداول الري تستعمل في تسيير وسائط النقل المائية بين المستوطنات الريفية وبين المدن الرئيسة ، وقد كانت الحاجة الى هذه الوسائط حافزا لنمو صناعة السفن على اختلاف أنواعها وحجومها في بلاد سومر وأكد •

وقد وصل الينا العديد من الوثائق والاتفاقيات المتعلقة بموضوع النقل المائي ، وفي مدونات سومرية تعود الى عصور فجر السلالات نجد مايشير الى سفن تنقل ما يزيد على سعة ألف جالون

من الحبوب وهي تنتقل بين المدن والقرى في نهرالفرات وفي جداول الري • ومن الوسائط النهرية التي كانت تستعمل في العراق في الازمنةالقديمة وقد صورها الاقدمون على أختامهم والواحهم الطينية وهي ما زالت تستعمل بشكلهاالقديم حتى يومنا هذا المشحوف الذي كان يستعمل في منطقة الأهوار وقد سبقت الاشارةاليه في الفقرة ٢٤ من هذا الفصل • ومنها (العسبية) التي كانت تستعمل على نهر الفراتوهي من السفن الضخمة التي تحمل أحمالا ثقيلة •

أ ـ العسبية الفراتية :

والعسبية وجمعها عسابي مستطيلة الشكل، عميقة ذات جوانب عمودية مرتفعة ، مقدمتها ومؤخرتها مقوستان على هيئة مثلث قاعدته عرض السفينة ، وبذلك يتكون صحن السفينة من المستطيل ومن أرضية المثلثين في المقدمة وفي المؤخرة • وتربط الجوانب بالقاعدة على امتداد طولها بأغصان مجدولة والسفينة مقسمة من الداخل الى أقسام وكل قسم مربوط من أعلى طرفي السفينة بأعواد قوية تزيد في تماسكهاوترابطها •

وتصنع العسبية من مواد محلية بحتة ، أي من أعواد وأغصان مجدولة من الصفصاف أو القصب أو البردي ومن نبات الحلفاء ومن القار ، وتصنع عادة في هيت حيث تتوفر مادة القار • وتستخدم العسبية في نقل الاحمال الثقيلة وهي تسير مع المجرى فقط لا عكسه وذلك لحجمها الضخم وثقلها ويقتصر سيرها في نهر الفرات وليس لها سكان ولا دقل • وتستخدم العسبية في نقل القار من هيت الى المدن الفراتية في جنوب العراق ثم تفسخ بعد وصولها الى الجهة التي تقصدها وتباع موادها هناك وأهمها القار مع القار الذي تحمله • (انظر التصوير رقم ١٣٧) •

وقد عثر على نقش يعود الى عصر فجر السلالات (الالف الثالثة قبل الميلاد) تشاهد فيه سفينة كثيرة الشبه في شكلها المستطيل والعميق بالعسبية تظهر فيها الاعواد المجدولة بكل وضوح وقد ظهر على ظهر السفينة الاله الشمس وهو في طريقه الى المياه السماوية • ويشاهد اله نصف انسان مربوط في مقدمة السفينة وبيده المجذاف • (انظر التصوير رقم ١٣٨) والراجح ان هذه السفينة تمثل نموذجا من السفن ذات الحجم الكبير التي كان يستعملها السومريون القدامى على نهر الفرات لحمل القار فيها من منطقة هيت الى مدنهم في جنوب العراق لاستعماله في أبنيتهم كما هو متبع في الوقت الحاضر في نقل القار من هيت في العسبية الى المدن الفراتية في جنوب العراق • والراجح ان فلك نوح (ع) قد صنع على شكل العسبية ومن نفس المواد التي تصنع منها العسبية في الوقت الحاضر مع اضافة سقف لها ومرافق •

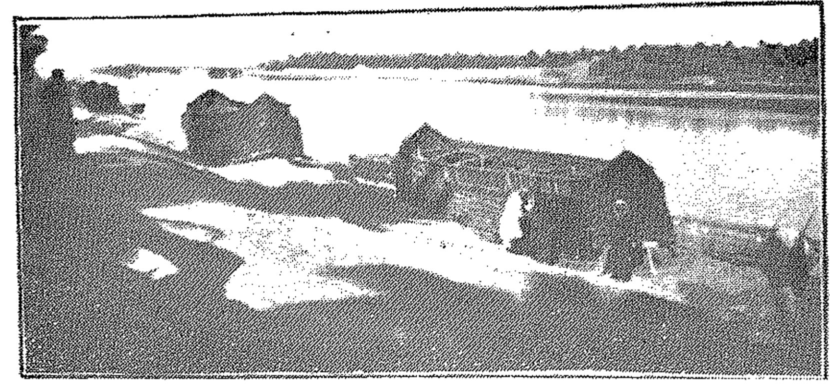
ب ـ السومريون ينقلون القار بالعسابي من هيت الى مدنهم في الجنوب :

وتدل المدونات السومرية والبابلية على أن مادة القار كانت تستعمل بوفرة في تلك الازمان الغابرة كمادة عازلة في مختلف منشآت الري كالسدود والخزانات والجداول وفي مختلف الابنية والعمارات ، وكان القار ينقل بالعسابي (جمع عسبية) من هيت الى المدائن السومرية في الجنوب • وقد ذكر ان الملك « اياناتم » أحد ملوك لجش انشأ في حوالي منتصف الالف

العسبية الفراتية

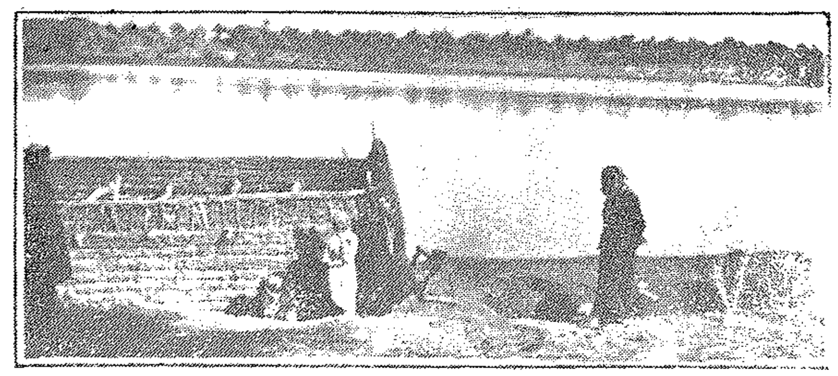
The Isbiyah of the Euphrates

التصوير رقم (١٣٧)



العسبية تحت الانشاء

من تصوير المؤلف في هيت كانون الاول ١٩٣١



The " Isbiyah " Under Construction

Taken by the author at Hit, Dec. 1931.

هذا نموذج من سفينة حديثة تستعمل على نهر الفرات شبيهة تماماً بنوع السفينة السومرية المنقوشة على الختم والمنقولة صورتها على اللوح٢ وتعرف هذه السفينة محلياً باسم «عسبية» أو «قاية» وتصنع بسهولة من مواد محلية (اخشاب واغصان مجدولة من صفصاف ونبات الحلفاء مطلاة بالقار) وتستعمل في نقل الاحمال الثقيلة ، وهي كالسفينة السومرية مستطيلة الشكل وعميقة وتصنع عادة في مدينة هيت حيث تتوفر مادة القير وتسير هذه السفينة في نهر الفرات مع المجرى فقط لحجمها الضخم وثقلها . والسفينة تستعمل لنقل القير ثم تفسخ بعد وصولها الى الجهة التي تستهدفها وتباع موادها وأهمها القير مع القير الذي تحمله . وعلى هذا يمكن التأكيد ان نفس « العسبية » هذه كانت تستعمل على نهر الفرات منذ أقدم الازمنة بنفس الطريقة التي تستعمل فيها اليوم ، ولعل الفلك الذي صنعه نوح (ع) كان من هذا النوع من السفن . (مقتبس من مذكرة للمؤلف مؤرخة في ١٩٣٢/١/٢٩ كان قد اعدها الى المتحف العلمي في لندن مع نموذج مصغر من « العسبية ») .

This is a type of a river vessel very similar to the type depicted on the Sumerian seal (Pl. II). It is used to-day on the Euphrates River and is called "Isbiyah" or "Kaya". It is constructed of entirely indigenous materials (wickerwork of rush or willow covered with bitumen) and used for extremely heavy charges. It is like the Sumerian type, rectangular in shape with high stern and prow. This type of vessel is usually constructed at Hit where bitumen is abundantly available and is used in the meantime to carry bitumen It navigates downstream only on account of its heavy weight and it is usually dismantled after reaching its destination and the bitumen of which it consists is sold as a commodity. We can thus assert confidently that the present "Isbiyah" had also been used on the Euphrates in the earliest periods. (From a note by the author dated 29-1-1932 entitled : " The Isbiyah of Hit, Iraq, prepared for the Science Museum, England, with a model of this craft).



التصوير رقم (١٣٨)

الاله الشمس على سفينته في طريقه الى البحر السماوي

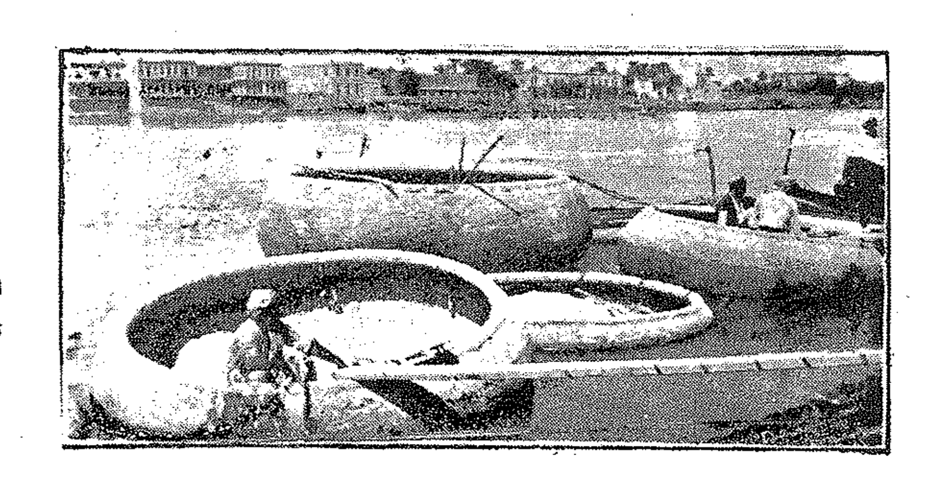
The Sun-God in his Boat on his way to the Heavenly Waters

الثالثة قبل الميلاد سدا غاطسا على أحد الجداول الرئيسة في لجش استعمل في انشائه ٢٥٩٢٠٠ ليتر من القار ، كما انه ذكر ان خلفه « انتيمينا » اقام سدا آخر من هـذا النوع استعمل في انشائه ٢٦٤٩٦٠ ليترا من القـار • ومن الاستعمالات الاخرى للقار تبليط الشوارع الرئيسة في المدن وتبليط الارضيات في البيوت وفي الحمامات بصورة خاصة • وقد عثر على مجرى انبوبي مسيع بالقار يمتد تحت زقورة بورسيبا (برس نمرود) وعلى مثيله تحت زقورة أور وذلك لصرف مياه الامطار والمياه القذرة ، كما عثر في مقبرة أور على قطعة من الصدف نقشت عليها خطوط ثبتت بالقار ، وفي تل العبيد كشف عن قطعة على شكل جذع النخل وقد لبس سطحها بالفسيفساء واللؤلؤ على قاعدة من القار • وقد بلط شارع هيكل بابل الرئيس بالقار كما بلط الشارع المؤدي الى معبد عشتار في آشور بالقار أيضا •

ج ـ القفه (الكفه) ـ تاريخها ، استعمالها :

وهناك أنواع أخرى من وسائل النقل المائية كانت تستعمل في العصور السومرية والبابلية والآشورية ولا تزال تستعمل على أنهر العراق حتى يومنا هذا أشهرها القفه (الكفه) ، وشكل هذه الناقلة المائية مدور ومجوف يسيرها الملاح بالمجذاف ويتناوب جذفه مرة الى اليمين ومرة الى اليسار للحيلولة دون استدارتها على نفسها • وتنشأ القفه من مواد محلية هي : أخشاب وأغصان مجدولة من صفصاف ونبات الحلفاء مطلية بالقار ويحشى قشر القصب بألياف تدعى

(نسالات) من حبل القنب وقطع من الصوف مع مزيج من التراب الناعم والقار لمنع تسرب المياه الى داخل القفة • وتتراوح حمولة أكبر هـذه الناقلات المائية بين ١٢ و١٦ طنا وذلك بقطـر طوله ١٦ الى ١٨ قدما • وقد ظهرت القفة في نقوش بارزة على قطعـة حجرية عثر عليها في قصـر سنحاريب في نينوى (٧٠٥ – ٦٨١ ق٠م٠) وهي نسخة طبق الاصل للقفة المستعملة حاليا • وكانت القفة من بين المظاهر الغريبة التي لفتت نظـر هيرودتس فوصفها وصفا حقيقيا من حيث شكلها الخارجي ولكنه خلط بينهـا وبين « الكلك » المصنوع من الأجربة المنفوخة فقال ان القفـة مصنوعة من الأجـربة (انظر التصويرين ١٣٩ و ١٤٠) •



التصوير رقم (١٣٩)

القفة (الكفة)

ناقلة مائية قديمة ترجع الى العصور السومرية والبابلية والاشورية ومازالت تستعمل حالياً على أنهر العـراق



The Old Coracle or "Guffa" still in use on the Rivers of Iraq.

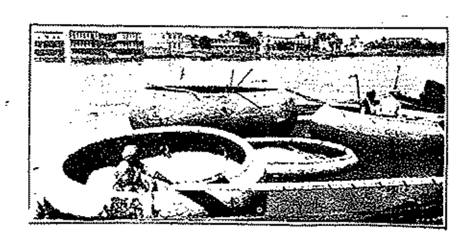
ب ـ الكلك ـ تاريخه استعماله :

« الكلك » وفي الآشـوري « كلكو » وبالعربية الرمث هو أحد وسائط النقل القديمة التي ما زالت تستعمل حتى اليوم على أنهـر العراق • والكلك ينشأ عادة من عيدان خشبية مربوطة بعضها ببعض وفي الغالب من أخشاب الحور (القوغ) الذي يزرع في الشمال ، ثم

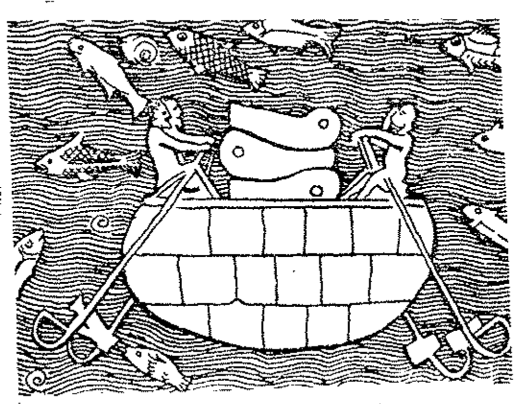
القفة (الكفة) ـ قديماً وحديثاً

The Coracle or "Guffa" - Past and Present

(صورة سومرية للقفه



(الكفة) المستعملة حاليا
على أنهر العراق
The Present "Guffa" Used on TheRivers of Iraq



التصوير رقم (١٤٠)
القفة (الكفة) قديماً

The " Guffa " as depicted on ancient bas - reliefs

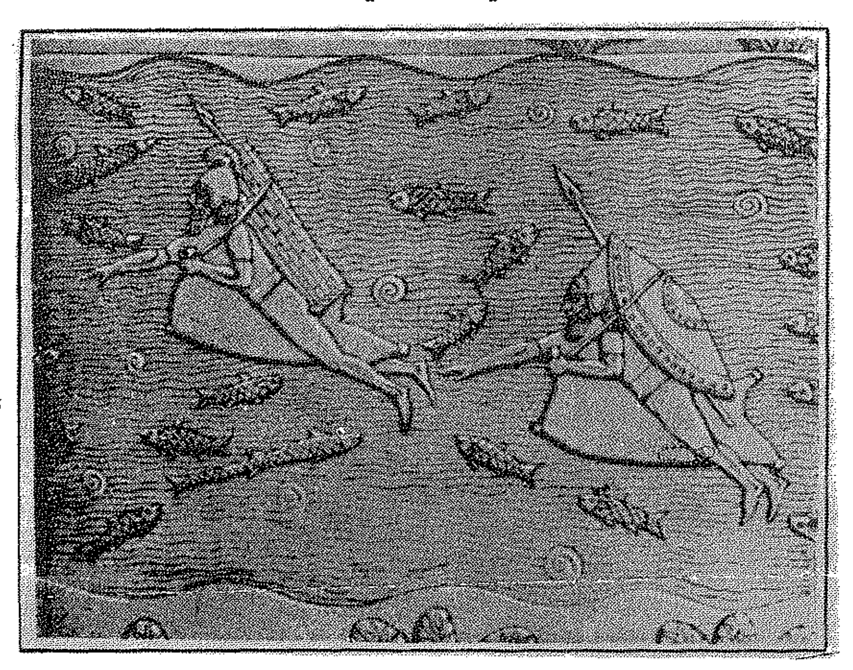
« الكفة » العراقية واسطة نقل مائية استعملت في أنهر العراق منذ أقدم الأزمنة كما تدل المناظر المنقوشة على الالواح التاريخية . وشكل هذه الناقلة مدور وبجوف يسيرها الملاح بالمجداف ويتناوب جدفه مرة الى اليمين ومرة الى اليسار الحيلولة دون استدارتها على نفسها . وتنشأ «الكفة» من نفس المواد التي تنشأ منها العسبية (اللوح ٢) ويحشى قشر « الكفة » بنســالات من حبل القنب وقطع من الصوف مع خليط من التراب الناعم والقار لمنع تسرب المياه الى داخل الناقلة . وتتراوح حمولة اكبر هذه الناقلات المائية بين ١٢ و ١٦ طناً وذلك بقطر طوله ١٦ الى ١٨ قدماً .

وقد ظهرت « الكفة » في نقوش بارزة على قطعة حجرية عثر عليها في قصر سنحاريب في نينوى (٧٠٥ — ٦٨١ ق . م .) وهي نسخة طبق الأصل للكفة المستعملة حالياً . وكانت « الكفة » من بين المظاهر التي لفتت نظر هيرودوتس في العراق فوصفها وصفاً حقيقياً من حيث شكلها الخارجي ولكنه خلط بينها وبين « الكلك » المصنوع من الاجربة المنفوخة فقال ان « الكفة » مصنوعة من الاجربة .

The river craft called locally " Guffa " and used to-day in Iraq belongs to the river vessels which have been demonstrated in historic time. It has a spherical shape and is propelled by means of rough paddles, with which the boatman makes strokes in turns to the left and right so as to progress without causing the "Guffa" to spin. The "Guffa" is constructed of the same material as that of the " Ibisyah " (pl. 2) It is caulked with oakum and scraps of wool all tightly compressed and mixed with fine earth and bitumen which ensures that it is water - tight. Large " Guffas " carry 12 to 16 tons, the diameter of the widest girth being 16 to 18 feet.

A representation in relief of a "Guffa" appears on a wall facing slab (orthostate) of stone from King Senacherib palace at Nineveh (705-681 B.C.). It is absolutely identical with those to be seen in use to-day on the rivers of Iraq. Well known is the mentioning of the "Guffa" by Herodotus (1/194) who was struck by the singular and practical kind of transport on the rivers. In his description, however, the " Guffa " seems to be thrown together with the hide raft " the Kelek ". For it may be supposed, that also the early " Guffas " consisted of a wickerwork of rush or willow that was covered with bitumen instead of leather as it is to be read in Herodotus (vide : A. Paterson. "Palace of Senacherib," The Hague, Pl. 46-47 ; G. Contenau. " Manuel d'archeologie orientale, " I, p 70: " Every Day Life in Babylonia and Assyria ", p 48)

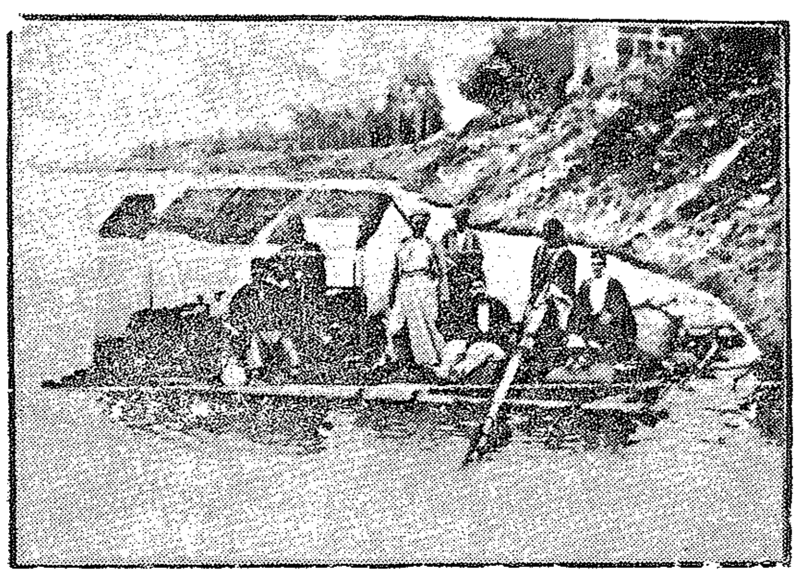
تربط هذه التركيبة من الاخشاب فوق ستين أوسبعين جرابا منفوخا بحيث تستطيع هذه الناقلة بعد ان تعوم فوق الماء نقل بضائع ذات حمولة كبيرة ٠ ويسير الكلك عادة مع المجرى لا ضده ، ويدفع الكلك بالمجاذيف قرب الساحل حتى اذاما وصل الى جنوب العراق والى بغداد خاصة تم تفـريغ الحمولة ثم تفسيخ « الكلك » ويبـيع أخشابه ٠ ويجري بعد ذلك فش الأجربة واعادتها الى الشمال لاستعمالها من جديد في انشاء أكلاك أخرى ٠ وقد ظهر « الكلك » على نفس النقش الآشوري الذي ظهرت عليه القفة وهذا هو نسخة طبق الاصل للكلك المستعمل على نهر دجلة في الوقت الحاضر كما يشاهد في التصويرين ١٤١و١٤٢ ٠ وفي النقش (التصوير رقم ١٤١) الذي



التصوير رقم (١٤١)

جنود آشوريون يعبرون نهراً على الاجربة

Assyrian Soldiers Crossing a River on Inflated Goat Skins



التصوير رقم (١٤٢)

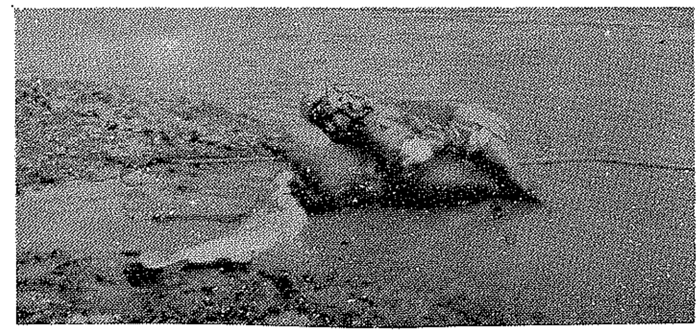
صورة ماخوذه قبل حوالي نصف قرن للكلك في طريقه بين الموصل وبغداد في نهر دجلة يشاهد فيها المسافرون مع بضائعهم كما تشاهد سقيفة اعدت للجؤ اليها في حالة سقوط المطر .

A reproduction of the (Kelek) taken some fifty years ago travelling on the Tigris between Mosul and Baghdad. Travellers are seen sitting beside the paddler. A covered portico is also seen behind them for use as a shelter during rain.

التصوير رقم (١٤٣)
سماك من سكان شمال العراق الحالي يسبح على جراب في نهر الزاب الكبير ويقود وراءه سمكة كبيرة مربوطة بحبل

من تصوير المؤلف

A Present Iraqi Fisherman Journeying Along The Greater Zab River on Inflated Goat Skin Towing Behind Him His Big Fish With a Rope



التصوير رقم ١٤٤ أ

الاله « ايا » اله المياه يتجول على سفينه في منطقة الاهوار .

The Water god " Ea " travels in a boat along the Marshland.



يعود الى العصر الآشوري منظر لجنود آشوريين وهم يعبرون نهرا على أجربة كل منهم على انفراد . وهذه الطريقة نفسها يتبعها أهل الشمال اليوم لعبور الانهر أو الانتقال في النهر مع المجرى (انظر التصوير ١٤٣) .

ج ـ السفن في النقوش السومرية

وأقدم ما وصل الينا من نقوش تحمل صور السفن السومرية القديمة هي النقوش المقرونة بالآلهة وبالملاحم السومرية ، ففي نقش على أحد الأختام السومرية (التصوير رقم ١٤٤) يشاهد الاله « أنكي » اله المياه وهو يتجول في منطقة الاهوار في جوار « أريدو » على ظهر قارب شبيه بالمشحوف المستعمل في مناطق الاهوار اليوم (انظر ما تقدم « حول المشحوف » فيشاهد الاله في هذا النقش واقفا في وسط السفينة وقد نبع من كتفيه مجريان على ضفافهما نبات من الغلة يعتقد انهما نهرا دجلة والفرات ، كما يشاهد ملاحان يجذفان وهما واقفان الى جنبي الاله وبيد كل منهما مجذاف طويل ، وتظهر نباتات القصب في الاهوار والاسماك تحوم من بينها حول السفينة (انظر ما تقدم حول الاله « انكي » أو الاله « ايا ») اله الماء .

وفي نقش قديم أيضا (انظر التصوير رقم ١٤٥) يظهر جلجامش صاحب الملحمة السومرية الشهيرة جالسا أمام أحد الآلهة على ظهر سفينة يسيرها ملاح خلفه ، ويعتقد أن هذا المنظر يمثل ما ورد في الملحمة من مقابلته لاوتونبشتم (نوح السومريين) الذي يشاهد جالسا أمام جلجامش وعلى رأسه تاج الالوهية ، اما الملاح الذي يدفع السفينة فهو « اورشانابي » الذي ورد اسمه في الملحمة (انظر ما تقدم عن ملحمة جلجامش وقصة الطوفان في الفصل الرابع) .



التصوير رقم (١٤٥)

البطل الاسطوري « جلجامش » يسافر عبر البحر السماوي في سفينة

The Mythic hero Gilgamesh travelling across the Heavenly Ocean in a boat.

هوامش الفصل السادس ـ السومريون في حضارة وادي الرافدين

(١) دكتور محمد مهران (دراسات في تاريخ العرب القديم)، الرياض، ٩٧٧، ص ١٩٩. Burrows, "Telmun, Bahrain, Paradise in Orientalia" Heft 2 Sereptura Saera et Monumenta Drientis Antiqui Roma, 1228.

انظر ايضاً: دكتور جواد علي، (المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام) ١ : ٥٥٣ ـ ٥٧٢.

(٢) «مقدمة في تاريخ الحضارة القديمة» ١٩٧٤، ص ٦٤

(٣) S. P. Handcock, "Mesopotamian. Archaeology. London 1912, P. 2.

(٤) طه باقر (مقدمة ..) مصدر سابق، ص ٦٢ ـ ٦٣.

(٥) المصدر السابق، ص ٨٠.

(٦) دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠، ص ١١٥.

(٧) الدكتور فوزي رشيد، «قواعد اللغة السومرية»، وزارة الاعلام، بغداد ١٩٧٢، ص ١٢٧.

(٨) فرانكفورت، «فجر الحضارة في تاريخ الشرق الادنى القديم» ترجمة ميخائيل خوري، ص ٩١.

(٩) طه باقر «المقدمة ...» مصدر سابق، ص ١٢٥ ـ ١٢٦.

(١٠) دكتور مورتكات، مصدر سابق، ص ٣١.

(١١) المرجع السابق، ٥٠ ـ ٥١.

(١٢) المرجع السابق، ص ٥٤.

(١٣) سومر، م ٢٢ (١٩٦٦، ص ٧٣).

(١٤) طه باقر، «مقدمة ...» مصدر سابق، ص ٣٠٥.

(١٥) دكتور فوزي رشيد، مصدر سابق، ص ٢٧.

(١٦) طه باقر، مصدر سابق، ص ٢٨٥ ـ ٢٨٧.

(١٧) المصدر السابق، ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧.

(١٨) ديلابورت «بلاد ما بين النهرين»، ترجمة محرم كمال، ص ٤٣٥.

(١٩) T. Jacobsen, "Salinify and Irrigation Agriculture in Antiquity", Baghdad, 1958 (Mimeo-graphed). OP.Cit.

(٢٠) ديلابورت «بلاد ما بين النهرين»، ص ٢٨

(٢١) T. Jacobsen, "Salinify OP.Cit.

(٢٢) حول سلالة لجش الأولى والعصر السامي السومري القديم انظر:

C. L. Woolley, "The Sumerians", 1965; Sarzec, "Decouertes en Chaldee", 2 vols, Paris 1884-1912; De Genoillac, "Fouilles de Tello", 2 vols., 1939-36; A. Parrot. "Tello, vinght Campagnes de Foilles", 1877-1933, Paris, 1948; F. Basmachi, "The Stele of Ur-Nanche in the Iraq Museum", Sumer, Vol. XVI (1969; F. Basmachi and D. O. Edzard, "Statue of son of Enannatum 1 in the Iraq Museum", Sumer XIV (1958), pp. 109-113.

(٢٣) ديلابورت «بلاد ما بين النهرين»، ص ١٢٨.

(٢٤) محمد امين زكي، «خلاصة تاريخ الكرد وكردستان» الترجمة العربية، ص ٩٥ ـ ٩٩.

(٢٥) ذكر الاستاذ محمد امين زكي (رح) ان «الكرد» عرفوا عند السومريين بأسم «كوتي» جودى، جوتي وعند الأشوريين بأسم «كوتي» وكوتي وكارتي وكارد وكارداكا وكاركتان وكاردان، وعند الفرس بأسم كوريتوى وكاردان، وعند اليونان والرومان بأسم كاردون، كوردوكي، كارد خوى، كاردوبسكاى (خلاصة تاريخ الكرد وكردستان صفحة ٨١ من الترجمة العربية).

(٢٦) جيمس هنري بريستد، «انتصار الحضارة»، ترجمة الدكتور احمد فخري ص ١٨٠.

(٢٧) حول القبور المكتشفة في كيش انظر: Watelin, "Excavations at Kish", ßV, 193

وعن مقبرة السوس انظر: Kramer in Iraq, Vol. 22, 1960 59 ff.

(٢٨) طه باقر، «مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة» ص ٢٧٦ ـ ٢٧٧.

(٢٩) حول مقبرة اور الملكية انظر:

Woolly, "Ur Excavations", Vols. & II
---------, "Ur of the Chadlees", 1938.
----------, "Excavations of Ur", 1954.

انظر ايضا :

طه باقر «مقدمة في تاريخ الحضارة القديمة»، ص ٢٧٥ ـ ٢٨١ .

(٣٠) E. D. Van Buren, "The Fauna of Ancient Mesopotamia", Rome, 1939, p. 74.

(٣١) سومر، م ١٦ (١٩٦٠)، ص ١١٢ ـ ١١٤ .

(٣٢) J. C. Russel, "Aspects of Soil Salinity in Iraq", FAO, Jan. 20, 1956, Baghdad Iraq

(٣٣) «من جنة عدن الى عبور نهر الاردن» للسر وليام ويلكوكس، ترجمة الدكتور احمد سوسة ومحمد الهاشمي، ص ٣٦ ـ ٣٧ .

(٣٤) دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠، ص ١١٤ .

(٣٥) كتاب الخراج لأبي فرج قدامه م ٦ (المكتبة الجغرافية العربية طبعة ليدن ١٨٨٩ ص ٢٤٠ .

(٣٦) الدكتور شاكر مصطفى سليم، «الجبايش» الطبعة الثانية ١٩٧٠، ص ٢٣١ .

(٣٧) "Archaeological Survery of Ancient Calals". By Albrecht Goetze, Director of the Baghdad Branch of the American Schools of Oriental Research, Sumer, Vol. XI, 1955 No. 2, pp. 127-128, with map facing p. 129.

وقد نقل هذه الدراسة الى اللغة العربية الاستاذ صادق الحسني ونشرت في المجلد ١١ من مجلة سومر لسنة ١٩٥٥ (ص ٢١٩ ـ ٢٢٠).

(٣٨) "Survey of Ancient Water Courses and Settlements in Central Iraq". By Robert M. Adams, Sumer, Vol. XIV, 1958 Nos. 1@2, pp. 101-103 with 6 maps.

(٣٩) "Settlements of Ancient Akkad". By Robert M. Adams, Archaeology, 10 (1957), PP. 270-273 (Map on page 270).

(٤٠) "The Waters of Ur. "By Thorkild Jacobson Iraq Vol. XXII 1960, pp. 174-185, with map of ancient canals of Sumer.

(٤١) "La geographie et les voies du communication du pays de Sumer", par Th. Jacobson, Revue d'Assyriologie, vol. LII 1958pp. 127-129.

(٤٢) Recently Discovered Ancient Sites in the Hammar Lake District (South Iraq). "By Georges Roux, Sumer,Vol. XVI, 1960, Nos. 1@2, pp. 30-31.

(٤٣) "An Abandoned Irrgation System in Southern Iraq. "By Dr. Howard S. Nelson, Vol. XVIII (1968). pp. 67-72.

(٤٣) H. G. Wells, "The Outine of History", N. Y., 1940, p. 186.

(٤٤) T. Jacobson, "Salinity and Irrigation Agriculture in Antiquity, "Diyala Basin Archaeological Project, Report on Essetial Results June 1, 1957, to June 1, 1958 (Mimeo-Mahed). Baghdad, 1968 Available at the Library of Antiquities, Baghdad.

———, "Summary of a Report by the Diyala Basin Archaeological Project, June 1,1957 to June 1, 1958". Sumre, Vol. XIV, Nos. 1@2 (1958), pp. 79-89.

———, and Adams (R.M.) "Salt and Silt in Ancient Mesopotamian Agriculture. "Science, Nov. 21, 1958, Vol. 121, No. 3334, pp. 1251-1258.

(٤٥) R. M. Adams, "Land Behind Baghdad. A History of Settlement on the Diyala Plains." University of Chicago Press, 1965.

(٤٦) Les travaux hydrauliques en Babyloine", par A. Delattre, S.J., extrait de la reue des questions scientifiques, Octobre, 1888 Bruxelles, pp. 476-507.

(٤٧) "The Mouth of the Rivers. "By W. F. Albrigh, t American Journal of Semitic Languages, XXXV (1918-19), pp. 161 ff. (a Study of the importance of water in Babylonian ritual).